طرائف تاريخية

عزيز خانكي بك

الكتاب: طرائف تاريخية

الكاتب: عزيز خانكي بك

الطبعة: ٢٠٢١

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)



٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف: ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس: ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www. bookapa. com E-mail: info@bookapa. com

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

خانكي، عزيز

طرائف تاريخية / عزيز خانكي بك

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

٢٠٤ ص، ١٨*٢١ سم.

الترقيم الدولي: ٤ – ١٠١ – ٩٩١– ٩٧٧– ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع: ٢١٥٦ / ٢٠٢١

طرائف تاريخية



مقدمة

– لنفاد كتابنا (نابليون ومحمد على) أعدنا طبعه هنا مع بعض اضافات.

ويلي «نابليون ومحمد على»:

– ترجمة السيد محمد جمال الدين الأفغاني (المناسبة مرور ٥٠ سنة على وفاته ووجوب احياء ذكراه).

– استعراض مال الوزارات المصرية من تاريخ تأليف أول وزارة.

– ترجمة شامبليون (الذي حل ألغاز اللغة الهيروغليفية).

– نظرة في الآثار المصرية القديمة التي تسربت إلى أوروبا وبعض احصاءات عن الموجود منها في الخارج.

– هانيبال بطل قرطاجة ولويس التاسع ملك فرنسا.

– سنان باشا ومآثره.

– الأمير أحمد سيف الدين: قضيته وثروته.

– زيارتان تاريخيتان (زيارة السلطان عبد العزيز آل عثمان، وزيارة الملاك عبد العزيز آل سعود).

– محاكمة ماريشالات فرنسا: الماريشال بيرون. والماريشال تاى. والماريشال بازين. والماريشال بيتان.

– تاجنروج واسكندر الأول قيصر روسيا.

– عائلة بونابرت.

– المدن الخمس: وما هي. وأين هي؟

- سابقة تاريخية. مقارنة بين غزو الحلفاء جزيرة صقلية وغزو محمد على فلسطين وسوريا ولبنان والأناضول.
- لقب (خديوي) واثبات وجوده من عهد محمد على الكبير.
- سوابق تاريخية.
- هانيبال والكلمات التي جرت عنه مجرى الامثال.
- ماركوني وفضله على العالم.
- سوابق تاريخية عن (العبرة بالساعد لا بالسيف).
- في المرآة. بعض كبار المحامين (إبراهيم بك الهلباوي. أحمد بك الحسيني. خليل باشا إبراهيم. اسماعيل بك عاصم، أحمد بك لطفي. محمود بك النصر).
- بلاد الكونجو وما فعلته بلجيكا فيها وقد أنفقت لتمدينها وتعميرها ٢٠٠ مليون جنيه.
- تاريخ ناحية من مدينة القاهرة.
- بعض ذكريات عن سعد باشا.
- محاسبة الأثرياء على ثرواتهم. سوابق تاريخية.

محمد على باشا الكبير ونابليون[١]

بين حياة نابليون وحياة محمد على وجوه شبه كثيرة. كلها مصادفات غريبة جدًا تمتد من المهد إلى اللحد:

١-ولد نابليون في سنة ١٧٦٩، وولد محمد على مثله في سنة ١٧٦٩[٢].

٢-ولد نابليون في ثغر (هو ثغر أجاكسيو (Ajaccio)، وولد محمد على مثله في ثغر (هو ثغر قواله (Cavala)[٣].

---

[١] كتبت "خلاصة" هذه المقالة في جريدة «الأهرام» في ٢ أغسطس سنة ١٩٤٣ وهو يوم ذكرى وفاة محمد على باشا الكبير في ٢ أغسطس سنة ١٨٤٩.

[٢] وفي هذا الصدد يقول المؤرخ الفرنساوي پول موريبز Paul Mouriez في كتابه القيم "تاريخ محمد على":

"Le héros de l'Egypte aimait lui-même à rattacher sa destinée à celle de Napoléon, et c'était une de ses grandes joies de penser qu'i était né la même année que lui"

ومن الذين ولدوا أيضًا في هذه السنة نفسها - سنة ١٧٦٩ - ولنجتون Wellington قاهر نابليون في واقعة واترلو Waterloo.وشاتو بريان Chateaubriand الكاتب الفرنساوي الشهير.وشيلدر Schiller الشاعر الالماني الشهير.وكوفييه Cuvier من علماء فرنسا المشهورين.وهمبولدت Humboldt العالم الالماني.وولتر سكوت Walter Scott الشاعر الإسكوتلندي.

[٣] قرر المجلس البلدي بمدينة قواله في ٢٢ مايو سنة ١٩٣٨ إطلاق اسم نيابوليس Neapolis على مدينة قواله مسقط رأس المغفور له محمد على باشا الكبير.فأعاد اليونانيون إليها اسمها القديم الذي كانت معروفة به في عهد الاسكندر الأكبر المقدوني.وقواله Cavala معناها الجواد او الفرس.ويقال آن اسكندر الأكبر هو الذي أبدل اسم المدينة القديم باسم قواله Cavala تخليدا لذكرى جواده بوسيفال Bucephale.ولما قتل هذا الجواد في احدى وقائع الاسكندر في الهند شيد الاسكندر مدينة ساها باسم جواده بوسيفال Bucephalie تقع أمام مدينة جلم Djelem (في الهندستان انجاب).وقد تغير اسم هذه المدينة غير مرة.بعد أن كان اسمها نيابوليس في عهد

٣-وثغر أجاكسيو (جزيرة كورسيكا) واقع على البحر الأبيض المتوسط. وثغر قواله (مقدونيا) واقع مثله على البحر الأبيض المتوسط[٤].

٤-وطول قامة نابليون خمسة أقدام و بوصتان - متر و ٦٨ سنتي -[٥] وطول قامة محمد على خمسة أقدام وبوصتان[٦].

٥-بدأت حياة نابليون بنبوءة، ذهب ليعود عم أبيه فنظر إليه عم أبيه (وهو يحتضر) وقال له: «ستصير أنت يا نابليون بعد حين رجلا عظيمًا»[٧].

الاسكندر حوت الدولة البيزنطية وأبطلت اسمها القديم وسمتها خرستوبوليس Christopolis (أي مدينة المسيح).ثم جاء اليونانيون وسموها كابالا Kaballa.وفي عهد الترك سميت قواله Cavala.والآن جاء اليونانيون للمرة الخامسة وأعادوا إليها اسمها القديم نيابوليس Neapolis.

[٤] فالبحر الابيض جاء همزة وصل بين فرنسا ومصر ومقدونيا.وقد اشار إلى هذا محمود فري باشا في الخلية التي القاها أمام هم منو ميلار آن Mr.Millerand رئيس جمهورية فرنسا عندما قدم له أوراق اعتماده كوزير مصر في فرنسا حيث قال:

"La Méditerranée nous a unis et rien ne nous sépare

[٥] نقلا عن نابليون نفسه.اذ إنه في أثناء حصار يافا في مارس سنة ١٧٩٩ صوب احد جنود عبد الله آغا قومندان بافا بندقيته نحو نابليون فأصابت قدمته والقتها على الارض واصابت قومندان الآلاى الفرنساوي -وكان طويل القامة- وأردته قتيلا.فقال نابليون كلمته «هذه هي ثاني مرة اراني مدينة بحياتي اقصر قامتي وهي خمسة اقدام وبوصتان - راجع صحيفة ٢٧٠ من كتاب «بونابرت في مصر» Buonaparte en Egypte, par Désiré Lacroix.

وها الأصل الفرنساوي:

"Voilà la seconde fois depuis que je fais la guerre, que je dois la vie à ma taille de cinq pieds deux pouces.

[٦] وفيه يقول كلوت بك Clot Bey:

"Sa taille est peu élevée ; elle ne dépasse pas cinq pieds deux pouces.Voir Aperçu général sur l'Egypte, par Clot Bey.T.I.P.60.

[٧] ومن المصادفات الغريبة إنه كان يوجد في باريس في زمن نابليون عرافة شهيرة اسمها لو نورمان Lenommanich قابلت جوز يقين بعد زواجها بنا بليون بونابرت وتنبأت لها بما ستلاقيه في حياتها

"**Toi**, **plus tard**, **Napoléon**, **tu seras un grand homme**".

ولما رآه باولي Pascal Paoli أبو الثورة في جزيرة كورسيكا ينظم أول أورطة تولاها، تولته الدهشة وقال:

"**Ce jeune homme est taillé à l'antique; c'est un homme de Plutarque**".

وقد كان.

وبدأت حياة محمد على باشا بنبوءة مثلها. ذهب وهو في قواله لينخرط في سلك الثلاثمائة جندي الذين جندهم الحاكم ليلحقوا بالجيش التركي الذي سيره السلطان إلى مصر لطرد الفرنساويين، وكان محمد علي ممتعضًا ساخطًا من أمر تجنيده فقابله في طريقه رجل عجوز فلما آنس على محياه دلائل السخط والكأبة سأله عن سبب كآبته ودار بينهما الحديث الآتي:

العجوز – ما سبب كآبتك؟

محمد على – يريدون إرسالي إلى مصر لمحاربة الكفار.

العجوز – وماذا ترى في ذلك؟

محمد على – أنا لا أريد السفر لأن بقائي في بلادي خير لي. الدار هنا دار أمان ولي فيها أصدقاء ورفقاء.

بعد زواجها بنا بليون من عظمة وسؤدد وسلطان وقد تحققت نبوءتها.ولما صارت جوزيفين إمبراطورة استدعتها فتنبأت لها باعتزام نابليون على ان يطلقها (وقد تحققت نبوتها) فلما سمع نابليون بهذه النبوءة أمر بالقبض عليها وبعد بضعة أيام أفرج عنها – راجع قاموس لا روس القرن العشرين ...كلمة Lenominand.

العجوز – أنت غلطان، نعم ان الطريق طويل ووعر ولكنه يوصل إلى ذروة المجد، فتوكل على الله وسافر على بركة الله.

وكثيرا ما كان محمد على يذكر هذه النبوءة في أحاديثه[٨].

ويقول السر تشارلس موري في الكتيب الذي وضعه على محمد على: إنه لما كانت أمه حاملا به ذهبت يوما إلى عرافة ذاع صيتها في «قواله» وسألتها عما يخبئه القدر لمولودها الجديد فتنبأت لها بأن ولدها سيرتي ذروة المجد والعظمة ويبلغ مرتبة الحكام والملوك، فاغتبطت بهذه النبوءة. ولما ترعرع ابنها لم تكف عن ترديدها له فأثرت فيه تأثيرا عظما وتولد فيه شعور الطموح إلى المجد ثم لم يلبث أن أحس بدافع يدفعه إلى سلوك الطريق المؤدي إليه (صحيفة ١٨ من كتاب «محمد علي» بقلم الأستاذ كريم بك ثابت).

٦– ونابليون نشأ فقيرًا. ومحمد على نشأ فقيرًا مثله[٩].

---

[٨] راجع هذه الحكاية في الصحيفة ٦٢ من كتاب مورييز Mouriez جزء أول في تاريخ محمد علي.ويروي أن محمد على رأى ذات ليلة في منامه إنه ظمئ ظمئًا شديدًا.فشرب كل ماء النيل ولم يرتو فلما أصبح الصباح قص رؤياه على الشيخ فقال له (ابشر يا ابني فأن منامك معناه إنك سوف تملك وادي النيل بأسره ولا تكتفي به فتجاوزه).وقد تحقق تفسير هذا المنام.

[٩] لما رحل نابليون من بلده في جزيرة كورسيكا قاصدا فرنسا ليلتحق بالجيش لم يكن معه سوى ٥٩ فرنكا.فلما وصل إلى مدينة ليون كان كل ما معه قد نقد فاضطر أن يمشي على قدميه من مدينة ليون إلى مدينة فالانس حيث القشلاق الذي عين له.ولعدم وجود ساعة معه اضطره إلى تخطيط مزولة أمام شباك غرفته ليعرف منها الوقت.وصادفه وقت كان يطمح بنفسه لنفسه.كما جاء وقت اضطر فيه ان يبيع ساعته ليشتري بثمنها طعامًا.وقد أحب نابليون فتاة وطلب أن يتزوج بها الا ان أهلها رفضوا بسبب فقره.وهذا ما قاله عن نفسه:

"J'étais le plus pauvre de mes camarades, ils avaient de l'argent, je n'en eus jamais.

صفحة ٢٢من كتاب Rosany

إلى أن قال:

٧- ونـابليون تـزوج مـرتين، فـي المـرة الأولـى تـزوج بجـوزيفين Josephine (في ٩ مارس سنة ١٧٩٦ وفي المرة الثانية بمارى لويز (بنـت امبراطـور النمسـا) في ٢ أبريـل سـنة ١٨١٠ وكانـت لـه خليلات كثيرة. ومحمد على تزوج مرتين، في المرة الأولى تزوج أمينة هانم في خلال سنة ١٧٨٧ (بنت على باشا الشهير بمصر لى من أهالي نصرتلى التابعـة لـدراما). وفـي المـرة الثانيـة تـزوج مـاه دوران هـانم وكانـت لـه مستولدات كثيرة.

٨- وزوجة نابليون الأولى كانت أرملة، وزوجة محمد علي الأولى كانت أرملة.

٩- وإحـدى زوجتـي نـابليون (جـوزيفين) لـم تلـد لـه ولـدًا ولا بنتًـا. وإحدى زوجتي محمد على (ماه دوران) لم تلد له ولدًا ولا بنتًا.

١٠ -كانـت جـوزيفين Josephine. طـالع سـعد علـى زوجهـا نابليون[١٠]. وكانت أمينه هانم طالع سعد على زوجها محمد على[١١].

C'est en ne mettant jamais les pieds dans un café ni dans le monde, c'est en mangeant du pain sec, en brossant mes habits moi-même que...P.25.

ولما كانت أمه وأخواته في مرسيليا كانت معيشتهن في غاية الضيق حتى أن بعض الجمعيات الخيرية كانت تعطف علمين وتبرهن.والام وبنتها كارولين كانتا تغسلان الثياب في المغسل العمومي بينها كانت بنتاها الأخريان بولين وأليزا تتسلقان من وقت إلى آخر أسوار بعض الحدائق لخطف بعض الثمار.

[١٠] أليس من أعجب العجاب أن هذا الفقير يصبح بعد بضع سنوات سيد أوروبا بل سيد العالم حتى إنه ذهب ذات يوم إلى الصيد مع بعض الملوك والأمراء والعطاء فلما جاء وقت الظهيرة أصدر أوامره تماعا إلى ثلاثة من الملوك ليستعجلوا الغداء.قال لأولهم (أنت يا ملاك هولندا استعجل الغداء) ولما يحضر الغداء نادى إلى الثاني وقال له (أنت يا ملك اسبانيا أذهب واستعجل الغداء) فلما أبطأ التفت إلى ثالثهم وقال له (أنت يا ملك نابولي اذهب واستعجل الغداء).كانت اشارته أمر وأمره حكمًا.

وقد أشار إلى هذا وزير النمسا الاكبر مترنيك (Metternich) عندما قال:

١١ – ونابليون رفع زوجته جوزيفين من طبقة الشعب إلى ذروة المجد والجاه والسلطان فصارت «امبراطورة فرنسا»[١٢]. ومحمد على رفع زوجته من طبقة الشعب إلى ذروة المجد والجاه والسلطان فصارت «ملكة النيل» كما سماها أهل الحجاز عندما حجت وزارت الروضة النبوية في خلال سنة ١٨١٤.

١٢ – وابن نابليون كان «ملك روما» عاصمة النصرانية. وابن محمد على (إبراهيم) كان «أمير مكة» عاصمة الاسلام[١٣].

١٣ – ونابليون كان ضابطًا في الجيش الفرنساوي قبل أن يحكم فرنسا. ومحمد علي كان ضابطًا في الجيش التركي قبل أن يحكم مصر.

"C'est tout de même un homme extraordinaire, celui qui peut s'of- frir l'orgueilleux plaisir d'envoyer successivement trois rois à la cuisine pour voir si son déjeuner est à point." (Voir.EN SUIVANT L'EMPEREUR PAR G.LENOTRE P.89.

وأعجب من هذا وأغرب أن هذا الفقير يصح امبراطورة على فرنسا.وأخاه لويس (الذي كان يفترش الأرض لينام) يصبح ملاك هولاندا.وأخاه جيروم يصيح ملاك وستفاليا.وأخاه يوسف يصبح ملك إسبانيا.واخته كارولين ملكة نابولي.واخته اليزا غراندوقة توسكانيا.واخته بولين أميرة بورجيز.وعرض على أخيه لوسيان أن يكون ملكًا فرفض.

[١١] ومن مأثور قول محمد على عن نفسه وان محمد على اليس مدينة بكل ما أدركه لجاه في النسب ولا الثروة ورثها لا لأحد بل لنفسه وحده».وقوله لمستر باركر قنصل انجلترا في مصر: «حضرت إلى هذه البلاد وأنا لا أملك شيئًا»

[١٢] بدأ أفول نجم نابليون من بعد أن طلق جوزيفين ليتزوج ماري لويز بنت إمبراطور النمسا.

[13] "Mahmoud, comme s'ill eût voulu reporter sur Ibrahim-Pacha tout l'honneur de cette pacification, nommait celui-ci prince de la Mecque.Le but machiavélique du Sultan était facile à saisir.Cette dignité, suprême dans l'Empire, donnait le pas à son titulaire sur tous les vizirs, et créait ainsi au fils une position hiérarchiquement supérieure à celle de son père.(p.149)

١٤ – ونابليون بدأت شهرته العسكرية باخراج الانجليز من ثغر طولون (فرنسا). احتلوه في ٢٨ أغسطس سنة ١٧٨٦ وأجلو عنه في ١٧ ديسمبر سنة ١٧٨٦، ومحمد على بدأت شهرته العسكرية باخراج الانجليز من ثغر الاسكندرية، احتلوه في ١٧ مارس سنة ١٨٠٧ وأجلوا عنه في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٠٧.

١٥ – ونابليون حضر من فرنسا إلى مصر – ليحتاها – في سنة ١٧٩٨، ومحمد على حضر من تركيا الي مصر –ليخرجه منها– في سنة ١٨٠١[١٤].

١٦ – ولولا نابليون ما كان محمد على، لإنه لولا مجيء نابليون إلى مصر لاحتلالها ما جاء محمد على إلى مصر لإخراجه منها.

١٧ – ولولا مساعي قناصل نابليون التأييد ترشيح محمد على الولاية على مصر لفازت انجلترا بترشيح حليفها محمد بك الألفي، أن السلطان لابعاد محمد على عن مصر عينه واليا على جده ليخلو الجو الي محمد بك الالفي و إلى انجلترا حليفته. إلا أن كانوا لها بالمرصاد، أحبطوا مساعي ودسائس انجلترا وأيدوا مبايعة محمد على. ورجال السياسة الذين عملوا لنصرة محمد على هم: ماتيو دي لسبس Mathieu de Lesseps (والد فرديناند دى لسبس Ferdinand de Lesseps) صاحب قنال السويس، و دروفيتي

[١٤] حضر محمد على إلى مصر مرتين: مرة في سنة ١٧٩٩ فيها شهد موقعة أبي قبر التي انتصر فيها بونابرت على الجيش التركي الذي كان تحت امرة الوزير مصافي باشا وقد نجا محمد على مع من تجا وعاد إلى بلاده.ثم عاد مرة أخرى في سنة ١٨٠١ مع الجيشين التركي والانجليزي الاخراج الجيش الفرنساوى من مصر وانتصر.

Drovetti قنصل نابليون في مصر، و باراندیه Parandier القائم بأعمال حكومة فرنسا لدى الباب العالي، ومانجين Mangin القائم بأعمال القوميسارية في مصر، فقد كتب مسيو ماتيو دي لسبس إلى حكومته يقول «يبدو لي أن البمباشي محمد على هو من دون غيره من كل الزعماء أهل لأن يقضي على الفوضى التي تسوق مصر إلى الخراب وتسوق أهلها إلى الشقاء»[١٥].

وفي هذا الصدد يقول المرحوم الياس بك الأيوبي (وفي ٩ يوليو وصل إلى مصر كانجى من دار السعادة – وكان محمد على منذ أن قبل الولاية قد بعث بالهدايا النفيسة إلى رجالها ليحملهم على اقرار ما فعله علماء مصر. فبعد أن تردد الديوان كثيرًا وماطل كثيرًا انقاد في نهاية

---

[١٥] ورد في كتاب (محمد على وإلى مصر سنة ١٨٠٥ - ١٨٠٧ ما يأتي:

Drovetti allait les défendre avec une habileté peu commune, s'inspirant des deux principes que Lesseps lui léguait pour régler sa conduite; favoriser d'une part Mohamed Aly, qui, dans la grande détresse où était alors plongée l'Egypte, paraissait le seul homme capable d'y rétablir l'ordre, de l'autre prendre en tout et partout le contrepied de la politique anglaise.Ces deux principes n'allaient pas tarder d'ailleurs à se confondre en un seul.V.- Mohamed Aly, Pacha du Caire, 1805-1807."

إلى أن قال:

"Laissé à lui seul, Drovetli eut le mérite de reconnaitre en Mohamed Aly le seul homme capable de gouverner l'Egypte, le seul aussi capable de mettre le pays à l'abri d'un envahissement en cas de rupture avec l'Angleterre.La justesse de ses vues allait, avant peu de mois, recevoir une éclatante confirmation."

وبهذا المعنى يقول كلوت بك (صحيفة ١٠)

"La France par l'intermédiaire de son consul Mr.de Lesseps intervenait en faveur de Mohamed Ali - Clot Bey.P.10."

الأمر إلى نصائح السفير الفرنساوي هناك (وكان قد أوصاه محمد على خيرة القنصل الفرنساوي بمصر واسمه ماتيو دي لسبس Mathieu de Lesseps وهو أبو فرديناند دى لسبس صاحب قناة السويس». (راجع صحيفة ٦٠ من كتابه (محمد على: سيرته واعماله وآثاره): إلى أن قال في صحيفة ٦٩ (اقبل قنصل فرنسا يضع الألغام تحت مساعي زميله القنصل البريطاني ويحول إلى محمد على خدمة خمسة وعشرين مملوكة فرنساويا كانوا تحت لواء الالفي. وما فتيء يؤكد للسفير الفرنساوي في الاستانة أن محمد على صديق صدوق لفرنسا. وان بقاءه واليا على مصر يتفق دون وجود سواه أيا كان مع المصالح الفرنساوية في القطر. وأقبل السفير الفرنساوي في الاستانة يعضد مساعي الرسول الذي أرسله محمد علي إليها بالحوالات السمينة. ويعضدها بكل النفوذ الذي كان يستمده من مولاه نابليون الأول صاحب الكلمة العليا في اوروبا بعد ان قهر النمساويين والروس في موقعة أوسترانز سنة ١٨٠٥)

١٨ – ونابليون سكن في سراي الألفي بك بالأزبكية[١٦] ومحمد

---

[16] "Le 25 Juillet, le général en chef, fit son entrée dans le Caire, descendit à la maison d'Elfy-Bey, située sur la place Ezbékieh.V.Désiré Lacroix.P.125".

وقال المؤرخ بانفيل:

"Bonaparte établit son quartier général, place Ezbékieh, dans le palais d'Elfi Bey.V.Bonaparte en Egypte.par Jacques Bainville.P.36.

حاشية: انشئت حديقة الأزبكية في عهد المغفور له الخديوي اسماعيل باشا.وكانت من قبل بركة حفرها الأمير أزبك.وكان يقوم على هذه البركة قصر المرحوم محمد بك الا اني اجد أمراء المماليك وقد اتخذه نا بليون مسكنة له فيما بعد.ثم سكنه القائدان كليبر Kleber ومينو Menou ثم سكنه الوالي

على باشا سكن مثله في سراي الالفي بك بالأزبكية وفيها ألبسه العلماء الكسوة في ١٣ صفر سنة ١٢٢٠ من الهجرة، وفيها أيضًا تلى فرمان توليته في ٢ ربيع آخر سنة ١٢٢٠ هـ.

١٩ – لما زار إبراهيم باشا في أخريات أيامه ملك فرنسا سكن قصر الإليزيه Elysee في الجناح الذي سكن فيه نابليون ونام إبراهيم باشا في نفس السرير الذي نام فيه نابليون بعد هروبه من جزيرة ألب Elbe.

٢٠ – ونابليون عندما كان يزور الأزهر كان يسمى نفسه (الشيخ علي) بونابرت ليستميل إليه المصريين وليوهمهم بإنه حضر لنصرة الاسلام وحماية المصريين من ظلم الترك والماليك. واسم (علي) يدخل في اسم محمد علي باشا، و(علي) أيضًا هو اسم المملوك الذي خدم نابليون في فرنسا وكان له حظوة عنده. و (محمد علي) هو اسم ابن زبيدة التي تزوجها الجنرال (مينو Menou) [١٧] قائد نابليون الذي حكم مصر بعد اغتيال الجنرال كليبر. ولما أراد أن يرافقه أحد أنصاره St.Denis في منفاه استتر تحت اسم (علي) وادعي إنه مملوك نابليون. و(علي) هو اسم ابن حاكم قواله الذي رأس القوة التركية التي سافرت من قواله إلى مصر وكان مساعده فيها محمد علي ولما سعى نابليون لاستمالة ولاة الشرق الأدنى أرسل رسولا اسمه لافاليت

محمد على باشا الكبير.(راجع صحيفة ٨ من كتاب «بعض حدائق القاهرة» بقلم الأستاذين حسين البابلي وعزيز قدرى).

[١٧] وقد ولد له منها ولد سياه جاك سمايان مراد وامه مقيد في سجلات محكمة رشيد الشرعية.

Lavalete إلى (علي) تبليني Tebeleni باشا يانينا «البانيا». يقابل هذا أن أحمد أغا خازنداره الذي أرسله محمد على إلى جزيرة العرب لقمع ثورة الوهابيين سموه (أحمد أغا بونابرته) الشدة يأسه[١٨]. ومحمد علي نفسه سموه (نابليون الشرق The Napoleon of the East) لعبقريته. ونابليون نفسه لقبوه (المصري L' Egyptien). ورد في تاريخ (نابليون الثالث) وفي صحيفة ٨٥

"Qui serait en état de faire un nouveau Brumaire, sinon "la neveu de l'Egyptien".

٢١ – ونابليون بعد وفاة أبيه كفله عمه ومحمد علي بعد وفاة أبيه كفله عمه طوسون أغا.

٢٢ – ونابليون بايعه الفرنساويون بالاجماع امبراطورة عليهم[١٩] ومحمد على بايعه المصريون بالاجماع واليا[٢٠].

---

[18] Ahmed–Agå, son Kaznadar, dont la réputation militaire était si grande en Egypte, qu'on ne le désignait que par le surnom de Bonaparte.

[١٩] نال ٣,٠٠٠,٠٠٠ صوت ضد ١,٥٠٠ وإلى هذا الاجماع اشار نابليون عندما قال في أول ديسمبر سنة ١٨٠٥:

“Je monte au trône où m'a appelé le veu unanime du Sénat, du peuple et de l'armée.(V.la Vie de Napoléon.P.148.)

[٢٠] بايعه العلماء والأعيان والتجار والموظفون وأصحاب الرأي والوجاهة في البلد.ومن هذه المبايعة كتب قنصال فرنسا في مصر وقتئذ إلى وزير خارجية فرنسا يقول:

"C'est la première fois qu'on voit un pacha proclamé par le peuple".

وقال المؤرخ دريو Driault:

Il ne faudra point oublier que Mohamed Ali fut l'élu du peuple et que sa dynastie est d'origine et de fondation populaire.V.Driault.P.212.

٢٣ – ونابليون كان من أصل أجنبي عن فرنسا[٢١] ويسميه

[٢١]أبوه ايطالي من عائلة بوونابرته Buonaparte وأمه إيطالية من عائلة رامولينو Ramolino اسمها Loetitia ..ولد نابليون في اجاكسيو بجزيرة كورسيكا بعد أن تنازلت عنها جمهورية جنوا Genes الإيطالية إلى لويز الخامس عشر ملك فرنسا بسنة واحدة فقط (في سنة ١٨٦٨) وكانت أمه لا تتكلم إلا اللغة الايطالية.وفي وثيقة زواجه بجوزيفين كتب اسمه وامضى هكذا: (Napoleone Buonaparte) ولما صدر أمر لويس السادس عشر ملك فرنسا بتعيينه ضابطًا كتب اسمه هكذا Napoleone de Buonaparte

ويقول أحد مؤرخيه:

“Il supporta stoïquement les moqueries de ses camarades qui l'ap pelaient " Le Corse" et la "Paille au nez" parce qu'il prononçait son nom "Napoilliolle"

ومن الكلمات التي كانت ترد كثيرًا على لسانه عندما كان يتحمس قوله:

– "Di questo non c'e dubbio (Il n'y a pas de doute la dessus)"

وقوله: – "che mi taglia l'anima"

وقوله: – "il sole mi brucia il cervello"

والمعروف أن أمه كانت لا تحسن الكلام باللغة الفرنساوية:

"La mère de Napoléon parlait mal le français ; on connait son fameux mot "pourvou que cela doure" pour dire "pourvu que ça dure."

ويروي المؤرخ لينوتر Lentre أن أحد ملوك ايطاليا دعا نابليون – وكان وقتئذ قنصل فرنسا الأول Premier Consul – لشهود حفلة ألقى فيها أحد الشعراء (واسمه جياني) قصيدة فهنأه نابليون باللغة الفرنساوية.فالتفت إليه الملك الايطإلى وقال له «ألست ايطاليًا مثلنا؟ ألست واحدًا منا".وها الأصل:

"Celui pour qui la fete était donnée ne comprit d'ailleurs aucune de ces allégories.Il ne prêts attention qu'aux vers d'un improvisateur italien, le célèbre Gianni, qui débita une pièce de circonstance.Comme le premier consul répondait au compliment par quelques mots en français le pauvre roi, qui n'en manquait pas une, lui dit : "Ma in sommo, siete Italiano, siete nostro.(Mais, en somme, vous êtes Italien, vous êtes des nôtres)".Aussitôt Bonaparte riposta, d'un ton coupant, comme une la- me de sabre: * Je suis Français ".Et il tourna le dos à son inepte interlocuteur.V."Napoléon" par G Lonôtre.P.69

ويقول المؤرخ Rosany:

"Napoléon fut conduit à Autun où il devait apprendre quelque peu le français.Il n'avait guère eu le temps de s'initier grosso modo à cette

المؤرخون Le Corse ومحمد علي كان من أصل أجنبي عن مصر[٢٢] ويسميه المؤرخون Le Roumeliote أي الروملي لأن سلاطين آل عثمان سموا مقدونيا «الروملي».

٢٤- ونابليون نودى به امبراطورًا في شهر مايو، ومحمد علي نودى به واليًا في شهر مايو واعتمد واليًا على مصر في ١٧ مايو، نابليون في سنة ١٨٠٤ ومحمد علي في سنة ١٨٠٥ وكان عمر نابليون ٣٤ سنة وعمر محمد على ٣٥ سنة.

٢٥ – ونابليون أنشأ الأسطول الفرنساوي ولم يكن لفرنسا أسطول يذكر، ومحمد علي أنشأ الأسطول المصري ولم يكن لمصر أسطول أصلًا[٢٣].

---

langue, lorsqu'on le transféra à Brienne." V."Napoléon le Grand." par Rosny ainé.

[٢٢]تركي ولد في قواله من اعمال مقدونيا ومقدونيا كان يطلق عليها في عهد السباطنة العثمانية اسم (روملي La Roumelie).

[٢٣] ما كان لمصر في ذلك الوقت أسطول تجارى ولا حربي وما كان في مصر مدرسة بحرية تخرج ملا حين يخوضون البحار ويمر فون مواقع البلاد ومواضع الموانئ والمنائر.وقد روى أحد المؤرخين أن أميرالًا مصريًا أبحر من ثغر الاسكندرية قاصد جزيرة مالطة فتجول في البحر الابيض شهر باحثًا عن مالطة فلم يهتد إليها فرجع إلى الاسكندرية مؤكدة أن جزيرة مالطة لا وجود لها إلا في مخيلة من زعم بوجودها.وها الأصل:

"On cite comme exemple, sous les derniers règnes, un amiral égyptien qui, parti d'Alexandrie, ne put jamais relever le gisement de l'île de Malte, et revint un mois après, en soutenant que Malte, – une fantaisie de géographe, – n'existait que sur le papier".

ولما دعا السلطان محمود محمد على القمع ثورة الوهابيين بنى أول أسطول في ترسانة بولاق وحمله على ١٨ ألف جمل إلى السويس.كما أنشأ ترسانة في السويس.كما أنشأ ترسانة في الخرطوم.وقد عين محمد علي صهره محرم بك لإمارة الأساطيل المصرية فكان أول أمير وناظر البحرية المصرية.ولما دمر الخلفاء الأسطول المصري في نافارين (في بلاد اليونان) أنشأ محمد على أوسمانة الاسكندرية

٢٦ – ونابليون كان رجلًا نفاذًا جبارًا في قوله وفي فعله يقول للشيء «كن فيكون» يعمل عمل سنة في شهر، وعمل شهر في يوم. وعمل يوم في لحظة. عمل في مدينة البندقية في أربعة أيام ما لم يعمله الايطاليون في أربع سنوات، ومحمد على مثله عمل في مصر في أقل من نصف قرن ما لم يعمله سلاطين آل عثمان في ثلاثة قرون.

٢٧ – وفي زمن حملة نابليون –وبالتحديد في ٨ مارس سنة ١٨٠١– نزل الانجليز بثغر الاسكندرية واحتلوه إذ وصل أسطول انجليزى تحت امرة لورد كيت **Keith** ثم زحف الانجليز إلى القاهرة وانتهى الأمر بتسليم الجنرال مينو (الذي خلف الجنرال كليبر بعد اغتياله عن يد سليمان الحلبي[٢٤]) وجلاء الفرنساويون عن القطر المصري في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٠١. وفي زمن محمد على نزل الانجليز في ثغر الاسكندرية في ١٧ مارس سنة ١٨٠٧. وبعدما استولوا عليها أرسلوا قوة عسكرية إلى رشيد للاستيلاء عليها الا أن أهالي رشيد وعلى رأسهم حاكمها العسكري الباسل على بك السلانكلي فتكوا بهم فتكا ذريما. فلم ير الجنرال فريزر الانجليزي الا التحصن في الاسكندرية. ولضمان عدم الهجوم عليه قطع حاجز بحيرة مريوط على ان الامر انتهى به إلى اخلاء الاسكندرية في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٠٧. ولما اتصل نبأ جلاء الانجليز عن مصر وردت إلى محمد على التهاني من السلطان وأعاد إليه

فأخرجت أول سفينة في يوم ٣ يناير سنة ١٨٣١ اسمها «المحلة الكبرى» وكانت مساحة عامة مدفع ولم تمض بضع سنوات حتى أصبح الأسطول المصري رابع أسطول في العالم بن على قرنه الأسطول النمساوي وفاق بكثير الأسطول العثماني.

[٢٤] السكين الذي قتل به سليمان الحلبي الجنرال كايبر محفوظ في متحف كاركاسون بفرنسا.

ابنه إبراهيم الذي كان رهينة عند السلطان.

ومن غريب المصادفات أن يعود الانجليز بعد ٧٥ سنة ويحتلوا القاهرة في يوم ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ على أثر الثورة العرابية. وعسى أن ينجلوا عنها في ١٤ سبتمبر المقبل

٢٨ – ونابليون أنشأ امبراطورية عظيمة شملت فرنسا وألمانيا وإيطاليا و بلجيكا وهولندا واسبانيا[٢٥]. ومحمد على أنشأ امبراطورية عظيمة شملت مصر والسودان وجزيرة العرب وفلسطين وسوريا وجزيرة كريت.

٢٩ – والبابا –وهو خليفة المسيح– حرم نابليون حرما كنسيا واعتبره من الخوارج المارقين. والسلطان محمود –وهو خليفة الرسول– أعلن عصيان محمد على واعتبره من الخوارج المارقين (بعد سقوط عكا في يد الجيش المصري في ٢٧ مايو سنة ١٨٣٢).

٣٠ – ونابليون كان يكره الاحتفالات والزينات التي يعملها الفرد أو الجمهور التكريمه أو لاظهار ولائه. يقول عن هذه الحفلات وعن الزينات إنها خزعبلات لا تليق بعظمة الرجل العظيم بنفسه وبأعماله.

---

[25] "En 1809, l'Empire français, et ses dépendances, a atteint (1) son maximum de grandeur,.Il s'étend loin au delà de ses frontières naturelles, le Rhin et les Alpes.La confédération du Rhin, qui comprend, entre autres, la Westphalie, la Saxe et la Bavière, est sous le pied du Maitre.

Il s'est fait roi d'Italie, une Italie réduite dont Eugène est le vice-roi.Murat règne à Naples, dominé par sa femme, Elisa Bonaparte.En Espagne, Joseph est un roi funambulesque.P.202.Napoléon le Grand, par Rosny.

حدث إنه بعد أن انتصر على النمساويين في موقعة مارنجو **Marengo** الشهيرة أراد العودة إلى باريس فلما وصل إلى مدينة ليون اتصل به آن شعب باريس يريد أن يقيم له أقواس نصر ويستقبله باحتفالات وزينات فكتب في ٢٩ يونيه سنة ١٨٠٠ من مدينة ليون إلى أولى الحل والعقد في باريس يخبرهم بإنه لا يريد من هذا شيئًا[٢٦].

ومحمد علي مثله يكره مظاهر الفخفخة والأبهة ويميل إلى البساطة. حدث إنه لما عاد ابنه إبراهيم باشا من بلاد الحجاز بعد أن قهر الوهابيين استقبله الشعب المصري استقبالا باهرا جدا وأقام له معالم زينات كثيرة. اتدرى ماذا كان من أمر محمد علي؟ انزوى في عقر دار واكتفي بأن شاهد الموكب من شرفة تطل على الشارع وترك الأبنه إبراهيم الاستئثار وحده برؤية الشعب ملتفا حوله مظهرا فرحه وابتهاجه . . . .

٣١- ونابليون أطلق اسمه على مدينة ألمانية "ولهامسهوهي **Wilhelmshole**"[٢٧] وسماها "نابليونهوهى **Napoleoushshe**"[٢٨]،

---

[26] "J'arriverai à Paris à l'improviste.Mon intention est de n'avoir () ni arc de triomphe ni aucune espèce de cérémonie.J'ai trop bonne opinion de moi pour estimer beaucoup de pareils colifichets.Je ne connais pas d'autre triomphe que la satisfaction publique.P.109-110.

[٢٧] ومن المصادفات القريبة أيضًا إنه لما انتصرت المانيا على فرنسا في حرب السبعين وسلم نابليون الثالث نفسه إلى ملك بروسيا أمر بسمارك باعتقاله في هذه المدينة التي كان عمه نابليون الأول سماها باسمه.

[28] "Nous sommes allés à pieds Jusqu'à Wilhelmshohe, superbe château à deux milles de Cassel, le plus remarquable que j'aie vu en Allemagne, à l'exception de Postdam.Nous avons pu voir l'échafaudage élevé sur la façade qui est du côté de Cassel, qui avait servi aux ouvriers chargés d'enlever l'inscription "Napoleonshohe" et

ومحمد علي أطلق اسمه في أول فبراير سنة ١٨٣٩ على بلدة في السودان «فامكة» في منطقة فازانجورو وسماها «حلة محمد علي» أو «مدينة محمد علي» وقد اندثرت المدينة فزال الاسم بزوال المدينة وهي تقع في وسط جبل فامكة في الجنوب الشرقي لروصيرص وتبعد ٢٥ ميلا عن حدود الحبشة وكان غرض محمد على من أنشأء هذه المدينة صد غارات الأحباش علي السودان و أنشأء معسكر يحمي رجاله الذين استعمالهم لاستخراج الذهب من جبال «فاز أوغلى» ومن نهير اسمه «تمت».

٣٢ – ونابليون أسس في فرنسا مدينة سماها نابليون فانديه Napoleon Vendee أصلها قرية خربة اسمها روش علي نهر يون la Roche sur von)[٢٩]، ومحمد على أنشأ مدينتين في السودان (الخرطوم في سنة ١٨٢٣ «١٢٣٨ من الهجرة». وكسلة في سنة ١٨٣٤ «١٢٤٩ من الهجرة»).

٣٣ – ونابليون أول من شرع في تنفيذ فكرة حفر قنال السويس اما من البحر الابيض إلى البحر الأحمر، أو من النيل إلى البحر الأحمر[٣٠].

---

qu'on avait laissé là dans l'intention de l'utiliser pour faire remettre l'ancienne inscription "Wilhelmshohe." (Napoléon et Byron.P.94.)

[٢٩] أصدر أمره بتأسيس هذه المدينة في ٢٥ مايو سنة ١٨٠٤.وبعد ما انفق في تشييدها ٤٠٠,٠٠٠ جنيه (عشرة ملايين فرنك ذهب) افتتحها بنفسه في يوم ٨ اغسطس سنة ١٨٠٧.ولكن بعد إنهيار امبراطورية نابليون عاد إلى المدينة اسمها القديم.وقد أقيم في أحد ميادينها تمثال لنابليون.

[30] Année 1799.Janv.2.Belbeys.- Je m'occupe dans ce moment-ci à faire faire les opérations nécessaires pour désigner l'endroit par où l'on peut faire passer les eaux pour joindre le Nil et la mer

لأن حكومة فرنسا عندما أمرت بتجهيز حملة لغزو مصر كلفت قائد الحملة أن يشق برزخ السويس وأن يجرى الاعمال اللازمة ليضمن للجمهورية الفرنساوية الاستيلاء على البحر الأحمر استيلاء تامًا (وثيقة ١٣ أبريل سنة ١٧٩٨) وبمجرد وصول الحملة إلى مصر واستيلاء بونابرت على القاهرة بدأ بعمل التمهيدات اللازمة لحفر القنال، فسافر هو بنفسه مع بعض المهندسين إلى السويس وعاين أراضي المنطقة. الا أن الظروف لم تمكنه من تنفيذ الفكرة[٣١]. وفي عهد محمد علي أعاد ثلاثة من كبار المهندسين الفرنساويين الذين كانوا في خدمة محمد علي (وهم لينان بك **Linant** المشرف على حفر الترعة في مصر. وجاليس بك **Galice** مدير إدارة. وموجيل بك **Mougel** مدير خزانات النيل) النظر في أمر حفر القنال إلا أن ظروفًا سياسية –منها معارضة انجلترا– حالت دون تنفيذ المشروع.

٣٤– ونابليون أول من فكر في إنشاء القناطر الخيرية. ومحمد على أخذ عن نابليون الفكرة وشرع في تنفيذها ووضع أول حجر في سنة ١٨٤٧ [٣٢] إلا أن ظروفًا مالية وفنية حالت دون اتمام المشروع بعد أن

Rouge.Cette communication a existé jadis, car j'en ai trouvé la trace en plusieurs endroits.Vie de Napoléon p.70.

[٣١] وكتب نابليون في ٢٧ فبراير سنة ١٨٠١ يقول:

"Le canal de Suez, qui joindrait les mers de l'Inde à la Méditerranée est déja tracé: c'est un travail facile et de peu de temps qui peut produire des avantage incalculables au commerce.V.Vie de Napoléon.P.117.

"[32]L'idée d'un barrage du Nil conçue par le général Bonaparte, – reçut un commencement d'exécution.(V.Mouriez P.32).

وقال كلوت بك:

أنفق محمد على نصف مليون جنيه(٣٣).

٣٥ - ونابليون أول من ابتكر طريقة تنظيم جيشه في حالة الدفاع بشكل مربعات (استعملها في موقعة امبابة التي انتصر فيها على المماليك(٣٤)) ومحمد على أول من أخذ عنه الطريقة نفسها واستعملها في بلاد العرب عندما حارب الوهابيين.

"Napoléon avait dit, dans les notes rapidement écrites, d'après les impressions que lui avait laissées son passage en Egypte:

"Un travail que l'on entreprendra un jour sera d'établir des digues qui barrent les branches de Damiette et de Rosette au Ventre-de-la-Vache, ce qui, moyennant des bâtardeaux, permettra de laisser passer successive ment toutes les eaux du Nil dans l'est et l'ouest, dès lors de doubler l'inondation".

"Les ingénieurs employés par le vice-roi n'ont pas du lui laisser ignorer et le projet conçu pendant l'expédition française, et les études entreprises pour en préparer l'exécution.Méhémet-Ali a été frappé de l'importance d'un travail semblable, par lequel les possesseurs de l'Egypte se rendraient maitres absolus du Nil, c'est-à-dire auraient en leurs mains un moyen tout puissant d'obtenir du sol tout ce qu'il peut donner.V.P.370 T.2.l'Egypte par Clot-Bey.

(33) "Chaque portion de travail exécutée ne se trouvait pas en parfaite harmonie avec celle qui l'avait précédée, quand elle ne l'annulait pas tout à fait, et qu'en fin de compte, après avoir remué de la terre, du bois, de la pierre et des métaux, dépensé cent mille bourses et plus, Méhamet Ali, parvenu à une lassitude complète, pressé d'ailleurs par les tristes conjonctures de la politique extérieure, se résigna à abandonner à peu près complètement le barrage.(p.104).

(34) "Pour résister à la cavalerie des mamelouks, à leur manière de combattre et à leurs charges impétueuses, le général-en-chef ،le fameux carré dont n'ayant pas lui-même de cavaliers, inventa l'efficacité se reconnut tout de suite.V.Bainville.P.32 ".

٣٦ – ومحمد على أول من استعان بضباط من جيش تابليون لتنظيم الجيش المصري منهم الكولونيل «سيف Seves» الذي أسلم وصار سليمان باشا الفرنساوى والكولونيل «فيسير Vaissieres» والكولونيل «بلانا Jules Planat» الذي صار في وقت ما رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصري و«سير يزى Cerisy» الذي أنشأ ترسانة الاسكندرية وأنشأ الأسطول المصري. كما استعان بطائفة من رجال نابليون ومن علماء فرنسا مثل مسيو بيسون Besson (وكان ضابطا في بحرية نابليون)، ولبنان باشا Linant و جاليس Galice وسولون Solon وموجيل بك Nougel Bey وكلوت بك Clot Bey ولامبير Lambert وجوريل Jorelle وبيرون Perron وفرنيل Fresnel وتيبوديير Thibaudiere وروسية Rousset وغيرهم وغيرهم وهم كثير.

٣٧ – ونابليون انتزع من البابا سلطته. ومحمد على استصدر من شريف مكة فتوى بأن السلطان محمود خائنًا ويستحق العزل.

٣٨ – ونابليون استولى على أملاك الكنائس في فرنسا(٣٥) ومحمد علي استولى على نصف ايرادات أوقاف الجوامع والمساجد ثم مالبث أن استولى على البقية الباقية منها. ولم يقف عند هذا الحد بل أمر بفحص

---

(35) Napoléon ayait enlevé au Saint Père une partie de ses domaines.V.Napoléon le Grand par Rosny ainé.

إلى ان قال:

"Napoléon gardait les terres de l'Eglise et même en prenait de nouvelles, tellement que les Etats du Pape menaçaient d'être réduits antant, P.193".

جميع الأطيان الرزقة والأوقاف ثم حلها وأمر الكشاف بالاستيلاء عليها ولم يبق من الاطيان الموقوفة شيئًا على أصله.

٣٩ – وأسطول نابليون حطمه الانجليز في أبي قير في أول أغسطس سنة ١٧٩٨[٣٦] كما حطموا له أسطولا آخر في ترافالجار Trafalgar «الطرف الأغر» في ٢٠ أكتوبر سنة ١٨٠٥، وأسطول محمد على حطمه الانجليز وحلفاؤه في نافارين Navarin (اليونان) في ٢٠ أكتوبر سنة ١٨٢٧[٣٧].

٤٠ – وتركيا أعلنت الحرب على نابليون لما غزا ديار مصر. وتركيا أعلنت الحرب على محمد على الما غزا فلسطين وفتح غزة ويافا وحاصر عكا.

٤١– ورأى نابليون في بابا روما وأساقفته مثل رأى محمد على في سلطان تركيا ووزرائه. لما اشتد الخلاف بين نابليون والبابا ورجال الدين قال:

On peut tout acheter, méme le Pape et l'Eglise catholique. . . V. P. 131. 6 Stein "par Grunwald .

وقد فعل[٣٨]

---

[٣٦] وقد بلغت خسائر الفرنسا و بين ١٧٠٠ قتيل و ١٥٦٠ جريحا و ٣٠٠٠ أسير أما خسائر الانجليز فكانت ٢١٨ قتيلًا و ٦٧٧ جريحًا.

[٣٧] وقد بلغت خسائر الأسطول المصري ٨٩ سقينة كانت تحت قيادة محرم بك (زوج بنت محمدعلي).

[38] "Napoléon offrit une tiare qui fut payée à l'orfèvre (r) Auguste 180.000 francs ; elle était couverte de 2.636 brillants pesant 358 carats ; la croix seule en était composée de 12 brillants, de 352 roses de

ولما اشتد الجفاء بين محمد على وسلطان تركيا قال:

"أني أعرف الاتراك. هم قوم يبيعون أنفسهم أن وجدوا من يشتريها".

قال هذا لما أرادت تركيا اخراجه من مصر وتعيينه واليا على سلانيك وأمرته بتسليم ولاية مصر إلى خلفه موسى باشا[٣٩].

٤٢ – وانجلترا حار بت نابليون. وانجلترا حاربت محمد علي.

٤٣ – ونابليون أول من فك زمام أطيان فرنسا، ومحمد على باشا أول من فك زمام أطيان مصر (أصدر أمره وهو غائب في الحجاز).

٤٤ – ونابليون بونابرت أصدر في خلال سنة ١٧٩٨ في مدة احتلاله مصر جريدتين «الديكاد **Decade Egyptienne** والكوربيه **Le Courrier d'Egypte**»، ومحمد على باشا أصدر في مدة ولايته على مصر جريدتين «الوقائع المصرية» في ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٢٨ و«جورنال الخديوي».

Hollande, de 267 rubis d'Orient, de 68 émeraudes, de 10 saphirs, de 2.174 perles,"

إلى أن قال المؤرخ روسنى:

"Les présents qu'il offrit au Saint-Père furent splendides; outre la tiare de 180.000 francs, il lui fit don d'une chapelle en or repoussé qui ne fut, d'ailleurs, ni terminée, ni livrée, et qu'on envoya en 1810 à Saint-Denis.Chacun des cardinaux reçut un rochet en dentelles, de la valeur de 10.000 francs; on distribua au service d'honneur et aux domestiques 220.000 francs de diamants.Quant aux tabatières, nul ne pourrait les compter ; tout l'atelier d'Isabey était occupé à peindre en miniature le buste de l'Empereur que l'orfèvre Biennais montait sur des boites d'or, et qu'on distribuait à foison.(V.Napoléon, Croquis de 1'épopee P.97 et 107).

[٣٩] راجع ما ورد في صحيفة ٦ من هذا الكتاب.

٤٥ – ونابليون عفا عن السيد عمر مكرم، ومحمد علي عفا عن السيد عمر مكرم (بعد أن غضب عليه ونفاه). كتب نابليون إلى حكومته في ١٣ من شهر مارس سنة ١٧٩٩ يقول:

"J'ai pardonné aux Mamlouks et aux Kachefs que j'ai pris à El-Arych, j'ai pardonné à Omar-Makram, cheikh du Caire, j'ai été elément envers les Egyptiens ..."V. "Bonaparte en Egypte" par Désiré Lacroix. P. 275

٤٦ – ونابليون بدأ يتعلم القراءة والكتابة باللغة الانجليزية وهو في العقد الخامس من عمره «في سن ٤٥ سنة»[٤٠] ومحمد على بدأ يتعلم القراءة والكتابة باللغة العربية وهو في العقد الخامس من عمره «في سن ٤٥ سنة»[٤١].

---

[٤٠] كان معلمه لاس كاز مؤرخ حياته وهو صاحب كتاب Le Mémorial de Sainte-Hélène وهو الكتاب الذي ربح مؤلفه من طبعه وإعادة طبعه ٨٠,٠٠٠ جنيه.

[٤١] يقول رفاعه بك في كتابه «مناهج الألباب» أن محمد علي (تعلم القراءة والكتابة في أقرب وقت و عمره ٤٥ سنة اذ ذاك جبراً ما فاته في زمن الصغر وتداركا لما يزيد في مجده في زمن الكبير ...).وقد تولت تعليمه القراءة والكتابة سيدة جركسية كانت على شيء من العلم والأدب عرفت باسم أوقومش أي «الأستاذة» (أو قومش قادين أفندي) وكانت هذه السيدة تور كتيرة الأميرة زينب هانم بنت محمد على باشا صاحبة الأراضي المقام عليها فندق شبرد وسائر المباني المجاورة لها.وزينب هانم هي التي تزوجت فيما بعد بكاءل باشا أحد كبار رجال الدولة العملية و قديمى با سه الشارع الواقع فيه فندق شبرد شارع كامل (وهو الآن شارع إبراهيم باشا).و من السيدات اللاتي أخذن العلم والأدب عن أو قومش هذه حرم الأميرال حسن باشا الإسكندراني ويقال ان أو قومش هذه كتبت مصحفة بخط بها ويظن ان هذا المصحف محفوظ حتى الآن عند ورثة الأمراء حليم باشا (أما الأمير سعيد باشا حليم أو الأمير عباس باشا حليم).ومن تعلم لغة اجنبية على كير: عصمت اينونو رئيس جمهورية تركيا.ومدحت باشا الصدر الأعظم، والسيد محمد جمال الدين الافغاني.وسعد باشا زغلول.والأمام

٤٧ – وكان من عادة نابليون إذا ما شغلته بعض الشواغل أن يذرع الغرفة التي هو فيها ذهابا وجيئة واضعا يديه خلف ظهره، وكان محمد على مثله يذرع الغرفة التي يكون فيها واضعا يديه خلف ظهره(٤٢).

٤٨ – سمى المصريون نابليون بونابرت عندما كان في مصر السلطان «الكبير» Le Sultan Kebir وسموا محمد علي محمد علي باشا "الكبير"(٤٣).

٤٩ – وفي جبل المقطم اجتمع قصر محمد على بقلعة نابليون.

٥٠ – ونابليون كان يحب لعبة الشطرنج(٤٤). ومحمد علي كان يحب لعبة الشطرنج(٤٥).

الشيخ محمد عبده.وإبراهيم بك الهلباوي.ومصطفى باشا عبد الرازق، والعلامة انشتين صاحب نظرية النسبية تعلم اللغة الانجليزية وعمره ٦٦ سنة.

(42) "C'était du reste l'air qu'il chantait, en se promenant les deux mains derrière le dos, dans ses heures de contrariété".(V."Napoléon.Croquis de l'épopée ".par Lenotre P.149).

ويقول مورييز عن محمد على:

"Il se tient très droit: il a souvent les mains croisées derrière le dos".

(٤٣) في مكتب حضرة صاحب الدولة اسماعيل صدقي باشا صورتان الأولى لمحمد على باشا الكبير والثانية لنا بليون بونابرت وها البطلان اللذان يعجب بهما صدق باشا بين أبطال التاريخ.

(٤٤) حدث ان ارسل إليه شخص اسمه الفنستون Elphington لعبة الشطرنج من بلاد الصين هدية اعترافا بجميل له عليه هو عنايته بأخ له جرح في معركة واترلو Waterloo وكان نابليون في منفاه جزيرة سنت هيلانه فاعترض هودسون لو Hudson Lowe حاكم الجزيرة بحجة إنه وجد منقوشة عليها حرف «ن» يعلوه تاج والنون اول حرف من اسم نابليون والتاج رمز كونه امبراطورًا.

(٤٥) راجع صحيفة ١٤١ من كتاب (محمد علي للأستاذ الأيوبي ويقول مؤرخ حياته اميديه ساكريه:
"Il aime beaucoup les jeux d'échecs et de dames, dans lesquels il est assez fort.Il joue sans prétention avec des officiers de grades peu élevés, quelquefois même avec de simples soldats ".V.– Amedee Sacré.

٥١ – وفي مدة وجود نابليون في مصر – في ٢٢ اكتوبر سنة ١٧٩٩ – قامت ثورة في القاهرة عليه وعلى جنوده قتل فيها من جنود نابليون ٨٠٠ منهم الجنرال دوبوي **Dupuis** والضابط سولكوسكي **Sulkoski** ياور بونابرت (وهو الذي أطلقوا اسمه على الحصن الذي شيدوه داخل جامع الظاهر بيبرس بالعباسية). وفي عهد ولاية محمد على قامت ثورة في القاهرة. ثار الالبانيون على محمد على وقصدوا السراي التي كان يقطنها ونهبوا مافيها[٤٦]، وفي سنة ١٨١٦ سخطوا على محمد علي لما شرع في تنظيم الجيش على النمط الحديث الأوروبي فتألم الالبانيون وقرروا اغتياله، إلا أن عابدين بك الذي شهد مجلس المؤامرة خدعهم وذهب سرا إلى محمد على وأفشى أمر المؤامرة فاحتاط محمد على وفشلت المؤامرة[٤٧].

٥٢ – ونابليون حمل حملة شعواء على الخونة من الموظفين المرتشين وعلى المقاولين الذين يرشون. حدث أن أهدى إليه رجلا جوادين مهمين فتسامهما ولما عرض دفع منهما رفض المهدي فأمر نابليون بالقبض عليه ويحبسه ستة شهور وتغريمه نصف مليون فرنك لإنه عد الهدية رشوة. ولما حقق وجد أن طائفة من هازى الفرص ربحوا أرباحا

"[46]Méhémet-Ali avait bien prévu que telle serait l'issue de la tourmente: son palais fut le premier attaqué ; les gardes qu'il y avait laissés répondirent pendant un instant au feu de l'assaillant, quelques hommes furent tués de part et d'autre ; puis les Albanais forcèrent les portes, et mirent tout à sec (". (p.162)

[٤٧] راجع تفصيل هذه المؤامرة في الجبرتي عن حوادث ٢٥ شعبان سنة ١٢٣١هـ .

طائلة من توريد المهمات لجيوشه فألزمهم بأن يردوا إلى الخزانة ٨٧ مليون فرنك وأن يردوا ما اختزنوه من المهمات والمؤن والذخائر بثلث قيمتها وأن يضمنوا متضامنين كل عجز يظهر فيما بعد. رفض أحد أثرياء الحرب واسمه (أوفرار) رد ثمانية ملايين فرنك فقبض عليه وأودع السجن(٤٨). ومحمد علي مثله. وحكايته مع جرجس الجوهرى معروفة إذ أن الجوهري كان متولي الحسبة العام فلما طالبه محمد علي بحساب خمس سنوات راوغ فألزمه برد ٤٥٠٠ كيس (٢٢. ٥٠٠ جنيه). وما عمله مع المعلم جرجس الجوهرى، عمل مثله مع متولي الحسبة في الأقاليم، وألزمهم برد أموال كثيرة.

٥٣ – وابن نابليون بقي في فينا عاصمة النمسا معتقلًا لايغادرها من سنة ١٨١٥ إلى أن توفي في ٢٢ يوليه سنة ١٨٣٢ – وابن محمد علي (إبراهيم) بقي في استانبول عاصمة تركيا مدة سنة رهينة **otage** حتى يدفع والده ٤٥٠٠ كيس (٢٠. ٠٠٠ جنيه) كان تعهد بدفعها مقابل تثبيته في الولاية على مصر.

---

(48)Un certain Thévenin offre en cadeau à Bonaparte de beaux chevaux que le général a retenu, mais dont le prévaricateur de veut pas accepter le prix.Faites-le arrêter et retenir six mois en prison.écrit-il, il peut payer 500.000 francs.V."Napoléon." par Rosny.P.69.

وقال المؤرخ لينوتر Lenotre:

"Il faut lire ces pages émouvantes où l'empereur, comme un dieu armé de la fondre, contraint les profiteurs de guerre à restituer sa trésor 87 millions, à livrer tous leurs approvisionnements pour le tiers de leur valeur et à se reconnaitre solidairement garants du surplus cm déficit.V."En Suivant l'Empereur ".par Lenôtre.P.40.

٥٤ – ونابليون أنشأ في فرنسا محاكم مختلطة تحكم في المسائل المدنية وفي المسائل الجنائية[٤٩]. ومحمد على أنشأ في مصر وفي الاسكندرية محاكم مختلطة تفصل في المنازعات التي تقوم بين المصريين والأجانب (وقد عاونه في أنشأئها وزيره أرتين بك والد يعقوب باشا أرتين الذي كان وكيل نظارة المعارف في عهد الخديوى عباس).

٥٥ – عرضت الدول المتحالفة على أوجين (ابن جوزيفين زوجة نابليون وأحد كبار أنصار نابليون) عرش ايطاليا إذا تخلى عن نابليون وانضم إلى الحلفاء فرفض. وعرضت الدول المتحالفة نفسها على سليمان باشا الفرنساوي أحد كبار انصار محمد على عرش جزيرة قبرص يتوارثه ابناؤه وولاية سوريا مدى الحياة ومكافأة ١٠. ٠٠٠ جنيه ولقب أمير إذا تخلى عن محمد على وانضم إلى الحلفاء فرفض.

٥٦ – ونابليون بطش بأعدائه أنصار الملوكية فشنق ١٢ وفتك بالكثيرين وقبض على دوق دانجين (من سلالة ملوك فرنسا) وحاكمه وأعدمه في أقل من ٢٤ ساعة. ومحمد علي بطش بالمماليك وقتل منهم ٤٥٠ وفتك بالباقين[٥٠] وذلك في أول مارس سنة ١٨١١ على أثر

---

[49] Pour en fiuir plus vite, il créa des tribunaux mixtes, mi–civils, mi–militaires, qui reçurent l'ordre d'y aller rondement.Leurs jugements étaient sans appel.Ces tribunaux firent de la bonne besogne.La terreur règna, que Bonaparte voulait éphémère, mais efficace ".V."Napoléon "par Rosny.P.132

[٥٠] يقول بعض المؤرخين –مثل دريو– أن عدد من قتل يبلغ ٨٠٠ منهم ٢٥ من البكوات –كان يتزعمهم جاهين بك– و٦٠ كاشفًا.وقد نهب العسكر ١٢٠ بيتًا من بيوت المماليك وقدرت قيمة ما سلب بمبلغ ١٠٠,٠٠٠ جنيه.إلا أن محمد على لإظهار سخطه على من آثار هذا الشغب أمر بإعدام ٢٠ منهم رميًا بالرصاص.

حفلة تسليم ابنه طوسون قيادة الجيش المصري الذي سافر إلى بلاد العرب لقمع تنورة الوهابيين.

٥٧ – ونابليون جيشت حكومة النمسا ضده أربعة جيوش جرارة في خلال ستة شهور فهزمها كلها شر هزيمة. ومحمد على جيش السلطان محمود ضده أربعة جيوش جرارة هزمها كلها شر هزيمة في مشارف سوريا وبطاح الأناضول[٥١].

ولهذه المذبحة سوابق في التاريخ منها:

– مذبحة العساكر الانكشارية في الاستانة بأمر السلطان محمود.

– ومذبحة الستزليتز Strelitz بأمر بطرس الأكبر قيصر روسيا.والاسترليتز جنود عددهم ١٢,٠٠٠ مثلهم كان كمثل الجنود الانكشارية طغوا وبغوا حتى أصبح لهم كل حول وكل طول وكانوا يعارضون في كل اصلاح بريد القيصر ادخاله في نظام الحكم في روسيا فلما ضاق بطرس الاكبر منهم ذرعة فتك بهم وأفناه عن آخرهم.

– ومذبحة سان برتلمي Saint-Barthélémy.ومحصلها إنه في زمن شارل التاسع ملك فرنسا أمر الملك في ٢٤ أغسطس سنة ١٥٧٢ بقتل جميع البروتستانت.

– ومذبحة ليالي صقلية Vapres siciliennes.ذلك أن الفرنساويين أرادوا في سنة ١٢٠٢ احتلال جزيرة صقلية.ولتمكين احتلالهم لهذه الجزيرة استعملوا منتهى القسوة مع الاهالي وفرضوا عليهم ضرائب فادحة وعاملوه بكل شدة فثار الاهإلى على الفرنساويين وفتكوا به قتلا وذبحة ولم ينج منهم إلا اثنان فقط.

– ومذبحة فيرونا Paques véronaises.في ١٦ ابريل سنة ١٧٩٧ وفي ثاني يوم عيد الفصح ثار أهالي فيرونا على الفرنساويين الذين كانوا احتلوا هذه المدينة وذبحوه عن آخرهم.

– ومذبحة يوم الجمعة الحزينة في البانيا Le Vendredi-Saint albanais .وهو اليوم من غدر فيه جيش موسوليني بأهالي البانيا عندما غزاها بدون أن يشهر عليها الحرب وكانت الملكة جبر الدين زوجة الملك أحمد زوغو قد وضعت حديثًا.

– ويوم ١٥ أغسطس اليوناني، ويسمونه le Quinze-Août héllénique.وهو اليوم الذي أغرقت فيه غواصة ايطالية السفينة اليونانية «هيلا» بدون ان يكون بين ايطاليا واليونان حرب فغرق جميع ركاب الباخرة وكانوا يعدون بالمائين.

[٥١] الجيش الأول كان بقيادة عثمان باشا وإلى حلب هزمه الجيش المصري في ١٤ يوليه سه ١٨٣٢ والجيش الثاني بقيادة محمد باشا هزمه الجيش المصري في حمص (٨ يوليه سنة ١٨٣٢).وحش الثالث بقيادة حسين باشا هزمه الجيش المصري في بيلان (٣٠ يوليه سنة ١٨٣٢).وحين الرابع بقيادة

٥٨ – ونابليون دخل روما عاصمة المسيحية غازيًا وزوجته جوزيفين دخلتها من بعده في يوليه سنة ١٧٩٦ وعلى رأسها هالة من العظمة والجلال. ومحمد علي دخل مكة عاصمة الاسلام غازيًا (في ٦ اكتوبر سنة ١٨١٣)[٥٢] وزوجته أمينه هانم دخلتها من بعده في رمضان سنة ١٢١٤ وعلى رأسها هالة من العظمة والجلال (وسماها أهالي الحجاز ملكة النيل)

٥٩ – ونابليون نازل أعداءه في ٦٠ موقعة[٥٣] في فرنسا وفي ايطاليا وفي النمساوفي ألمانيا وفي روسيا وفي بروسيا وفي بلجيكا وفي فلسطين وفي مصر. ومحمد علي نازل أعداءه في مثلها في مصر وفي بلاد الحجاز والين وفي السودان وفي بلاد اليونان وفي فلسطين وفي سوريا والأناضول.

٦٠ – وانجلترا هي التي تزعمت دول أوروبا للحد من أطاع وآمال نابليون. وانجلترا هي التي تزعمت دول أوروبا للحد من أطماع وآمال محمد علي.

رشيد باشا (٦٠,٠٠٠ تركي) هزمه الجيش المصري في قونيه (في ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٣٢) واسر قائده رشيد باشا (وكان عدد الجيش المصري ٣٠ ألف).وفي خلال سنة ١٨٣٩ –أي بعد سبع سنوات من الوقائع السابقة– جرد السلطان محمود جيشًا خامسًا تحت قيادة حافظ باشا هزمه الجيش المصري في ٢٤ يونيه سنة ١٨٣٩ وهي واقعة نزيب.

[٥٢] في فرمان رجب سنة ١٢٢٩ (سنة ١٨١٣) لقبه السلطان لأول مرة (بالحاج) محمد علي باشا.اما السلطان محمود فلقب نفسه (بالغازي) مع أن الذي غزا الحجاز واستولى على مكة هو محمد علي.

[53] "La guerre est un singulier art.Je vous assure que j'ai livré soixante batailles ; eh bien, je n'ai rien appris que je ne susse dès la première ". V.Rosebery.P.239

٦١ – وجرى لمحمد علي مع الانجليز ماجرى لنا بليون من قبل. ذلك إنه بعد أن حطم الانجليز الأسطول الفرنساوي في أبي قير و بعد أن فشل بونابرت في فتح عكا وبعد أن قطعت المواصلات بين فرنسا ومصر، و بعد أن نقص عدد جنود الحملة الفرنساوية من ٣٠. ٠٠٠ الى ١٥. ٠٠٠ فكر الجنرال كليبر Kleber – الذي خلف الجنرال بونابرت – في مفاوضة الانجليز والترك للجلاء عن مصر و بالفعل أمضى نائب قائد الحملة الفرنساوية مع الانجليز والترك اتفاق الجلاء في العريش في ٢٤ يناير سنة ١٨٠٠ ونفذ معظم شروط الجلاء بالفعل فأخلى كثير من المدن وسلم الترك ما سلم. الا إنه بعد الجلاء الجزئي و بعد تسليم بعض المواقع ورد الجنرال كليبر خطاب من الأميرال الانجليزى كيت Keith فيه يخبره بإنه لا يصادق على اتفاق العريش الذي أمضاه الكومودور سيدني سميث Sidney Smith باسم الحكومة الانجليزية وشرط أن يكون التسليم بلا قيد ولا شرط. هاج الجنرال كليبر على هذا الغدر وصمم على القتال وقال كلمته المشهورة:

"Soldats! On ne répond à de telles insolences que par la victoire: Préparez-vous à comdatre".

وفي يوم ٢٠ مارس التقي الجيش الفرنساوي بالجيش التركي الذي كان تحت قيادة يوسف باشا الصدر الأعظم في هليوبوليس(٥٤) والتحم

(٥٤) تذكرني واقعة عين شمس هذه –واقعة ٢٠ مارس سنة ١٨٠٠– بواقعة أخرى وقعت في عين شمس نفسها في شهر يوليه سنة ٦٤٠ ميلادية – أي قبل الواقعة الأولى بألف ومائة وستين سنة يغفلها كثير من المؤرخين.ذلك أن عمرو بن العاص لما غزا مصر ووصل إلى عين من قتل

الفريقـان وانتهـت الموقعـة بهزيمـة الجـيش التركـي وانتصـار الجـيش الفرنساوى مع أن عدد جنود الجيش الفرنساوى كان ١٠. ٠٠٠ وعدد جنود الجيش التركي كان ٨٠. ٠٠٠.

أما محمد علي فبعد أن قبل الجلاء عن س وريا وقبل رد الأسطول التركي إلى الباب العالي مقابل تخويله ملك مصر الوراثي بضمانة الدول وبعد أن تم هذا الاتفاق ووقع عليه الكومودور نابييه **Napier** نائبًا عن الجانب الانجليزي ووقع عليه بوغوص بك يوسف وزير الخارجية نائبا عن محمد على وذلك في ٢٧ نوفمبر سنة ١٨٤٠ وإذا خطاب يرد إلى محمد علي من الأميرال ستوبفورد **stopford** قائد القوات الانجليزية برفض الاعتراف بهذا الاتفاق بحجة أن الكومودور نابه جاوز اختصاصه ولا يملك عقده وأيده في هذا الرد السلطان الذي أصر على تنفيذ فرمان عزل محمد على كما أيده نورد بونسومبي **Ponsomby** سفير انجلترا في الاستانة الذي أعلن بطلانه.

٦٢ – ونابليون وهو فرنساوي ثار على ملك فرنسا وغصب ملكه. ومحمد علي وهو تركي ثار على سلطان تركيا وغصب ملكه.

٦٣ – ونـابليون حاصـر عكـا ٦٢ يومًـا فـي خـلال سـنة ١٧٩٩ وفشـل[٥٥]، وإبراهيم باشا ابن محمد على حاصر عكا ستة شهور في

الروم.وكان جيش عمرو يبلغ ١٥,٠٠٠ مقاتل وجيش الروم ٣٠,٠٠٠ وقد أنتصر عمرو على نيودور قائد الروم انتصارًا مبينًا سهل له فتح مصر كلها.

[٥٥] لهذ اسماها المؤرخون الافرنج La Pucelle–البكر او العذراء– وقلعة عكا قلعة حصينة استولى عليها بطليموس ملك مصر و سماها باسمه Ptolemais

خلال سنة ١٨٣٢ ونجح. (سقطت عكا في ٢٧ مايو سنة ١٨٣٢).

٦٤ – ولما حاصر نابليون بونابرت عكا في سنة ١٧٩٩ نصب خيمته على بعد بضعة كيلو مترات من قلعة عكا. ولما حاصر جيش محمد على عكا في سنة ١٨٣١ نصب ابنه إبراهيم باشا خيمته في نفس الموقع الذي كانت منصوبة فيه خيمة نابليون بونابرت من قبل باثنتين وثلاثين سنة. وقد زرت موقع الحيمتين فهاجت في ذكرى هاتين الحادثتين التاريخيتين.

٦٥– وجيوش نابليون هزمت الترك عند جبل تا نور عندما كان يحاصر عكا، وجيوش محمد على هزمت الترك عند جبل تابور عندما كان يحاصر عكا[٥٦].

٦٦ – فكر نابليون إذا ما قيض له الاستيلاء على قلعة عكا أن يزحف على سوريا ولبنان والاناضول ومنها يواصل زحفه[٥٧] إلى أن يصل إلى القسطنطينية فيخلع السلطان وينشيء امبراطورية يتولاها هو. وفكر محمد على بعدما غزا جيشه فلسطين وسوريا ولبنان والاناضول ووصل إلى كوتاهية أن يواصل الزحف إلى عاصمة السلطنة فيخلع السلطان

---

[٥٦] هو جبل "التجلي"، ويبعد ستة أميال عن الناصرة Nazareth وعشرة من بحيرة طبرية ويشرف على مرج ابن عمير.

[٥٧] كتب في ٩ مايو سنة ١٧٩٩ يقول إنه إذا فتح عكا زحف على دمشق وحلب وجيش من أهاليها جيشًا زحف به إلى القسطنطينية وها ما كتبه:

"Année 1799.Mai 9.- J'arrive à Constantinople avec des masses armées; je renverse l'empire turc; je fonde dans l'Orient un nouvel et grand empire".V."Vie de Napoléon ".P.77

محمود ويجلس هو على عرش آل عثمان.

٦٧ – ومن المصادفات إنه كان بين الأشخاص الذين وقعوا أسرى مع عبد الله باشا والي عكا في ايدي الجيش المصري خورشيديك. وخورشيديك هو نفسه الذي اشترك مع أحمد باشا الجزار في الدفاع عن عكا عندما حاصرها نابليون ثم اشترك مع عبد الله باشا والي عكا عندما حاصرها إبراهيم باشا. وفق في الحصار الأول وفشل في الحصار الثاني.

٦٨ – أسس نابليون أول بنك في فرنسا في ١٨ يناير سنة ١٨٠٠ (بدأ رأسماله بمبلغ ٣٠ مليونا من الفرنكات). وأسس محمد علي باشا أول بنك في مصر (ونصب مديرًا له مسيو توسيزا)[٥٨].

٦٩ – ونابليون لم يعقد قرضًا مع كثرة حروبه[٥٩] – محمد على لم يعقد قرضًا مع كثرة حروبه[٦٠].

٧٠ – ونابليون أصدر في ٢٩ مارس سنة ١٨١٥ أمرًا إلى المارشال دافو Davout أبطال رق العبيد. ومحمد على باشا لما زار السودان في خلال سنة ١٨٣٨ ووصل إلى الخرطوم أصدر أمرًا إلى

---

[٥٨] جاء في كتاب الأستاذ كريم بك ثا بت عن «محمد على» صحيفة ٢٩١ حديث جرى بين البرنس بوكلر موسكو ومحمد على هاك نصه (وفي ذات يوم التفت إليه وقال له: هل تعلم ماذا مضت الآن) فأجابه بوكلر «لا يا صاحب السمو» فقال محمد على «امضيت امرة بأنشأء بنك في المهرة يلف بفائدة قدرها ١٢% ...».

[59] "Pas de dettes, pas d'emprunts; telle avait été jusqu'àlors sa ligne de conduite qu'il était fermement résolu à suivre ".V.En suivast l'Empereur ".par G.Lenôtre P.33 et Rosebery p.286.

[٦٠] أول فرض دولي عقدته مصر كان في خلال سنة ١٨٦٢ في عهد سعيد باشا وكان بمبلغ ٨٣ مليون فرنك عبارة عن ٣,٢٩٢,٠٠٠ جنيه بفائدة ٧%.

خورشيد باشا حاكم السودان بأبطال رق العبيد.

٧١ – ونابليون أدخل زراعة القطن في فرنسا في جنوب فرنسا وفي جزيرة كورسيكا وفي ايطاليا). ووسع زراعة القطن لدرجة سدت حاجة البلاد الواقعة بين مقاطعة نورمانديا بشمال فرنسا وبلاد الالزاس في شرق فرنسا. ومحمد على أدخل زراعة القطن في مصر ولتوسيع زراعته استحضر بذورة من سيلان وكان اهتمام محمد على بزراعة القطن على أثر اكتشاف أحد الفرنساويين **Jumel** لأول شجرة في جنينة محو بك.

٧٢ – ونابليون لما احتل جزيرة مالطة – وهو قادم إلى مصر لغزوها في خلال سنة ١٧٩٨ – أعتق ٢.٠٠٠ من المسلمين الذين وقعوا أسرى في أيدي القرصان واسترقهم فرسان الجزيرة واستعبدوهم كان منهم رجال ونساء وأطفال من أهالي طرابلس والجزائر وتونس ومراكش ومنهم من دمشق ومن أزمير وهن استانبول، ولم يكتف لن أعتقهم، بل أتحف كل واحد منهم بمبلغ من المال ليساعده على العودة إلى بلاده بعد أن كساهم وأمدهم بالميرة. ومحمد علي باشا لما زار السودان في خلال سنة ١٨٣٨ أعتق آلافا من الرجال والنساء والأطفال الذين استرقهم النخاسون وباعوهم في الأسواق بيع السماح.

٧٣ – ونابليون وجد فرنسا في حالة فوضى لم تعرف فرنسا مثلها من قبل[٦١] فوضى في الادارة وفي المالية وفي القضاء وفي الجندية وفي

---

[61] "On sait dans quel état de dégradation, le Directoire avait laissé la France; les ports étant ensablés, les chemins rompus, les canaux sans entretien, l'industrie et le commerce sombrent: ateliers désertés, boutiques

السياسة الخارجية ومشاكل مع الانجليز والايطاليين والمساويين والهولانديين. ومحمد علي وجد مصر في حالة فوضى لم تعرف مثلها من قبل[٦٢]. فوضى في الادارة وفي المالية وفي القضاء وفي الجندية وفي

---

fermées et, les sillons abandonnés, la terre retournant en jachères.Les hôpitaux sont dans la misère, il n'y a pas d'écoles "V."La France de l'Empire "par Madelin.P.82.

إلى أن قال:

"Tout, depuis dix ans, y est révolutions, dissensions, déchirements; tout, depuis cinq ans surtout, y est dissolution et anarchie; tout y est désordre.

"Désordre dans l'Etat, désordre dans le gouvernement, désordre dans les administrations, désordre dans la fortune publique, désordre dans les administrations, désordre à Paris, désordre dans les provinces, désordre dans tous les bourgs, désordre dans les routes, désordre dans l'armée, désordre dans l'Eglise, désordre dans la société, désordre dans la famille, désordre dans le monde politique –".P.6 et 7 – du même auteur.

[٦٢] قال دريو المؤرخ الشهير في كتابه «مختصر تاريخ مهر» صحيفة ١٨٧:

"L'Egypte avait en vérité disparu de l'histoire, rejetée dans un coin de la Méditerranée, livrée à l'anarchie et à la misère, et ainsi presque rendue au désert, au néant.L'Egypte n'était plus au sultan, elle était aux beys' Il serait sans doute impossible de concevoir un régime plus ruineux que celui des beys de l'Egypte à la fin du XVIIIe siècle.Voir Précis de l'Histoire d'Egypte " par Edouard Driault P.187.

إلى أن قال:

"Les travaux nécessaires à sa fortune agricole, à son alimentation même, tous interrompus; les canaux d'irrigation obstrués; les inondations du Nil mal distribuées, excessives ou insuffisantss ; le sable descendu jusque dans le fleuve ; un quart ou un tiers du Delta reconquis par le désert; 5000 habitants à Alexandrie qui en avait compté plusieurs centaines de milliers ; – les caravanes partout arrêtées, pillées, donc détournées vers d'autres routes.La plus riche terre du monde devenue la plus stérile) ".Voir P.191 et 192)

السياسة الخارجية ومشاكل وفتن مع المماليك والانجليز والترك والارتأوود والأكراد والشراكة والبدو[٦٣].

٧٤ – نابليون كان رجل بناء وإصلاح وتعمير، عم الإصلاح والتعمير والبناء امبراطوريته الواسعة. وأعظم عمل كان يفتخر به نابليون وضعه «القانون المدني»[٦٤] ومحمد علي مثله بني وأصلح وعمر وعم الإصلاح والتعمير والبناء ديار مصر من أقصاها جنوبًا إلى أقصاها شمالًا.

في اليوميات التي أملاها نابليون وهو في منفاه في جزيرة سنت هيلانة ع دد الاعمال العظيمة التي نفذها في مدة حكمه في فرنسا وفي بلجيكا وفي هولاندا وفي ايطاليا وفي النمسا وفي ألمانيا. وذكر المبالغ الهائلة التي أنفقها في تحسين باريس وروما وليون وأنفرس ودنكرك

---

[٦٣] وهذه الفوضى هي التي أودت إلى نابليون كلمته المشهورة:

L'Orient n'attend qu'un homme فكان محمد على هو الذي قيضه الله لمصر

[٦٤] كتب في ٣ مارس سنة ١٨١٧:

"J'ai livré cinquante batailles rangées que j'ai presque toutes gagnées.J'ai créé un code de lois qui portera mon nom aux siècles les plus reculés.Je me suis élevé de rien à être le plus grand monarque de monde L'Europe était à mes pieds".

وفى ٢٧ وفي سنة ١٨١٠ كتب وهو في منفاه:

"Mon seul Code, par sa simplicité, a fait plus de bien en France que la masse de toutes les lois qui l'ont précédé ".

ثم كتب في ٢٢ اكتوبر سنة ١٨٠٨ يقول:

"Année 1808.Oct.22.- Les codes civil, judiciaire et de commerce ont réussi.Le code criminel va être soumis dans cette session au Corpe législatif.Le code civil est le code du siècle ; la tolérance y est non seulement prêchée, mais organisée, la tolérance, ce premier bien de l'homme".P.234.

والهـافر ونـيس والبندقيـة وبـوردو وبـايون وعـدد الطـرق التـي أنشـأها والكنائس التي شيدها والأنهر التي شقها والقوانين التي سنها والمتاحف والمـدارس والمعاهـد العلميـة[٦٥] والأرصـفة والمجـاري والتماثيـل وبنـك فرنسا الذي أسسه والمصانع والصناعات التي خلقها. قال إنه أنفق ٥٠ مليون فرنك (٢. ٠٠٠. ٠٠٠ مليون جنيه ذهبًا) لترميم وتحسين قصور التـاج الامبراطـورى. و٦٠ مليونًا لتأثيـث قصـور فرنسـا وهولانـدا وتورينـو ورومـا ٦٠ مليونًـا مـن مالـه الخـاص ثمـن برلنتـي التـاج الامبراطـوري و ٣ ملايين أفتك بها الماسة الكبيرة الشهيرة المسماة **Le Regent** وكان يهـود برلين ارتهنوهـا على هـذا المبلـغ الكبيـر. ومتحـف نـابليون وقد قـوم بمبلـغ ٤٠٠ مليـون فرنـك (١٦. ٠٠٠. ٠٠٠ جنيـه) وعمـل أحـواض للسـفن وأنشـأ طرقًـا كلفتـه ٨٠٠. ٠٠٠. ٠٠٠ فرنـك (٣٢. ٠٠٠. ٠٠٠ جنيه) ويقول إنه عمل كل هذا بدون أن يستدين وفي وقت كانت امبراطوريته مشتبكة في حروب كثيرة مع دول أوروبا[٦٦].

[٦٥] أليس المجمع العلمي المصري الذي اسسه عندما كان في مصر ولا يزال قائما حتى الآن من حياته الخالدة.اليس هو الذى فكر في حفر قنال السويس وفي اقامة القناطر الخيرية (في بطن البقرة).

[66] Année 1816.Sept.29.- "Vous voulez connaitre les trésors de Napoléon ? Ils sont immenses, il est vrai; mais ils sont exposés au grand jour.Les voici: le beau bassin d'Anvers, celui de Flessingue, capables de contenir les plus nombreuses escadres et de les préserver des glaces de la mer; les ouvrages hydrauliques de Dunkerque, du Havre, de Nice; le gigantesque bassin de Cherbourg; les ouvrages maritimes de Venise; les belles routes d'Anvers à Amsterdam, de Mayence à Metz, de Bordeaux à Bayonne; les passages du Simplon, du Mont-Cenis, du Mont-Genèvre, de la Corniche, qui ouvrent les Alpes dans quatre directions; dans cela seul vous trouveriez plus de huit cent millions.

وهو الذي شيد في باريس قوس النصر الشهير l'Arc de Triomphe رمزًا لمجد فرنسا. كما أقام عمود فاندوم La Colonne Vendome ولصنعه صب ١٢٠٠ مدفع غنمها في أثناء الحروب التي اشتبك فيها في خلال سنة ١٨٠٥ وهو الذي شيد كنيسة المادلين

"Les routes des Pyrénées aux Alpes, de Parme à la Spezzia, de Savoie au Piémont; les ponts d'Iéna, d'Austerlitz, des Arts, de Tours, de Lyon, de Turin, de l'Isère, de la Durance, de Bordeaux, de Rouen; le canal qui joint le Rhin au Rhône, unissant les mers de Hollande avec la Méditerranée; celui qui unit l'Escaut à la Somme, joignant Amsterdam à Paris; celui qui joint la Rance à la Vilaine; le canal d'Arles, celui de Pavie, celui du Rhin; le desséchement des marais de Bourgoing, du Cotentin, de Rochefort; le rétablissement de la plupart des églises démolies pendant la Révolution, l'élévation de nouvelles ; la construction d'un grand nombre d'établissements d'industrie pour l'extirpation de la mendicité; la construction du Louvre, des greniers publics, de la Banque, du canal de l'Ourcq; la distribution des eaux dans la ville de Paris, les nombreux égouts, les quais, les embellissements et les monuments de cette grande capitale; les travaux pour l'embellissement de Rome ; le rétablissement des manufactures de Lyon.Cinquante millions employés à réparer et à embellir les palais de la couronne ; soixante millions d'ameublements placés dans les palais de la couronne en France, en Hollande, à Turin, à Rome; soixante millions de diamants de la couronne, tous achetés avec l'argent de Napoléon; le Régent même, le seul qui restât des anciens diamants de la couronne de France, ayant été retiré des mains des juifs de Berlin auxquels il avait été engagé pour trois millions: le Musée Napoléon estimé à plus de quatre cents millions.

"Voilà les monuments qui confondront la calomnie.

"L'histoire dira que tout cela fut accompli au milieu de guerres continuelles, sans aucun emprunt, et même lorsque la dette publique diminuait tous les jours ".V."La Vie de Napoléon".par lui-même.P.383 et 384.

الشهيرة التي تعد من أجمل كنائس باريس، وهو الذي أسس وشيد مبنى «البورصة»[٦٧]. وما أبلغ ما قاله المؤرخ مادلين **Madelin** في كتابه **La France de l'Empire** في صحيفة ١٥٧:

"Il a laissé en réalité des enfants innombrables et qui, plus que ne l'eut fait sa dynastie sans doute, lui ont survécu. Ces enfants, ils s'appellent le Code civil, la Banque de France, l'Université, le Concordat, la Légion d'honneur, le Conseil d'Etat, les Cours et Tribunaux; les Préfectures, toute cette administratiou qui a servi, pendant cent vingt cinq ans, d'armature à la France. Oui, voilà les enfants qui assurent, parmi nous, son règne et qui, dans les périodes les plus troubles et les plus menaçantes, pendant les révolutions et les guerres, en dépit de gouvernants médiocres et parfois tout à fait néfastes, ont maintenu en pleins bouleversements politiques, sociaux, économiques et financiers, un peu du grand ordre napoléonien.

"Ses enfants enfin, ce sont sex victoires", Voir "La France de l'Empire. Par Louis Madelin. P. 157.

---

(67) "On lui doit la Madeleine, la Bourse, L'Arc de Triomphe, et des voies magnifiques.V."Napoléon "par Rosny.P.130 et 131.

وأعمـال محمـد علـى لايحصـيها عـد. بنـي وأنشـأ وأسـس مسـاجد ومدارس وقصورًا وثكنات ومصانع ومطابع وقناطر ومنائر وخطوطًا تلغرافية وطواحين هوائية وحفر ترعًا وأقام جسورًا وسدودًا كثيرة. كما بني وأسس مدنًا نذكر طائفة منها:

– أنشأ أربع ثكنات عسكرية في أسوان.

– أنشأ أربع ترسانات «دار صناعة» في اسكندرية وفي بولاق وفي السويس وفي الخرطوم (وما حوته من الورش والمباني مع حوض لترميم السفن).

– أنشأ ثلاث مصانع للأسلحة الخفيفة بالقلعة وبالقرب من القلعة وخـارج القلعـة. عاونـه فـي تأسيسـها فرنسـاوي اسـمه جيـومين **Guillemain** مراقب بمصانع فرساى **Versailles**.

– أنشأ مصانع للبارود في مصر وفي أسيوط.

– حث على غرس ملايين من شجر التوت وجلب عائلات من لبنان لتعليم المصريين تربية دوة القز.

– أنشأ مصانع للطرابيش في فوة.

– أنشـأ مصـانع للغـزل والنسـيج فـي الخـرنفش، وفابريقـات للكتـان والجوخ في بولاق. والصوف والحرير، ومعملًا لسبك الحديد، ومصنع ألواح النحاس. ومصنعًا للصابون ودبغ الجلود برشيد. ومصنعا لحلج القطن على ضفة المحمودية عاونه فيها المسيو اندريل الفرنساوي **Andriel**.

– شيد حصنًا على قمة جبل المقطم وهو حصن ملحق بقلعة الجبل.

– بنى مسجد محمد على بالقلعة.

– بني مسجد النبي دانيال بالاسكندرية ومدفنا بجواره (مدفن العائلة المالكة).

– بنى سبيل العقادين بالقاهرة على روح ابنه طوسون باشا. وقد أنشأه في سنة ١٢٣٦ من الهجرة (١٨٢١ ميلادية).

– بنى قصر محمد على بالقلعة (قضر الجوهرة).

– بنى قصر محمد على بشبرا الخيمة (الباقي منه الآن البناء المعروف بالفسقية).

– بنى قصر رأس التين بثغر الاسكندرية.

– وبنى سراى قصر النيل.

– أسس المدرسة المصرية بباريس.

– أسس مدرسة الطب البشري[٦٨] والمستشفى العسكرى ومدرسة ولادة بأبي زعبل عن يد كلوت بك.

---

[٦٨] علم الجراحة كان عدمًا في ذلك العهد وها ما قاله المؤرخ مورييرر:

"Ibrahim-Pacha, qui se trouvait alors en Syrie avec l'armée, renvoya les élèves chirurgiens qu'on lui avait mandés, pour la raison, écrivait-il, qu'ils estropiaient tous les blessés confiés à leurs soins ".P 112.

– فتح مدرسة للولادة.

– أدخل نظام التطعيم ضد الجدري.

– أسس مدرسة الطب البيطرى برشيد ثم بشبرا عن يد مسيو هامون.

– أنشأ مدرسة للمشاة في أسوان ومدرسة أخرى مثلها في فرشوط ومدرسة ثالثة في دمياط عاونه في تأسيسها الكولونيل سيف (سليمان باشا الفرنساوي) يعاونه اثنان من الضباط الفرنساويين هما الكولونيل مارى Mary والضابط كادو Cadeau.

– أنشأ مدرسة للخيالة بالجيزة في سنة ١٨٣٠ عاونه في أنشأئها المسيو Varin.

– أنشأ مدرسة المدفعية في طره عاونه في تنظيمها وفي تأسيسها أحد ضباط حرس نابليون المسيو جوتار Gouthardi au Veneur والميرالاى Roy أرسله إلى مصر ملك فرنسا شارل العاشر في خلال سنة ١٨٢٥.

– أنشأ مدرسة أركان حرب بالخانكة في سنة ١٨٢٤ نظمها المسيو بلانا Planat.

– أسس مدرسة الزراعة بنبروه ثم بشبرا.

– أسس في خلال سنة ١٨٢٥ المدرسة البحرية باسكندرية.

– أسس مدرسة موسيقي بالخانكة.

– أسس مدرسة الهندسة ببولاق(٦٩).

– أسس مدينة الخرطوم ومدينة كسلا.

– أسس بلدة جهاد آباد (بين الخانكة وأبي زعبل).

– أسس منار الاسكندرية (الذي أشرف على أنشأئه مظهر باشا).

– أسس منارات (تشبه منارات البحرية) على قمم الجبال من قفط إلى القصير لترشد القوافل وركب الحجيج ليصلوا إلى شاطيء البحر بسلام.

– أنشأ خطًا تلغرافيًا ليوصل القاهرة بثغر الاسكندرية. كما مد خطًا تلغرافيًا بين الاسكندرية وردوس.

– أسس القناطر الخيرية.

– أسس مطبعة بولاق.

– استدعى صناعًا من أوروبا التعليم المصريين صنع الأقمشة من الجوخ والحرير والقطن وجلب آلات كثيرة لتسهيل صنعها(٧٠).

– استدعى ضباطًا من فرنسا ومن إيطاليا ومن النمسا لتنظيم أول نواة لجيشه النظامى.

---

(٦٩) في أول عهد محمد على بالحكم ما كان في البلاد كلها مدرسة واحدة لا للطب ولا للهندسة ولا للزراعة ولا للطبيعة ولا الكيمياء ولا للتاريخ ولا الجغرافيا ولا للرياضة ولا للترجمة.

(70) "Le vice-roi a fondé un très grand nombre de fabriques; des filatures de coton, des fabriques de toiles, de lin, d'indiennes, de draps, de tissus, de laine, de bonnets et d'étoffes de soie, des fonderies de fer, des manufactures d'armes, etc ".V.Clot Bey P.222

– حفر ترعة المحمودية وشق ترعا غيرها مثل ترعة الخطاطبة والنعناعية والسرساوية والباجورية والبوهية والمنصورية والشرقاوية وأقام الجسور والقناطر والسدود المنتشرة في أنحاء القطر (ومن أراد المزيد فليراجع الجزء التاسع عشر من كتاب «الخطط الجديدة» لعلي باشا مبارك) وكتبًا غيره مثل كتاب الأستاذ الجليل عبد الرحمن بك الرافعي «محمد علي».

والفضل أكبر الفضل لمحمد على باشا في أنشأء الجيش المصري (وفي وقت ما بلغ عدد جنوده ٢٠٠. ٠٠٠) والأسطول المصري (وفي وقت ما بلغ عدد البحارة ٢٠. ٠٠٠) وكان محمد علي وابنه إبراهيم يتعهدان أعمال الترسانة بهمة لا تعرف الملل[٧١].

وشملت عنايته التعليم (فأرسل ارساليات إلى فرنسا وإيطاليا) [٧٢].

---

[71] "Il faut avouer aussi que le Pacha, s'il ne put, à l'exemple du czar Pierre le Grand, mettre habit bas et donner le premier à son peuple l'exemple du travail, ne ménagea cependant pas le stimulant de sa présence, de ses encouragements et de sa sévérité.Son plus grand plaisir était de passer de longues heures sur les chantiers.

"Son fils Ibrahim-Pacha passait les journées entières à l'arseual, et s'y faisait même porter ses repas, qu'il partageait avec l'ingénieur français le forçant à s'asseoir à côté de lui ".V.Clot Bey P.126

[٧٢] أول بعثة هامة ارسلت إلى فرنسا في سنة ١٨٢٩ وكان عددها ٤٠ طالبة بعضهم ارسل لدراسة الادارة المدنية ..وبعضهم لدراسة الادارة الحربية.ومنهم لدراسة العلوم السياسية.ومنهم القوة المياه والعلوم الميكانيكية والهندسة والمدفعية وصب المعادن وصنع الأسلحة والكيمياء والطب وتاريخ الطبيعي والمعادن – راجع صحيفة ٧٤ من الجزء الخامس من كتاب "فيض الخاطر" الأستاذ الكبير أحمد بك أمين.

كما شملت عنايته الزراعة والتجارة والصناعة. والأمن[٧٣]. وهو الذي أدخل زراعة القطن في مصر واستحضر بذوره من سيلان[٧٤]. وقد عاونه في زراعة القطن مسيو جوميل **Jumel**. والحرير وقد استحضر له شجر التوت ومعلمين من سوريا ولبنان لتربية دودة القز. والافيون وقد استحضر محمد علي من آسيا الصغرى بعض الأرمن الخبيرين بزراعة الأفيون وبطرق استعماله للاستفادة من خبرتهم لتوسيع زراعته وتحسينها.

"Jadis l'opium de la Thébaide était si renommé, qu'on le désigne encore aujourd'hui, dans nos officines sous le nom d'extrait thébaique. Le vice-roi, pour donner une nouvelle activité à cette branche d'agriculture, depuis longtemps tombée en désuétude, fit venir de l'Asie-Mineure des Arméniens consommés dans la pratique.

"En 1833, la récolte de l'opium s'éleva à 14,500 okes, que le Pacha vendit 110 piastres l'oke. "V. Clot Bey P. 46

---

[٧٣] اسمع ما قاله عن «الأمن» في عهد محمد على السائح المؤرخ تدنا دوفان:

"Ce que disait Tacite du bonheur qu'on avait de vivre à Rome sous Trajan, peut se dire aujourd'hui de Méhémet-Ali, à la sage fermete duquel est due la tranquillité dont jouissent les villes du Caire et d'Alexandrie " :Sous ce prince, vous pouvez, par une félicité qui se reproduit rarement, penser ce qu'il vous plait et dire librement ce que vous pensez ".V. "l'Egypte sous Méhémet Ali".par Thedenat Duvent.

[٧٤] في موسم سنة ١٨١٧ جنى محمد على ٤٠ ألف قنطار.وفي موسم سنة ١٨١٨ جني ٧٠,٠٠٠ ومصر الآن تجني أكثر من عشرة أضعاف هذا المقدار وأصبح القطن عماد ثروة مصر.

ولم يكتف بكل هذا بل ضم إلى مصر واحة سيوة (احتلها بأمره حسن باشا الشماشرجى). كما أنشأ بعض الوزارات للداخلية والمالية والخارجية والتجارة ولم يكن موجودا منها شيء من قبل (راجع صحيفة ٤٠ من كتاب كلوت بك).

وكثرة حروب محمد علي وكثرة مشاغله لم تمنعه من توجيه عنايته إلى الأمور التشريعية والقضائية.

– ففي سنة مبايعته واليًا على مصر (سنة ١٨٠٥) أنشأ "ديوان الوالي" اختصه بالفصل في المنازعات التي تقوم بين الأهالي والاجانب وعين فيه عالما من كل مذهب من المذاهب الأربعة لينظر في مسائل المواريث والاوصياء والجنايات الكبيرة.

– وفي سنة ١٢٤١ هـ أصدر قانون ترتيب «مجلس أحكام ملكية».

– وفي سنة ١٢٤٥ هـ أصدر «قانون الفلاح».

– وفي سنة ١٢٥٠ هـ أصدر «قانون السياسة نامة».

– وفي سنة ١٢٥٨ هـ شكل «مجلس جمعية الحقانية» خولها حق التشريع.

– وفي سنة ١٢٦١ هـ شكل «مجلسا لتجار اسكندرية» ليفصل في القضايا التجارية بين الأهالي والأجانب.

– وفي سنة ١٢٦٢ هـ شكل «مجلسًا لتجار مصر».

– وفي سنة ١٢٦٣ هـ شكل "المجلس المخصوص".

– وفي سنة ١٢٦٨ هـ شكل خمسة مجالس للأقاليم.

– وفي سنة ١٢٧٣ هـ ألف مجلس استئناف للقضايا التجارية.

وما كان شيء من هذا موجودًا. قال أحد المؤرخين وما أصدق ما قال (أن نابليون كان يفتخر دائما بإنه يساير عصره. إلا أن محمد علي جاوز عمره مراحل).

"Napoléon se vantait toujours qu'il marchait avec son siècle, Mohamed Ali est allé loin, bien loin au delà de son siècle".

ولم تقتصر عنايته على الأمور العسكرية والتشريعية والقضائية والصناعية والزراعية والتجارية والمالية بل وجه عنايته أيضًا إلى الشئون الدينية والأدبية منها إنه أوجب على جنوده بأن يؤدوا الصلوات الخمس في أوقاتها. كتب إلى قواد جيوشه يقول لهم هـ مروا جنودكم بأداء الصلاة في أوقاتها. لاتدعوهم يتركونها في سلم أو حرب. فان الله الذي مهب النصر لمن يشاء من عباده جعل العاقبة للمتقين ولينصرن الله من ينصره. إن الله "قوي عزيز". كما حرم على النساء السير في الجنازات واصفا اياهن بإنهن «نساء قبلات أدب». كما عاقب كل من سب آخر قائلا له «أنت فلاح» لإنه كان يريد أن رفع الفلاح إلى مستوى أرقي مما كان فيه. كما حافظ على كرامة المصريين إذا ما اعتدى عليهم أجنبي مهما سمت وظيفته ولو كان قنصلًا. كما ساوى في المعاملة بين المسلم وغير المسلم.

٧٥- بني نابليون قلعة بجوار قلعة صلاح الدين عرفت باسم قلعة نابليون. وبنى محمد على بجوارهما حصنا عرف باسم حصن محمد علي.

٧٦ - ونابليون تنازل عن عرش فرنسا وهو على قيد الحياة لابنه (نابليون الثاني) وإبراهيم بن محمد على استوى على عرش مصر في حياة أبيه[٧٥].

٧٧ - كان نابليون يكره المحامين[٧٦] ومحمد على مثله كان يكره المحامين. لما عرض على نابليون مشروع إقرار مجلس نقابة المحامين رفضه وقال عن المحامين إنهم جماعة ثرثارة يثيرون الفتنة والثورة. ثم قال «طالما كان السيف في يدي فاني لا أوقع على مرسوم أحمق وأخرق مثل هذا، حبذا لو أمكن قطع لسان كل محام يستخدم لسانه ضد الحكومة». ومحمد علي مثله عرضت عليه قائمة بأسماء «الوكلاء» الذين كوانوا يترافعون أمام المحكمة الشرعية الكبرى وكانوا يسمونهم (المزورين) فأمر تحقيق الشكاوي و«بتأديب المزورين» قائلًا: (كونوا منتسبين في قطع درهم وانظروا في قطع دابرهم وانظروا في طريقة لقطعهم واقطعوهم).

---

[٧٥] وولاية الأبن الحكم في حياة الاب لها سوابق في تاريخ مصر .من ذلك أن صيوس سو تير مؤسس دولة البطالية تنازل عن عرش مصر لابنه وبقي هو معتزلا الحكم إلى أن مات.

[٧٦] ومع أن نابليون كان ابن محام فإنه قال:

"Je veux qu'on puisse couper la langue à un avocat qui s'en servirait contre le gouvernement."

ولما انتهى التحقيق وعرضت نتيجته على محمد علي باشا أمر بني البعض إلى بلاد السودان والبعض الآخر إلى بلاد الغرب[٧٧].

٧٨ – اشتهر نابليون بالدهاء والمكر والخداع. كان يلبس لكل حالة لبوسها. وتارة يميل إلى خصمه أن أراد أن يستعين بقوته أو أراد أن تارة يميل إلى فريق يدرأ عن نفسه غدره حتى اذا ماحقق غرضه انقلب عليه كما حصل له مع النمسا ومع بروسيا ومع روسيا ومع اسبانيا. انظر ماقاله نابليون عن نفسه:

"C'est en me faisant catholique que j'ai fini la guerre de Vendée, en me faisant musulman que je me suis établi en Egypte, en me faisant ultramontain que j'ai gagné les esprits en Italie. Si je gouvernais un peuple de Juifs ،je rétablirais le temple de Salomon. "V. "Napoléon " par Rosny. P. 118.

وفي النشرة التي نشرها على الشعب المصري بتاريخ ٢ يوليه سنة ١٧٩٨ عندما غزا مصر اراد خدعهم فقال لهم:

Année 1798. Juil. 2. " –N'est–ce pas nous qui avons détruit le Pape qui disait qu'il fallait faire la guerre aux musulmans? N'est–ce pas nous qui avons détruit les chevaliers de Malte, parce que ces insensés croyaient que Dieu voulait qu'ils fissent la guerre aux musulmans ? N'est–ce pas nous qui

---

[٧٧] راجع كتاب (المحاماة قديما وحديث) بقلمنا وقلم الأستاذ جميل خان كى صحيفتى ٢٥ و٢٦.

avons été dans tous les siècles les amis du Grand Seigneur. ". P. 61.

وما كتبه في ٢٤ أكتوبر سنة ١٧٩٦:

"La folie du pape est sans égale. Mon projet est de me rendre à Ancône au moyen de l'armistice, et de n'être ennemi que là. Le grand art actuellement est de tromper ce vieux renard. "V. "La vie de Napoléon "P. 35.

وقد وصفه البابا بكلمتين جمعتا بين الايجاز والاعجاز فقال عنه إنه

(**Commediante, tragediante**) ويقول المؤرخ روسني عنه:

"Il organise, continue ses mômeries islamiques, revet même à l'occasion le costume oriental. Ah! il a tout pour séduire les Orientaux, comme ceux d'Occident. Il aurait séduit les Nègres. C'est un orchestre univers sel. " "Napoléon " par Rosny. P. 85.

ثم يقول:

"Il lit le Coran pour se bien pénétrer de son rôle, professant que sans la religion, celle de Mohamet, il'aurait aucune prise sur le peuple ni l'Olite. " " Napoléon " par Rosny. P. 79.

وها نداؤه إلى أهالى القاهرة وقد علقه في الميادين العامة والشوارع:

"On vous dira que je viens détruire votre religion; ne le croyes pas; répondez que je viens

vous restituer vos droits, punir les usurpateurs et que je respecte, plus que les Mamelouks, Dieu, son prophète e l'Alcoran".

وكتب في ٢٦ أبريل سنة ١٨١٦ يقول:

"Année 1816. Avril 26. Et après tout, ce n'est pas qu'il eut të impossible que les circonstances m'eussent amené à embrasser l'islamisme: et, comme disait cette bonne reine de France: Vous m'en direz tam Mais ce n'eut été qu'à bonne enseigne; il m'eut fallu pour cela au moins jusqu'à l'Euphrate. Le changement de religion, inexcusable pour des intérêts privés, peut se comprendre peut-être par l'immensité de ses résultats politiques. Henri IV avait bien dit: Paris vant bien une messe Croit-on que l'empire d'Orient, et peut-être la sujétion de toute l'Asie, n'eussent pas valu un turban et des pantalons; car c'est, au T. uniquement à quoi cela se fut réduit. "P. 373.

وكتب في ٧ ينـاير سنة ١٨١٨ وهـو في منفاه في جزيرة سنت هيلانة يقول:

"Année 1818. Janvier 7. Ce que j'aime dans Alexandre le Grand ce ne sont pas ses campagues que nous ne pouvons concevoir, mais pes moyens politiques. C'est d'une grande politique de sa part

que d'avoir été à Ammon; il conquit ainsi l'Egypte. Si j'étais resté en Orient, j'aurais probablement fondé un empire comme Alexandre, en me rendant en pélerinage à la Mecque, où j'aurais fait des prières et des génuflexions: mais je n'aurais voulu le faire que si cela en eut valu la peine. "T. Vie de " Napoléon " P. 396.

ومثله محمد على كان مبدأه وشعاره «فرق تسد» انحاز إلى المماليك ضد الترك. واستعان بالأرناؤود على المماليك. واستخدم المصريين ضد الأرناؤود فتوصل إلى خلع أربع ولاة عثمانيين أرسلهم السلطان ليتولوا حكم مصر. وفي هذا يقول المؤرخ جوين وما أبدع ما قال:

"Nul autre que lui n'applique avec autant d'adresse, de courage et de ruse, la fameuse maxime: diviser pour régner. Comme le disait M. Gouin" :Il s'est fait renard souvent, lion toujours. Il a renversé les Osmanlis par les Mameluks, les Mameluks par les Albanais, les Albanais par les Egyptiens. Il a fasciné, il a détruit quatre vice-rois, sans craindre de s'asseoir à son tour sur un trône si fragile. Y monter, a-t-on dit, c'était un chef-d'oeuvre. Y rester, un miracle. "

٧٩ – ونابليون نازلته "امرأة" هى لويز La reine Louise ملكة

بروسيا[٧٨] إذ إنها تزعمت الثورة التي أثارتها في بروسيا وفي غير بروسيا

---

(٧٨) ولعل أبلغ وصف لكراهة ملكة بروسيا لنابليون الذي اذل بلادها ما ورد في كتاب "Stein" لمؤلفه جرونفالد Grunwald وفيه:

"Pour mesurer l'étendue de son sacrifice, il ne faut pas oublier qu'elle voyait en Napoléon un fléau de Dieu ،"un" fils de l'Enfer "et qu'elle avait craint, même pour son mari" une profanation par le contact de cet être infâme " V."Stein "par Grunwald.P.73.

وفي صحيفة ٨٦:

"Les patriotes d'outre-Rhin ont voué à la mémoire de Louise de Prusse un culte passionné.Ils vénèrent en elle la personnification de toutes les vertus de la femme allemande, ils vénèrent aussi en elle la mère de ce prince Guillaune qui devait devenir Empereur en 1871, la nouvelle Iphigénie qui s'immola au vainqueur à Tilsitt, dans le vain espoir de sauver son pays: celle enfin qui en assura le relèvement en ramenant le baron de Stein au pouvoir ".

وفي صحيفة ٩١:

"L'horizon est sombre, écrivait-elle à son frère au début de 1806, ce sont les diables qui détiennent le pouvoir et les justes qui doivent se soumettre.Le diadème est lourd à porter pour qui veut rester bon et honnête.Je donnerais volontiers vingt années de ma vie et je n'en garderais que deux si l'on pouvait obtenir à ce prix la paix en Allemagne et en Europe.

"Mais elle s'apercevait chaque jour plus nettement que les empiète mets de " cet infâme colosse de Napoléon" rendaient une politique de paix impraticable."Il ne veut que des esclaves comme instruments de sa volonté, déclarait-elle ; je suis convaincue que tout Prussien préférera donner sa dernière goutte de sang plutôt que de commettre me infamie et de devenir pour les Français un allié ou un esclave, ce qui revient au même ".Elle comparait l'Empereur à " un bandit de grand chemin qui vous demande la bourse ou la vie ،"et elle prévoyait avec une angoisse justifiée " le jour où ce rejeton de l'Enfer ferait égorger les Allemands par les Allemands".

ويقول المؤرخ روسني في كتابه (نابليون):

لطرد نابليون من المانيا وكانت تمتطى جوادها وتحض الجنود على القتال وتبث فيهم روح الحمية والبسالة ضد نابليون وجنوده.

ومحمد على نازلته «امرأة» اسمها غالية[٧٩] (أرملة شيخ العرب صبيح). إذ إنه لما ذهب في خلال سنة ١٨١٣ القمع ثورة الوهابيين

"La Reine, la belle et charmante Reine, une des plus ravissantes femmes d'Europe, voulait ardemment la guerre.Une cour enivrée ls suivait, le monde militaire manifestait, avec une violence sauvage, SS haine contre la France, surtout contre l'Empereur...Le roi était cerne, en proie aux objurgations quotidiennes de sa compagne et des grands du royaume...

"Si confiant que fut Napoléon dans son génie militaire, il ne pouvait se dissimuler l'imminence du péril.Une grande bataille perdue le ruinerait.Et même vainqueur que de menaces) "!V."Napoléon.par Rosny.) P.154.

إلى أن قال في صحيفة ١٧٠:

"Une propagande frénétique incendia les âmes.La belle Reine, en costume pseudo-militaire, menait une cour d'adorateurs belliqueux, les encourageait, les excitait, leur promettait la victoire.

"Derrière la Reine, un cortège de dames" hochgeboren ،"la princesse de Cobourg, la princesse électorale de Hesse, la duchesse héréditaire de Weimar, soeur d'Alexandre, une fourmilière de donzelles moins titrées.V."Napolion "par Rosny.P.170.

وها ما قاله فيها نابليون نفسه:

- كتب في ٨ أكتوبر سنة ١٨٠٦ يقول:

"La reine de Prusse est à l'armée، habillée en amazone, portant l'uniforme de son régiment de dragons, écrivant vingt lettres par jour pour exciter de toutes parts l'incendie ".P.189.

- ثم كتب في ٣٠ أكتوبر سنة ١٨٠٦ يقول:

"Jusqu'à cette heure nous avons 150 drapeaux, parmi lesquels sont ceux brodés des mains de la belle Reine, beauté aussi funeste aux peu ples de la Prusse que le fut Hélène aux Troyens ".P.193.

[٧٩] راجع صحيفة ٤١ من كتاب الدكتور محمد صبرى.

تزعمت غالية هذه عرب نجد واليمن في طربة[٨٠] (بين نجد واليمن) لمنازلة جيوش محمد على وبعد أن انضم إليها الشريف راجي وعثمان أخو المضيفي كونوا قوة كبيرة كادت تطوق جنود محمد على باشا نفسه وتفتك بهم. وغالية هذه هزمت المصريين الذين كانوا تحت أمرة مصطفي بك (عديل محمد علي باشا).

٨٠- ونابليون كان شديد الاعجاب باسكندر الأكبر. ومحمد على مثله، روى المؤرخان الفرنساويان كادالفين **Cadalvene** وبروفوى **Breuvery** اللذان عاصراه وعرفاه وخالطاه -أن محمد علي باشا سمع بتأليف كتاب في حياة اسكندر الأكبر طبع ونشر في فرنسا فأمر باحضاره. ولما عرض عليه الكتاب، سأل عن الزمن الذي تقتضيه ترجمته، فأجاب المترجم "تستغرق الترجمة ستة شهور"، فقال محمد علي باشا: «هذا زمن طويل» ثم استل سيقا من الحرسي وشطر الكتاب ثلاثا وقال: «الآن يجب أن تتم الترجمة في شهرين». بعد ذلك التفت إلى الحاضرين واستأنف الكلام على الاسكندر قائلا: «قيل لي أن الاسكندر وبطليموس من مقدونيا. وأنا أيضًا من مقدونيا. أن مقدونيا أنجبت ثلاثا تولوا حكم مصر. إلا أن سلطاني على هذه البلاد أوسع مدى».

---

(80) "A l'aspect des soldats de Moustapha, qui arrivaient exténués de fatigue, les Oualiabites n'attendirent pas l'attaque; ils fondirent sur eux et les mirent immédiatement en déroute.Une amazone com mandait cette brillante sortie ; c'était la femme du cheik d'une tribu, elle fit des prodiges de valeur ". (p.106).

٨١ – ومن شدة إعجاب محمد علي بنابليون مال إلى مجاراته في كل شيء فأمر بترجمة بعض الكتب التي وضعت في تاريخ حياته فأمر بترجمة كتاب (تاريخ نابليون بونابرت) وهو مذكراته التي أملاها بنفسه حين كان منفيا في جزيرة سانت هيلانه ترجم من الفرنساوية إلى التركية وطبع في بولاق في سنة ١٢٤٧ هـ (١٨٣٢ ميلادية).

كما ترجم (تاريخ نابليون بونابرته) تأليف (دوق روفيجو Due de Rovigo) ترجمه عن الفرنساوية إلى التركية عبد الله أفندي عزيز وحسن أفندي الكاتبان بديوان الوالي وطبع في مطبعة سراى رأس التين باسكندرية سنة ١٢٤٩ هـ (١٨٣٤ م) وإبراهيم باشا أمر بترجمة حياة نابليون إلى اللغة التركية. وقد ظهرت الترجمة ضمن مجموعة «أسرار حكام أوروبا الدفينة» وها ما قاله كلوت بك عنها:

"Ibrahim-Pacha a fait traduire en turc une histoire abrégée de Napoléon. Elle a paru sous le titre de " Histoire de l'illustre Napoléon, Empereur de France", dans un recueil appelé " Definei asrar hukkami Europa " (Trésor des secrets des souverains de l'Europe). V. "L'Egypte" par Clot, Bey. P. 43.

(١) يقول رفاعه بك في كتابه (مناهج الالباب) "ولما كان محمد على يحس من نفسه بأن عزمانه اسكندرية كان متولعًا بقراءة تاريخ اسكندر ومنكبًا عليه وشبيه الشيء ينجذب إليه . . . . ".

ولما رجع محمد على من رحلته في السودان فكر أول مافكر في ترجمة قانون نابليون المدني ليتخذه دستور) للاصلاحات التشريعية والقضائية في مصر[٨١] وقد استحضر أحد رجال القانون من فرنسا هو الأستاذ سولون Solon ليدرس القانون الاداري – راجع صفحة ٦١ من كتاب شلشر Victor Schelcher على مصر. "l'Egypte en 1845" (المطبوع في سنة ١٨٤٦) وها الأصل:

"Il y a trois ou quatre ans à peine, Méhémet Ali a fait venir de France un jurisconsulte, Mr. Solon, pour établir au Caire un cours de droit administrative".

٨٢ – وواقعة أوسترلتس Austerlitz التي انتصر فيها نابليون على الروس وعلى النمساويين في ٢ ديسمبر سنة ١٨٠٥ أطلق عليها المؤرخون اسم «معركة الامبراطرة الثلاثة». La journée des trois Empereurs لإنه شهدها الامبراطور نابليون بنفسه. وفرنسوا الثاني امبراطور النمسا بنفسه. واسكندر الثالث قيصر روسيا بنفسه[٨٢]. يقابلها في عهد محمد على معركة حمص –حيث انتصر المصريون على الترك في ٨ يوليو سنة ١٨٣٢– وقد سماها المؤرخون "هزيمة الباشوات الثمانية"؛ لأن القوات التركية كانت تحت قيادة ثمانية باشوات هم:

---

[٨١] راجع كتاب كاد لفين Cadalvene جزء أول صفحة ٨١ .

[٨٢] بعد ما انتصر نابليون على الروس والنمساويين في واقعة او ستر لتس Austerlitz في ٢ ديسمبر سنة ١٨٠٥ اجتمع مجلس شيوخ فرنسا وقرر اضافة لقب «الكبير» إلى اسم نابليون Napoléon le Grand.

محمد باشا وإلى حلب وعثمان باشا حاكم المعادن وعثمان باشا والي القيسارية وعلي باشا والي دمشق ومحمد باشا الكردلي ونجيب باشا ودلاور باشا ومحمد باشا.

٨٣ – وصف أحد المؤرخين نشاط نابليون وجلده بكلمة تنطبق عليه وعلى محمد على معه. كما وصف أحد المؤرخين نشاط محمد على وجلده بكلمة تنطبق عليه وعلى نابليون معًا. اسمع ما يقوله لورد روزبرى Rosebery عن نابليون في كتابه (نابليون) في الصحف ٢٨٦ و ٢٨٨ و ٢٨٩: قال في صحيفة ٢٨٦:

"C'était un grand administrateur. Il avait l'oeil et la main à les rouages et à tous les ressorts, petits ou grands, de sa vaste machine gouvernementale. C'était son joujou à lui. Il était son propre ministre de la guerre, son ministre des affaires étrangères, son ministre de la marine, tout son ministère".

ثم قال في صحيفة ٢٨٨:

"Pour accomplir toutes ces choses, il fallait une organisation vraiment puissante, et, de fait, sa constitution physique n'était pas moins extra ordinaire que son mécanisme intellectuel. Son estomac endura sans révolte, pendant sa vie entière, de gros repas dévorés en quelques instants à des heures irrégulières".

إلى أن قال في صحيفة ٢٨٩:

"**Une fois il livra bataille à Alvinzy pendant cinq jours de suite, sans retirer ses bottes ni fermer les yeux. Quant il eut battu les Autrichiens, il dormit trente-six heures en arrivant aux Tuileries, après son retour haletant de Valladolid, n'ayant pris en route qu'un repos de quelques heures à Bayonne**".

وانتهى بأن قال في الصحيفة نفسها:

"**Il courait en poste du fond de la Pologne jusqu'à Paris, convoquait le conseil sur -le-champ et le présidait avec son énergie et sa pénétration habituelles. Ces conseils de ministres n'étaient pas une plaisanterie. Ils duraient huit ou dix heures. Une nuit, à deux heures du matin, les ministres étaient épuisés. Le ministre de la marine dormait profondément. Napoléon les pressait de continuer leur délibération: * Allons, messieurs, secouez-vous. Il n'est que deux heures; Il faut bien gagner l'argent que le pays nous donne.** "**V.** "**Napoléon, la dernière phase** "**par Rosebery**.

واسمع الآن ما قاله كلوت بك في كتابه على محمد على صحيفة ٦١:

"Son activité est au-dessus de tout ce qu'on peut dire. Non seulement il s'occupe toute la journée mais il ne dort que quelques heures pendant la nuit, et encore son sommeil est-il très agité. A quatre heures du matin, il est sur pied. Il reçoit tous les jours les rapports de ses différents ministres, et dicte toutes les réponses: puis il passe des revues, visite les chantiers, les grands travaux. "V. "L'Egypte " par Clot Bey P. 61

ووصفه مسيو هامون Hamont -الذي عاصر محمد علي وكان في خدمته في مصر- في كتابه (مصر تحت حكم محمد على) فقال في صحيفة ٤٣٣:

"D'une activité prodigieuse, infatigable, Mohamed Ali dort pen, som sommeil est agité. L'action est son élément, toute sa vie. Il demeure peu de temps assis. A l'âge de 72 ans, il fait à travers les déserts, le voyage de l'Ethiopie. Dans ses courses, il est le premier levé et le dernier couché. "V. "L'Egypte sous Mohamed Ali. "par Hamont. P. 433.

ويقول نابليون عن نفسه:

Anné 1816. Sept. 57. " -Le travail est mon élément: je suis né et construit pour le travail. J'ai connu les limites de mes jambes, j'ai connu les

limites de mes yeux; je n'ai jamais pu connaitre celles de mon travail. "V. «Vie de Napoléon, par lui-même. "P. 383.

ويقول المؤرخ شلشر:

"Méhémet-Ali veut passionnément ce qu'il veut ")V. "L'Egypte en 1845 " par Victor Schaelcher P. 61".

وعندما كان يريد توكيد ارادته كان يبدأ كلامه بقوله (والله. بالله. تا الله)

٨٤ – كان نابليون يدير بنفسه دفة امبراطوريته العظيمة. لا يبت في مسألة حرية أو بحرية أو مالية أو سياسية أو أدارية إلا برأيه وأمره. فكان هو وزير الحربية ووزير البحرية ووزير المالية ووزير الخارجية ووزير الداخلية[٨٣]. وبعبارة أخرى كان هو الكل في الكل. وما كان أحد من وزرائه يجرأ أن يجادله أو يناقشة أو عارضه. ومحمد علي باشا كان مثله وزير الحربية ووزير البحرية ووزير المالية ووزير الخارجية ووزير الداخلية. وبعبارة أخرى كان هو الكل في الكل. وما كان أحد من وزرائه تجرأ أن يجادله أو يناقشه أو يعارضه. ألا ينطبق على نابليون وعلى محمد علي ما قاله المؤرخ روني:

---

[٨٣] وفي هذا الصدد يقول أورد روز برى Lord Roselery في الصحيفة ٢٨٦:

"C'était un grand administrateur.Il était son propre ministre de la guerre, son ministre des affaires étrangères, son ministre de la marine, tout son ministère" ".Napoléon "par Lord Rosebery., P.286.

"Ce n'est pas l'armée romaine qui a soumis la Gaule, mais Cesar: ce n'est pas l'armée carthaginoise qui faisait trembler la république aux portes de Rome, mais Haunibal; ce n'est pas l'armée macédonnienne qui a été sur l'Indus, mais Alexandre; ce n'est pas l'armée française quis porté la guerre sur le Weser, mais Turenne; ce n'est pas l'armée prussienne qui a défendu la Prusse contre les trois grandes puissances de l'Europe, mais Frédéric. "V. "Napoléon "par Rosny. P. 38

فالجيش الفرنسي ليس هو الذي غزا بلاد الغرب بل نابليون. والجيش المصري ليس هو الذي غزا بلاد الشرق بل محمد علي. ولعل محمد علي يشير إلى هذا عندما قال (إذا لم يكن الربان ماهر حطمت السفينة بسرعة) وقريب من القولين قول نابليون نفسه عندما كتب في ٢٨ أغسطس سنة ١٨١٦ وهو في منفاه بجزيرة سنت هيلانة:

"Les meilleures troupes ont été les Carthaginois, sous Annibal; les Romains, sous les Scipions; les Macedoniens, sous Alexandre; les Prussiens, sous Frédéric. On pourra peut-être reproduire quelque chose qui vaille mon armée d'Italie et celle d'Austerlitz; mais, à coup sûr,

jamais rien qui les surpasse. "V. "Vie de Napoléon par lui-même" P. 383.

٨٥ – نابليون سما في سماء الجلالة والجاه والقوة والسلطان حتى أصبح مفزعة القياصرة والأباطرة والملوك والأمراء إذا مادهم واحد منهم أمر فزع إليه، فاذا أشار كانت إشارته أمرا، وإذ أمر كان أمره حكمًا لا معقب له. واسه كان يفعل فعل السحر في عقول الأعداء كما يقول الكاتب المؤرخ الشهير Sainte Beuve "La magie du nom de Napoléon"[٨٤].

---

[٨٤] سمع ملك البيامونت (إيطاليا) بأن نابليون يرأس الجيش الفرنساوي الذي آتي ليحاربه وأسرع وطلب الصلح مع أن القوة التي كان يرأسها نابليون ما كان عندها مدفعية ولا خيالة وجنودها كانوا حفاة – صحيفة ١١٠ من كتاب «حياة نابليون» تأليف ستندهال Stendhal

– وفي وقعة ريفولى Rivoli سنة ١٧٩٧ سلم له ٢٠,٠٠٠ جندي نمساوي مع ضباطهم مع أن جيشه ما كان يزيد على ٣٠,٠٠٠.

– وفي وقعة اولم Ulm انتصر على النمساويين واسر ٦٠,٠٠٠ منهم ٣٠ جنرالًا وغنم ١٢٠ مدفعًا و٩٠ علمًا ولم يخسر من رجاله سوى ١٥٠٠ ثلثيهم جرحى.ثم سلمت الحامية وكان عدد رجالها ٣٣,٠٠٠ بينهم ١٨ جنرالًا ومعهم ٦٠ مدفعًا.ومن الغريب إنه لما استعرضهم نابليون أمامه وقفوا مبهوتين وكثير من الجنود والضباط صاحوا "فليحيى الامبراطور"

وقد كتب في ذلك يقول:

" J'ai rempli mon dessein, j'ai détruit l'armée, autrichienne par de simples marches ; j'ai fait 60.000 prisonniers, pris cent vingt pièces de canon, plus de quatre-vingt-dix drapeaux et plus de trente généraux.

"Je n'ai perdu que 1.500 hommes, dont les deux tiers faiblement blessés...(Donc, il a pour ainsi dire vaincu tout seul, son armée servant d'épouvantail plutôt que de réalité combattante).

"La garnison d'Ulm pose les armes demain" ،"ajoutait-il"Cette garnison (33.000 hommes, 18 généraux, 60 canons), défila devant l'Empereur.Il advint que les soldats et même les officiers s'arrètèrent pour contempler,

ومحمد علي مثله كان مفزعة السلطان والملوك والأمراء والولاة[٨٥].

---

pour admirer le vainqueur.Bon nombre crierent" :Vive l'Empereur ". V".Napoléon le Grand "par Rosny Ainé.P.157.

– وفي شهر فبراير سنة ١٨١٤ انتصر على أعدائه في ست وقائع حربية في أسبوع واحد في ١٠ و ١١ و ١٢ و ١٤ و ١٦ و ١٨ فبراير سنة ١٨١٤، وفي هذا يقول المؤرخ الفرنساوي روسي في صحيفة ٢٢٣ في كتابه "نابليون الكبير" ما يأتي:

"Voyons les dates en série : 10, 11, 12, 14, 16, 18, février, six batailles, six batailles heureuses en une semaine.L'athlète dépasse toutes ses performances.

"Aux ennemis consternés, l'homme apparait surnaturel, diabolique Voir " Napoléon le Grand" .par Rosny P.223.

– ولما فر من جزيرة ألبا وهبط في فرنسا ليسترد العرش لم يكن معه سوى ٧٠٠ جندى ومع ذلك اخترق فرنسا غازيًا من شاطئ فرنسا الجنوبي إلى أن وصل إلى باريس.وفي أثناء زحفه انضم إليه آلاف من الفرنساويين.ولما علم ملك فرنسا بقدومه والتفاف الناس حوله هرب

– ولعل ابلغ كلمة هي التي قالها الشاعر الألماني هنري هين Henri Heine إذ قال:

"Napoléon a sifflé et la Prusse n'existe plus "

[٨٥] فزع إليه السلطان محمود وطلب منه قمع ثورة الوهابيين ففعل.

– وفزع إليه عندما ثارت بلاد اليونان وعجز الجيش العثماني عن اخماد ثورة المورة ففعل.

– وفزع إليه عندما ثار أهالي جزيرة كريت وأهالي جزيرة قبرص ففعل.

– وفزع إليه عند ما ارادصد الفرس الذين ثاروا عليه.

– وفزع إليه حاكم درنه وطلب منه العون والنجدة.

– وفرع إليه أهالي البوسنة.

– وفزعت إليه فرنسا عندما أرادت تأديب أمير الجزائر.

– وفزع إليه امراء الحجاز واليمن وولاة دمشق وحلب وعكا عندما غضب عليهم السلطان.

– وقع إليه وإلى بغداد وعرض عليه الاستسلام.

– وأبلغ من كل هذا إنه في ٢٨ فبراير سنة ١٨٣٣ تقدم محمد أغا إلى حاكم ازمير وطلب منه باسم محمد علي باشا وابنه إبراهيم باشا التسليم فأذعن في الحال وسام المدينة واستسلمت الحامية مع إنه لم يكن مع محمد أغا سوى أربعة جنود فقط.أليس هذا من la magie du nom de Mehemet Ali.وفي هذا يقول أحد المؤرخين "الشهرة تعدل عشرة جيوش" "La popularité vaut dix armées"، وكتب قنصل إنجلترا في مصر إلى لورد بالمرستون كبير وزراء انجلترا يقول ان اسم إبراهيم فعل في نفوس الناس فعل السحر:

"Le nom d'Ibrahim semble talismanique "V.Sabry, p.344.

٨٦- ومن ألطف ما يروى أن إبراهيم باشا ابن محمد علي دعا بعض الفرنساويين تناول الغداء معه في القناطر الخيرية في يوم ١٥ أغسطس سنة ١٨٢٤ وكان بين المدعوين الكولونيل سيف (سليمان باشا الفرنساوي) ولينان بك (لينان باشا الفرنساوي) ودي لسبس الفرنساوي (صاحب قنال السويس) وكان وقتئذ سكرتيرًا لقنصلية فرنسا في مصر، وفي أثناء تناول الغداء فطن الحاضرون إلى أن ذلك اليوم – ١٥ اغسطس- هو عيد ميلاد نابليون (لإنه ولد في ١٥ أغسطس سنة ١٧٦٩) فصادفت هذه الذكرى هوى في فؤاد إبراهيم باشا فأمر في الحال بذبح خروف أمام الحاضرين ولما جرى دمه قام إبراهيم باشا وكتب بدم الخروف حرفي م. ن وهما الحرفان الأولان من اسمي محمد على ونابليون.

٨٧ – وجيوش محمد على صادفها ما صادف جيوش نابليون من انكسار ينقلب إلى انتصار. ففي واقعة Eylan (٨ فبراير سنة ١٨٠٩) كاد الروس يمزقون جيوش نا بليون شر ممزق لولا حركة لف ودوران من الماريشال ناي Ney واذا الروس ينكسرون والفرنساويون ينتصرون. وفي واقعة مارنجو Marengo(١٤ يونيه سنة ١٨٠٠) كادت الجيوش النمساوية تسحق جيوش نابليون لولا ظهور فيالق دسكس Destix وإذا النمساويون ينكسرون والفرنساويون ينتصرون. وجيوش محمد علي أحدق بها الخطر في واقعة نزيب وكاد الخطر ينقلب إلى هزيمة لولا حركة لف ودوران من الجيوش المصرية تحت قيادة إبراهيم باشا وسليمان باشا

الفرنساوى طوقت الجيش العثماني الذي كان تحت قيادة حافظ باشا والبارون مولتكي[٨٦] وانتهت بنصر مبين. مزق المصريون الجيش التركي شر ممزق. قتلوا منه ٤. ٠٠٠ وغنموا منه ١٧٩ مدفعًا وأسروا ١٥. ٠٠٠ وغنموا ١٨،٠٠٠ بندقية واستولوا على جميع المعسكر التركي مهماته وذخائره. واعترف البارون مولتكي الألماني بأن الجيش التركي خسر في تقهقره خمسة أسداس البقية الباقية منه. وفي واقعة كولاخ ببلاد العرب (٢٠ يناير سنة ١٨١٥) بدأت المعركة بين الجيش المصري تحت قيادة محمد على باشا نفسه بفوز الوهابيين واندحار المصريين و تقهقرهم وتشتتهم ولما هم العرب بمطاردة المصريين جمع محمد على فلول جيشه وكون منه مربعات –على مثال ما فعل نابليون في واقعة امبابه مع المماليك– وصوب مدافعه على العرب حصدهم حصد ثم انقلب من الدفاع إلى الهجوم وانقض على جيوش العرب فمزقها شر ممزق وقتل منهم ٥. ٠٠٠ جندي، وكان هذا النصر المبين خاتمة أعماله الحربية في بلاد العرب.

٨٨ – وجيش نابليون لما اضطر إلى إخلاء فلسطين بعد ما فشل في الاستيلاء على قلعة عكا كاد يهلك من الجوع والعطش فاضطر الجند إلى أكل الخيل والجمال والحمير والكلاب أيضًا التي صادفوها[٨٧]،

---

[٨٦] وهو الذي كان رئيس هيئة اركان حرب الجيش البر وسي في حرب السبعين التي اندحرت فيها جيوش نابليون الثالث أمام ملاك بروسيا وأمام بسمارك.

[87] Année 1977.Fév.27." –Nous avons mangé des chiens, des ânes et des chameaux ".V."Vie de Napoléon ".P.73.

وجيش محمد علي عندما اضطر إلى اخلاء جزيرة العرب وعندما اضطر إلى اخلاء فلسطين وسوريا كاد يهلك من الجوع والعطش واضطر إلى أكل الخيل والجمال والحمير حتى أكل الاعشاب وجمار النخيل.

٨٩ – أخطأ نابليون بمد سلطإنه على بلاد وأمم وشعوب متباينة غير متجانسة لا تجمعها لغة واحدة ولا طبائع واحدة ولا دين واحد مثل ايطاليا وبلجيكا وهولندا و بلغاريا وبروسيا ومالطة ضحى في غزوها ماضحى من رجال وأموال. وأخطأ محمد علي هو أيضًا بمد سلطإنه على بلاد وأمم وشعوب متباينة غير متجانسة لا تجمعها لغة واحدة ولا عادات واحدة ولا أخلاق واحدة ولا دين واحد مثل اليمن ونجد والحجاز وفلسطين وسوريا والأناضول وكريت وبلاد النوبة ودارفور وكردفان. ضحى في غزوها ما ضحى من رجال وأموال[٨٨].

٩٠ – في أثناء وجود بونابرت في مصر وصلت إليه أخبار سيئة عن حالة فرنسا الداخلية والخارجية انزعج لها واضطرب فقرر العودة إلى فرنسا حالًا فغادرها وترك الجيش في مصر وكتم الخبر عن الجيش كي لا يتذمر ولا يتطرق إلى قلبه اليأس وخيبة الأمل، وأسر بعزمه هذا الي ثلاثة من أخص أخصائه وهم: (برتييه Berthier وبوريين Bourienne وجانتوم Ganthaume) وعين الجنرال كليبر Kleber خلفًا له، ثم

---

[٨٨] حرب المورة كانت محمد علي ٢٣,٥٠٠,٠٠٠ فرنك ذهب عدا خسارة أرواح الجنود وعددهم ٣٠ ألف وخسارة الأسطول المعري وعدد سفنه ٨٩.وقد أغرقها الحلفاء في نافارين Navarin (في بلاد اليونان).وحرب الوهابيين كانت محمد على ٢٠٠,٠٠٠ جنيه عدا خسارة الأرواح.ولا يعلم إلا الله كم كلف غزو فلسطين وسوريا ولبنان والاناضول.وكم كلف غزو النوبة والسودان ودارفور كوردفان وجزيرة كريت وجزيرة قبرص.

أمر جانتوم –قائد البقية الباقية من الأسطول الفرنساوي بعدما حطمه الانجليز في أبي قير– بأن يجهز أربع سفن ويزودها بماء وميرة تكفي ٤٠٠ مسافر لمدة أربعة أشهر، وأبحر من الاسكندرية في يوم ٢٢ أغسطس سنة ١٨٩٩ الساعة السابعة مساء ووصل إلى طولون (فرنسا) يوم ٩ أكتوبر بعد أن ليث ٤٥ يومًا في البحر. ثم واصل السفر –على عربة بريد– إلى أن بلغ باريس يوم ١٣ أكتوبر. وقد حصل لمحمد علي ما حصل لنابليون تماما إذ إنه لما كان في جزيرة العرب في خلال سنة ١٨١٣ وصلت إليه أخبار سيئة عن حالة مصر الداخلية والخارجية انزعج لها واضطرب، فقرر العودة إلى مصر وترك الجيش المصري في بلاد العرب وكتم الخبر. وفي يوم ١٩ مايو أمر حاكم ينبع بأن يجهز له سفينة تبحر ليلا، وفي يوم ٢٠ وصل محمد علي باشا إلى ينبع مع حاشيته وركبوا فورا السفينة ولما وصل إلى القصير لم يجد خيلًا ولا أبلًا فامتطى «حمارًا» سار به في جوف الصحاري. ولما وصل إلى قنا ركب مركبًا مخرت به في بحر النيل إلى أن وصل إلى مصر في يوم ١٩ يونيه سنة ١٨١٥ بعد شهر واحد من مغادرته «المدينة المنورة»[٨٩].

---

(89) "Méhémet-Ali quitta brusquement l'Arabie.Dès le 19 mai, le gouverneur d'Yanbo recevait l'ordre de tenir un bâtiment prêt à faire voile dans la soirée; le lendemain arrivait le pacha avec une suite nombreuse; il s'embarquait sans nul retard, et ne permettait même pas au capitaine de longer la cote suivant l'usage, quoique le navire fut mal approvisionné d'eau; mais il lui ordonnait de gagner le large, atteignait Cosseir, et ne trouvant là sous sa main ni chevaux ni chameaux, il s'élançait à dos d'âne dans le

٩١ – أرهق نابليون فرنسا بكثرة التجنيد حتى مل الفرنسيون فتفننوا في الخلاص من الجندية بقطع أصابعهم وتشويه أعضائهم وتسحب منهم آلاف ورفض التجنيد ١٦. ٠٠٠ وشدد محمد علي على المصريين بالتجنيد حتى ملوا فتفننوا في الخلاص من الجندية بقطع أصابعهم وتشويه أعضائهم و تسحب منهم ٦. ٠٠٠ إلى ولاية عكا[٩٠].

٩٢– ونابليون أقصي عن العرش مرتين: مرة في ١١ أبريل سنة ١٨١٤ بعد رجوعه من روسيا وانكساره في ليبزج ومرة في ٢٢ يونيه سنة ١٨١٥ بعد واقعة واترلو. ومحمد علي عزله السلطان أربع مرات[٩١]. مرة في سنة ١٨٣٢ بعد ما زحف جيش محمد علي على فلسطين وحضر عكا. ومرة في سنة ١٨٣٩ قبل واقعة نزيب، ومرة في ٣١ مايو سنة ١٨٤١ بعدما

---

désert, prenait une cange à Kénè, et rentrait dans sa capitale le 19 juin 1815, un mois, jour pour jour, après son départ de Médine.(p.148)

[90] "Quand les fellahs eurent reconnu que la résistance ou- verte ne pouvait les soustraire à leur sort, ils ne craignirent pas de se mutiler pour se rendre impropre au service militaire; les uns s'excisaient le doigt indicateur de la main droite avec une hache, les autres se mettaient un peu de chaux vive dans l'oeil droit ". (P.249)

إلى أن قال:

"Cette misérable population، qui poussait l'horreur pour le service militaire normal jusqu'au point de se mutiler afin d'y échapper,-si bien que la pacha, en pénurie de soldats, avait contraint de ne plus admettre aucun motif d'exemption, et d'enregistrer tout le monde, jusqu'aux borgnes".(P.265)

[٩١] لما تلقي محمد على من الصدر الاعظم الفرمان بعزله قال (هذه هي رابع مرة يعزلونني فيها وفي كل مرة كنت إنهض وازداد مجدًا – راجع صحيفة ٢٣٦ من كتاب كريم بك ثابت)

تأليت الدول عليه وطلبت منه الجلاء عن الأناضول وسوريا وفلسطين ورفض. وبعدما تم التفاهم والصلح أبطل السلطان عبد المجيد أمر العزل بفرمان تاريخه ١١ أبريل سنة ١٨٤١.

٩٣ – ونابوليون هدد بالانتحار مرة (في ٢١ أبريل سنة ١٨١٤) عندما كرهته الدول المتحالفة على النزول عن العرش، ومحمد علي هدد بالانتحار مرة (في سنة ١٨٤٠) عندما أكرهته الدول المتحالفة على الجلاء عن الاناضول وسوريا.

٩٤ – ونابليون تحالفت ضده انجلترا وروسيا وبروسيا والنمسا وايطاليا واسبانيا والسويد و تركيا. حاربته وأجلت جيوشه عن شمال أوروبا وجنوبها وشرقها وغربها[٩٢]، ومحمد علي تحالفت ضده انجلترا وروسيا وبروسيا والنمسا وايطاليا وتركيا وحاربته وأجلت جيوشه عن الاناضول وسوريا ولبنان وفلسطين وكريت.

٩٥ – وبينما كان نابليون يحاصر قلعة عكا اتصل به نبأ ظهور رجل في مصر في خلال شهر ابريل سنة ١٧٩٩ ادعى النبوة وزعم إنه المهدي المنتظر وان الله أوحى إليه ان يطرد الفرنساويين من مصر والتف حوله لفيف من الناس السذج وسرى الهرج ورج بين القوم سريان النار في الهشيم و أزاء فشل الحصار وهلاك الكثير من رجاله ودموع خبر هذا المهدى قرر بونابرت العودة إلى مصر فوصل إليها في ١٤ يونيه سنة

[٩٢] انفقت انجلترا في هذا السبيل ٨٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه حتى سنة ١٨١٤ – أى إلى أن نفي نابليون في جزيرة إلى Elbe

١٧٩٩ (صحيفة ٧٤ من كتاب "Bonaparte en Egypte" تأليف Bainville) يقابله إنه في أثناء انهماك محمد علي بإعداد حملتي جزيرة كريت وشبه جزيرة المورة ظهر في الوجه القبلى رجل مغربي في شهر أبريل سنة ١٨٢٤ زعم أن الله أوحى إليه بأن يحاسب محمد علي على أفعاله المخالفة لشريعة الله وسنة نبيه فصدقه أهالي اسنا وأرمنت وقوص وقنا والنضووا تحت لوائه ونادوا بوجوب شق عصا الطاعة على محمد علي. فخوفًا من استفحال أمره أنفذ إليهم محمد علي قوة من رجاله بطشتبهم وشتت شملهم (صحيفة ١٣٧ من كتاب كريم ثابت بك).

٩٦ – وفي أثناء واقعة «واترلو» التي انتهت في ١٨ يوليه سنة ١٨١٥ بانكسار نابليون ونفيه طلب الانجليز من الجنرال كامبرون Cambronne قائد الحرس الفرنساوى التسليم فأبى وقال كلمته المشهورة في التاريخ: «الحرس يفضل الموت على التسليم». "La garde meurt et ne se rend pas" وفي أثناء حصار بيروت طلب الانجليز من سليمان باشا الفرنساوى قائد جيوش محمد على التسليم فأبي وقال: «أفضل الموت على التسليمه.

٩٧ – كاد نابليون يغرق في خليج السويس في ٢٨ ديسمبر سنة ١٧٩٨ إذ إنه بارح مصر القاهرة يوم ٢٤ ديسمبر سنة ١٧٩٨إلى السويس مع أربعة من المهندسين والعلماء وهم مونج Monge وبرتوليه Bertholet وكوستاز Costaz والمهندس لوبير Lepere وعاين

المنطقة كلها ووصل إلى البحيرات المرة ووادي الطويلات واكتشف ترعة قديمة وزار عيون موسى ثم اجتاز الخليج مشيا على قدميه. وفي أثناء عودته من البرالا سيوى فاجأته ظاهرة المد والجزر وكادت مياه البحر تبتلعه فهرول نحو بر مصر وقال كلته المشهورة «هل كتب علينا الغرق هنا كما كتب على فرعون مصر من قبل»(٩٣) وكاد يغرق أيضًا في ١٤ نوفمبر سنة ١٧٩٦ في إيطاليا عندما أراد اجتياز كوبري أركول **Le pont d'Arcole** إذ إنه سقط في البحيرة ولولا أن أسرع جنوده وانتشلوه لوقع أسيرًا في أيدي الأعداء ولتغير مجرى التاريخ.

ومحمد علي كاد هو أيضًا يغرق في النيل إذ إنه في أثناء رحلته إلى السودان تحطم المركب الذي كان فيه فوقع في البحر وكاد يغرق الا إنه سبح إلى أن وصل إلى الشاطيء ثم امتطى هجينًا واجتاز الصحراء(٩٤). ويروى إنه لما حضر إلى مصر في أول مرة غرق ونجا(٩٥). وكاد محمد على يغرق مرة أخرى إذ إنه بعد أن جلا الانجليز عن ثغر الاسكندرية في

---

(٩٣) "Serions – nous venus ici pour périr comme Pharaon

وتذكرنا نجاة نابليون ومحمد علي من الغرق في مصر بنجاة يوليوس قيصر من الغرق في أخر الاسكندرية عندما حضر إلى مصر – بعد وفاة اسكندر الاكبر المقدوني بثلاثة قرون – وناصر كليوباترا ملكة مصر على أخيها بطليموس الذي غرق في النيل وعمره ١٥ سنة.

(94) "Dans le commencement de sa carrière, il a affronté tous les périls.L'année dernière ne l'a-t-on pas vu, malgré son âge, entre prendre le voyage de Fazoglu, c'est-à-dire aller à six cents lienes de sa capitale braver les écueils du Nil, briser sa barque, se jeter à la nage, et faire, sur un dromadaire, à travers les déserts, une grande partie de cette route longue et dangereuse ?" V."L' Egypte "par Clot Bey.P.63.

(٩٥) وإلى هذا الغرق أشار أحد الشعراء بقوله:

هذا الذي قدرت مصر" له فمشي — على الباب ولم يظفر به الغرق

سنة ١٨٠٧ دخلها محمد على ثم سار إلى رشيد ومنها ركب مركبًا في النهر قاصدًا مصر ولكن المركب انقلبت به أمام وردان فاجتاز النهر سباحة ثم تابع سفره را كبًا جوادًا.

٩٨ – وقد سقط محمد علي من جواده وهو قاصد مصر كبا به جواده فسقط على الأرض ونابليون كبا به جواده بعد اجتيازه نهر النييمين Niemen عندما غزا روسيا.

٩٩ – ونابليون زار مدينة أجاكسو (مسقط رأسه) مرة واحدة في حياته بعد أن غادرها في ١١ يونيه سنة ١٧٩٣ واستوطن فرنسا، وقد زارها وهو عائد إلى فرنسا بعد أن غزا مصر. نزل في أجاكسيو في أول أكتوبر سنة ١٧٩٩ ثم سافر إلى فرنسا ولم يعد. ومحمد على مثله زار مسقط رأسه «قواله» مرة واحدة في حياته بعد أن غادرها في سنة ١٨٠١ واستوطن مصر وذلك بعدما زار السلطان عبد المجيد في استانبول في سنة ١٨٤٦ وعاد إلى مصر.

١٠٠– اجتاحت جيوش نابليون أوروبا من الغرب إلى الشرق ووصلت إلى قلب روسيا واحتلت موسكو ثم ارتدت من روسيا إلى فرنسا خائرة القوى تمر في وسط بلاد معادية وتقاتل أممًا معادية تكافح المطر والثلج والبرد القارس إلى أن عادت إلى فرنسا بعد أن خسرت ٣٠٠. ٠٠٠ جندي وخسرت مدافعها ومهماتها، كذلك جيوش محمد علي فإنه بعد أن تألبت عليه انجلترا وتركيا والنمسا وبروسيا والروسيا اضطر إلى إخلاء الأناضول وسوريا وفلسطين وعادت الجيوش المصرية مارة ببلاد معادية وأمم معادية تقاتل الترك والانجليز والبدو والدروز ولما

وصلت إلى جنوب سوريا انقسمت فرق ثلاثة مشاة وفرسانًا ومدفعية. المشاة تحت قيادة إبراهيم باشا والفرسان تحت قيادة أحمد باشا المانكلي والمدفعية تحت قيادة سليمان باشا الفرنساوي. وعادت إلى مصر منهوكة القوى وقد خسرت نصف عددها تقريبًا.

١٠١ – ومن أغرب المصادفات إنه لما اشتدت الأزمة السياسية بين محمد علي والدول المتحالفة (على أثر اتفاق لوندره المؤرخ ١٥ يوليه سنة ١٨٤٠) أوفدت الحكومة الفرنساوية إلى محمد علي الكونت فالفسكى le Comte Walewski[٩٦] (ابن نابليون من معشوقته la Comtesse Walewska) ليتفاوض معه وليطلب حماية ووساطة فرنسا[٩٧].

١٠٢ – وفي آخر عهد نابليون بالحكم[٩٨] أصابه اختلاط في عقله[٩٩]. وفي آخر عهد محمد على بالحكم أصابه اختلاط في عقله.

---

[٩٦] ولد في سنة ١٨١٠ وتوفي في ستراسبورج في خلال سنة ١٨٦٨.

[٩٧] ولدت في سنة ١٧٨٩ (سنة الثورة الفرنساوية) وعرفها نابليون في خلال سنة ١٨٠٧ (وكان في أإوج عزه ومجده) وعمرها ١٨ سنة وكانت آية في الجمال.وتوفيت في خلال سنة ١٨١٧ بعد سقوط نابليون بسنتين).

[٩٨] قلت في آخر عهده "بالحكم" ولم أقل في آخر حياته لأن اختلاط عقله أصابه في آخر عهده بالحكم أما هو فقد عاش بعد سقوطه وإنهيار امبراطوريته ست سنوات ثم مات بسرطان في المعدة (مثل ابيه).

[٩٩] وفي هذا الصدد يقول لورد روز برى Rosehery في الصحيفة ٣٠٠:

"Nous sommes donc convaincus que longtemps avant sa chute finale l'Empereur avait perdu l'équilibre de ses facultés.Ceci ne veut pas dire qu'il fut fou, à moins que ce ne soit dans le sens où l'entend Juvénal dans son amère apostrophe à Annibal.Un cerveau sain "est un terme élastique ".V ". Napoléon " par Lord Rosebery P.300

إلى أن قال في صحيفة ٣٠١:

١٠٣ – وابـن نـابليون مـات بالسـل. وابـن محمـد علـى مـات بالسل(١٠٠).

١٠٤ –كانـت السـفينة الحربيـة الانجليزيـة بيلليروفـون Bellérophon شؤمًا على نابليون وعلى محمد علي. إذ كانت بين سفن أسطول نلسون الذي حطم أسطول نابليون في أبي قير في أول أغسطس سنة ١٧٩٨ وكانت هي السفينة الحربية التي أقلت نابليون في يوم ١٥ يوليه سنة ١٨١٥ أسيرًا من فرنسا إلى انجلترا – بعدما هزم في واقعة واترلو و سلم نفسه إلى الانجليز –وكانت هي هي نفسها التي استخدمتها انجلترا لضرب عكا عند ما كان حود محمد على معتصمين فيها و بقيت هذه السفينة الحربية تطلق قنابلها على القلعة وحي المدينة حتى دمرت تلك المدينة وقتلت جنود الالاى المصري الذين كانوا – فعون عنها. ولما رفض رجال المدفعية المصرية التسليم استمر إطلاق

"Le Napoléon qui déclara un jour que toutes les contrées de l'Europe devraient déposer leurs archives à Paris et, un autre jour, que l'Empire français devrait être le pays d'origine de toutes les souverainetés; que tous les rois de la terre devraient avoir des palais, pour y résider, à Paris et assister, en pompe, au couronnement de l'Empereur des Français ; le Napoléon qui refusa de faire la paix en 1813 et en 1814 avait perdu, évidemment, son équilibre mental.Cela est si manifeste que, dans les derniers jours de son premier règne, une conspiration se forma à Paris pour le déposer comme ayant perdu la raison ".V.* Napoléon "par Rosebery.P.301

(١٠٠)

"Une phtisie pulmonaire emporta Ibrahim Pacha "V."L'Egypte sous Ismail " par Amédée Sacré.

القنابل عليهم دى ان استشهدوا على بكرة أبيهم مفضلين الموت على التسليم.

١٠٥ – ونابليون بعد وفاته نقل رفاته بحرًا من جزيرة سانت هيلانه إلى فرنسا ثم نهرًا عندما اجتازت الباخرة نهر السين من مصبه إلى باريس عاصمة فرنسا. ومحمد علي بعد وفاته في الاسكندرية نقل رفاته نهرًا على باخرة اجتازت ترعة المحمودية ثم نهر النيل من الاسكندرية إلى القاهرة عاصمة مصر.

١٠٦ – أحب نابليون فرنسا حبًا جمًا وآخر كلمة له: "أريد أن يرقد رفاتي على حسن في نهر السين بين الشعب الفرنسي الذي أحبه حبًا جمًا"[(١٠١)] وقد قرأتها منقوشة على تمرد في سراى الانفاليد. وأحب محمد على باشا مصر حبًا جمًا. في نشرة حررها ووزعها – على الشعب المصري في يوم ١١ من شهر المحرم سنة ١٢٦٣ قال:

"أن أفكار وآراء محمد علي هي لخير هذا الوطن، نحن وطنيون، ومن لم يفهم سي الوطنية، فهو بلا شك لا يستطيع أن يكون من حصان العقلاء. أيها الرجال:

أستحلفكم بالله أن تطهروا نفوسكم من الشهوات النفسانية.

[(101)] "Je désire que mes cendres reposent sur les bords de la Seine au milieu de ce peuple francais que j'ai tant aime"

كتبه وهو في في ١٦ أبريل سنة ١٨٢١ وقد مات في ٢ مايو سنة ١٨٢١.ومن غريب المصادفات أن يظهر نجم ذو ذنب قبيل موت نابليون كما ظهر نجم ذو ذنب قبيل موت يوليوس قيصر الروماني الذي يعد من أعظم أبطال التاريخ وهو الذي حضر إلى مصر ورزق من ملكة مصر كليوبطره ولدًا سماه سيزاريون Cesarion.

انصفوا. اخدموا هذا الوطن العزيز بإخلاص. فمتى كان وطنكم عزيزًا كنتم أعزاء. اعملوا ولا تدعوا الفرصة تفوتك تظهروه أمام العالم وطنا عظما بأهله كبيرة بحكامه"

وآخر كلمة له خاطب بها أولاده هي: «ليس لكم يا أولادى وطن غير مصر. فإن لم تسلكوا سبيلي وتتبعوا خطواتي فلا عز لكم ولا علاء وأنا منكم برى»

ومن مأثور قول ابنه إبراهيم: «أني لست تركيًا. إذ إنه من يوم حضوري إلى مصر طفلًا وشمس مصر تفعل في دمي فعلها حتى جعلته دم مصريًا صرفًا».

١٠٧ – نختم بكليات جامعة مانعة كأن قائلها عنى بها نابليون ومحمد علي معًا:

"Le premier qui fut roi fut un soldat heureux".

"Les hommes de génie sont des météores destinés à brûler pour éclairer leur siècle".

والكلمة الثالثة قالها مدرس لتلامذته وصفًا لنابليون، وتنطبق على محمد علي أيضًا:

"Sa tête est le foyer des grandes idées comme le soleil est le foyer de la lumière".

كلمة أخيرة:

"Entre les plus beaux noms leur nom est le plus beau".

السيد محمد جمال الدين الأفغاني

في ٩ مارس سنة ١٩٤٧ – أي بعد عشرة شهور– تكون قد مضت خمسون سنة على وفاة السيد محمد جمال الدين الأفغاني.

والسيد محمد جمال الدين من أعظم زعماء الإصلاح في هذا العصر.

طاف في الحجاز. وفي مصر. وفي الهند. وفي العراق. وفي ايران. وفي تركيا. وفي بلاد الأفغان. وفي روسيا. وفي فرنسا. وفي انجلترا. وفي مونيخ (بألمانيا)

استقدمه شاه العجم واستوزره. واستزاره قيصر الروس. واستدعاء السلطان عبد الحميد وعرض عليه أعلى المناصب.

حذق اللغات الأفغانية والعربية والأوردية والفارسية والتركية والفرنساوية وألم بالانجليزية والروسية.

ساح كثيرًا. وكتب كثيرًا. وخطب كثيرًا، وحاضر كثيرًا. وحادث كثيرًا كبار رجال السياسة والصحافة والعلم والأدب.

بث تعاليمه ومبادئه وأفكاره وآراءه في البلاد التي طاف فيها وكانت ترمي كلها إلى جمع كلمة أهل كل بلد من بلاد الشرق ومحاربة الاستعمار الاوربي وإطلاق حرية الشعوب وبناء نظام الحكومات على الشورى والدستور. ولعله أول من فكر في وحدة البلاد الشرقية وفي الجامعة العربية.

حادث أقطاب رجال السياسة. ورجال الصحافة. ورجال العلم مثل لورد سالسبري كبير وزراء انجلترا ورينان فيلسوف فرنسا وروشفور الصحفي الفرنساوى المشهور. وصفه رينان بكلمة جاءت من جوامع الكلم فقال «كنت إذا ما تحدثت إليه كأنني أتحدث إلى ابن سينا أو ابن رشد». وقال آخر عنه «يكاد يكون الأفغاني نبيًا» وأنشأ وهو في فرنسا مع الشيخ محمد عبده جريدة «العروة الوثقى».

وحسبه فخرًا أن يكون من تلاميذه ومريديه الأمام الشيخ محمد عبده. وسعد باشا زغلول. وعبد الرحمن الكواكبي. وعبد الله نديم. وأحمد سمير. والشيخ عبد الكريم سلمان. والشيخ سيد وفا. وأديب اسحق. وسليم عنحورى. وإبراهيم بك الهلباوي. وإبراهيم بك اللقاني. وعلي بك فخري. والأمير شكيب أرسلان. والشيخ عبد القادر المغربي. والمخزومي باشا. والشيخ رشيد رضا وغيرهم وغيرهم من أقطاب السياسة والصحافة والعلم والأدب.

تعلم اللغة الفرنساوية على كبر فكان مثله كمثل نابليون. ومحمد علي باشا الكبير. وعصمت اينونو رئيس جمهورية تركيا. ومدحت باشا الصدر الأعظم. وسعد باشا زغلول زعيم مصر. والأمام الشيخ محمد عبده. ومصطفى باشا عبد الرازق فإنهم جميعًا تعلموا اللغات الأجنبية على كبر.

ولما وفد السيد محمد جمال الدين الأفغاني على مصر في أواخر سنة ١٢٨٦ هـ (وكان حنفي المذهب من أسرة حنفية تنتسب إلى الحسين بن علي) وكان يقيم في خان الخليلي وكانت مجالسه كلها

مجالس علم وحكمة وأدب وسياسة بث أفكاره الثورية والاصلاحية في المجالس العامة وفي المجالس الخاصة وقيل إن الثورة العرابية كانت وليدة أفكاره ومثلها ثورة رجال تركيا الفتاة.

شبهوا وجوده في مصر بمستودع بنزين وجمال الدين بعود ثقابها. وصفوه بكلمة جامعة مانعة فقالوا إنه كان يتناول السعوط بيمناه ويوزع الثورة بيسراه.

اشتهر الأفغاني بإنكار الذات وبالجرأة، أضرب لك بعض الأمثلة لتعرف مقدار جرأته ومبلغ انكاره لذاته.

انكار ذاته – في سنة ١٨٩٢ استدعاه السلطان عبد الحميد في الاستانة ولكسب نفوذه عرض عليه مشيخة الاسلام فرفض. عرض عليه أن يزوجه من جارية حسناء من جوارى قصر يلدز فرفض. لوح له لورد سالسبري رئيس وزراء انجلترا ملك السودان ليطفيء الثورة. فكان جوابه «إن السودان لأهله وهل تملكونه حتى تملكوني عليه»؟

جرأته – كان بين الأفغاني وشاه العجم جفاء وعداء. طلب منه السلطان عبد الحميد أن يعدل عن مهاجمة الشاه فأجابه السيد جمال الدين (لأجلك قد عفوت عنه) فارتاع السلطان لمثل هذه الجرأة.

كان السيد وهو في حضرة السلطان عبد الحميد يلعب بحبات السبحة التي كانت في يده. لفت نظره إلى ذلك رئيس المابين بعد خروجه من حضرة السلطان.

فأجابه السيد جمال الدين (أن السلطان يلعب بمستقبل الملايين من الأمة أفلا يحق لجمال الدين أن يلعب بسبحته كما يشاء؟). فنزلت هذه الكلمة على رأس رئيس المابين نزول الصاعقة.

ولما تقابل مع قيصر روسيا حسن له جمال الدين قيام الحكومة على الشورى والدستور مع إنه يعلم أن قيصر روسيا مثل سلطان تركيا حاكما أوتوقراطى مستبد مطلق التصرف في أرواح رعاياه وفي أموالهم. ولم يكتف جمال الدين بيث أفكاره في رؤوس رجال الامبراطورية القيصرية بل نشر في الجرائد الروسية مقالات عن السياسة الافغانية والفارسية والعثمانية والروسية حبذ فيها حكم الشورى والدستور.

وللسيد جمال الدين كلمة مشهورة عن أهل الشرق. عاب عليهم اختلافهم على الاتحاد واتحادهم على الاختلاف وقال «اتفقوا على أن لا يتفقوا».

ومن أجل تعاليمه وأفكاره وآراءه سجن ونفي واعتقل وشرد واضطهد وقيد سلاسل وانتهت حياته بأن دسوا له السم فمات مسمومًا في منزله بنشان طاغ باستانبول ومنعت الجرائد في جميع الولايات العثمانية من تأبينه.

من أغرب المصادفات أن طريقة نفي السيد جمال الدين من مصر تشبه من جميع وجوه طريقة نفي زعيم مصر سعد باشا زغلول إذ إنه لما أمر الخديوي توفيق بنفي السيد جمال الدين (أخذ من داره ليلا في عربة

مقفلة وليس عليه غير قميص واحد و رسل في قطار خاص إلى السويس ومن هنالك إلى الهند . . .) وسعد باشا نفي في مثل هذه الظروف ولكن إلى سيشل. . .

قلنا أن السيد جمال الدين من أعظم زعماء الإصلاح في هذا العصر، وزعماء الاصلاح في هذا العصر منهم مدحت باشا الصدر الأعظم. والسيد أحمد خان. ومحمد بن عبد الوهاب. وسراج علي. والسيد أمير علي. وخير الدين باشا التونسي. وعبد الرحمن الكواكبي. والشيخ محمد عبده. وقاسم بك أمين. وعبد الله نديم. وكمال أتاتورك. ومصطفى باشا كامل.

ومن أراد المزيد من البيان عن تاريخ السيد محمد جمال الدين الأفغاني وعن زعماء الإصلاح في العصر الحديث فليراجع الجزء الرابع والجزء الخامس من كتاب «فيض الخاطر» للاستاذ الكبير أحمد بك امين. ودائرة المعارف الاسلامية. ومجلة الهلال. ومقال الأستاذ أحمد حسن الزيات (في مجلة الرسالة عدد ١١ مارس سنة ١٩٤٦). ومقال الأستاذ عثمان أمين (في مجلة الكتاب عدد مارس سنة ١٩٤٦) وكتاب مخزومي باشا. وكتاب الشيخ رشيد رضا. وكتاب مصطفى باشا عبد الرازق. وكتاب الأستاذ محمد صبيح عن الشيخ محمد عبده وغيرهم وغيرهم ممن لا تحضرني أسماؤهم الآن إذ منهم أخذت وعليهم اعتمدت.

ألا يحســن برجــال السياســة ورجــال العلــم ورجــال الأدب ورجــال الصحافة أن يقيموا لهذا الرجل العظيم حفلة تأبين في يوم ٩ مارس سنة ١٩٤٧ لمناسبة مرور ٥٠ سنة على وفاته.

وحبذا لو خلدت الحكومة ذكراه بإطلاق اسمه على أحد ميادين القاهرة أو أحد شوارعها الرئيسية.

محمد طلعت حرب

في سنة ١٨١٨ زار فرنسوا الثاني امبراطور النمسا الولايات والمقاطعات التي كان تزعها منه نابليون وضمها إلى الإمبراطورية الفرنسية فدهش من الانقلاب الكبير الذي طرأ على هذه البلاد وأعجب بالرق العظيم الذي وصلت إليه. وفي أثناء تجواله في نحاء البلاد وقع نظره على قصر فخم فسأل الوزير الذي كان يرافقه من شيد هذا القصر يا ترى؟ فأجابه الوزير – نابليون. وبعد فترة من الزمان رأي مدرسة كبيرة واسعة الأرجاء فسأل ومن بنى هذه المدرسة يا ترى؟ فأجابه الوزير – نابليون. وما هي إلا فترة أخرى حتى أعجب بالطرق الجميلة الواسعة فسأل: ومن شق هذه الطرق ومهدها وعبدها؟ فأجابه الوزير – نابليون. دهش الامبراطور وقال حقًا أن خروج الفرنسيين من هذه البلاد كان خسارة كبيرة ليتهم بقوا فيها حتى الآن يبنون ويصلحون ويعمرون.

تذكرت ذلك الحوار التاريخي عندما قرأت نبأ استقالة محمد طلعت حرب باشا من إدارة بنك مصر وإدارة جميع المؤسسات التي أنشأها.

إذا زار مصر زائر وطاف في أنحاء البلاد ورأى عمارة بنك مصر وسأل. من هذا البنك وبنى هذه العمارة الفخمة؟. لأجابوه – طلعت حرب.

واذا ما جال في انحاء مصر ورأى شركة مصر للغزل والنسيج. وشركة مصر الملاحة البحرية. وشركة مصر لحليج الأقطان. وشركة مصر

لعموم التأمينات. وسأل من بني ومن أسس؟ قالوا له: طلعت حرب.

وإذا وقع نظره على شركة مصر للسياحة. وعلى شركة مصر للطيران. وعلى شركة مصر للنقل والملاحة. وعلى شركة مصر لمصايد الاسماء. وعلى شركة مصر لصناعة الورق. وعلى شركة مطبعة مصر. وعلى شركة مصر لبيع المصنوعات المصرية. وسأل من بنى ومن أسس؟ قالوا له طلعت حرب.

وإذا وقع نظره على شركة مصر للكتان. وعلى شركة مصر لصناعة وتجارة الزيوت. وعلى شركة مصر لنسج الحرير. وعلى شركة مصر للتمثيل والسينما. وعلى شركة مصر للمناجم والمحاجر. وعلى شركة مصر لتصدير الأقطان. وعلى شركة مصر الصناعة ودباغة الجلود. وعلى شركة مصر للدخان والسجاير. وسأل آثار من هذه المؤسسات الوطنية؟ أجابوه – آثار طلعت حرب.

وإذا ضرب بطرفه في الاسكندرية. وفي طنطا. وفي المنصورة. وفي المحلة الكبرى. وفي كفر الدوار. وفي دمياط. وفي السويس. وفي الواسطي. وفي الفيوم. وفي مغاغه. وفي المنيا. وفي اسيوط. وفي بني قره. وفي الأقصر. وفي اسوان. وجد روح طلعت حرب تجلى من أقصى مصر شمالًا إلى أقصاها جنوبًا.

وإذا ما جال بخاطره في فرنسا. وفي سوريا. وفي لبنان. وفي بلاد العرب رأي روح طلعت حرب في بنك مصر – فرنسا. وفي بنك مصر – سوريا ولبنان. ورأى أثره في جدة. وفي مكة المكرمة. وفي المدينة المنورة. حقًا أن طلعت حرب يستحق تقدير الوطن . . .

الوزارات المصرية

من يستعرض تاريخ الوزارات المصرية من بدء تأليف أول وزارة في ٢٨ اغسطس سنة ١٨٧٨ حتى الآن يجد نهاية كل وزارة كانت نهاية سيئة.

كلف الخديوي اسماعيل نوبار باشا بتأليف أول مجلس نظار في ٢٨ أغسطس سنة ١٨٧٨ فلم تمض إلا بضعة شهور واذا الضباط والعسعار يتجمهرون أمام نظارة – المالية في ١٨ فبراير سنة ١٨٧٩ ويمسكون بتلابيب نوبار وينتشون شعره وينتفون شاربه ثم اعتقلوه وأهانوه وآذوه ضربا ولطمًا ولكمًا ولكزًا.

أراد اسماعيل باشا وضع حد للهرج والمرج فأسند رئاسة مجلس النظار إلى ابنه الأمير توفيق ولكن الأمير لم يستطع السير والبقاء فاستقال بعد ٢٦ يومًا فقط.

تولى بعده شريف باشا في ٧ ابريل سنة ١٨٧٩، إلا إنه بسبب قيام مصاعب ومشاكل في وجه اضطر إلى تغيير الوزارة مرتين في بحر أربعة شهور ونصف ثم استقال.

لم يجد الخديوى من يقبل الرئاسة من بعده فأصدر أمر بإلغاء مجلس النظار.

وفي ٢١ سبتمبر سنة ١٨٧٩ أسند الخديوي توفيق الرئاسة إلى رياض باشا وفي عهده ثار الضباط مرة أخرى وساروا إلى ساحة عابدين مهددين طالبين إقالته وعطر توفيق باشا إلى إقالته. وأسند الوزارة إلى شريف باشا للمرة الثالثة إلا أن الظروف التي أحاطت به أكرهته على الاستقالة.

حتم الشعب تعيين محمود سامي البارودى باشا فعينه في ٤ فبراير سنة ١٨٨٣ بقي وى دست الرئاسة أربعة أشهر ونصف انتهت بمحاكمته والحكم عليه بالاعدام في ٧ ديسمبر سنة ١٨٨٣ تم عدل الحكم إلى النفي المؤبد.

أسند توفيق باشا الوزارة إلى اسماعيل باشا راغب فلم يستطع هو أيضًا البقاء إلا شهرين اثنين فقط. وبقيت الرئاسة شاغرة إلى أن تولاها شريف باشا للمرة الرابعة. خلفه فيها نوبار باشا. ثم رياض باشا. إلى أن أسندت الرئاسة إلى المغفور له مصطفي باشا فهمي. غضب عليه الخديوى عباس وأقاله وعين فخري باشا. إلا أن فخري باشا لم يلبث إلا ثلاثة أيام فقط. فخلفه رياض باشا للمرة الثالثة. وتلاه مصطفى باشا فهمي للمرة الثانية. إلى أن خلفه بطرس باشا غالى في ١٢ نوفمبر سنة ١٩٠٨ إلا أن رئاسته انتهت في ٢٠ فبراير سنة ١٩١٠ باغتياله.

تولى الوزارة من بعده سعيد باشا، ثم حسين رشدى باشا للمرة الأولى. وفي الفترة بين ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ (وهو يوم اعتلاء المغفور له الأمير حسين عرش مصر) إلى ٢٢ ابريل سنة ١٩١٩ تغيرت

الوزارة أربع مرات تولى فيها حسين رشدى باشا الرئاسة. ثم خلفه سعيد باشا للمرة الثانية وفيها حاولوا اغتياله في ١٢ سبتمبر سنة ١٩١٩. ثم يوسف باشا وهبه وفيها –في ١٥ ديسمبر سنة ١٩١٩– حاولوا اغتياله. ثم توفيق نسيم باشا للمرة الأولى وفيها حاولوا اغتياله في ١٢ يونيه سنة. ١٩٢٠ ولا تزال الذكريات الأليمة تطن في آذاننا كيف كانت نهاية وزارة نسيم باشا. ثم خلفه عدلي باشا في ١٧ مارس سنة ١٩٢١ الا إنه استقال في ظروف قاسية مهينة. خلفه ثروت باشا وقد دبرت مؤامرتان لاغتياله: مؤامرة في ٢٩ يناير سنة ١٩٢٢.

وأخري في ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٢. ثم نسيم باشا. وقد استقاة مفجوعين ظلما في كرامتهما. ثم يحي باشا إبراهيم. إلى ان تولى الرئاسة سعد باشا في ٢٨ يناير سنة ١٩٢٤ وفي خلالها –في ١٢ يونيه سنة ١٩٢٤– حاولوا اغتياله هو أيضًا في محطة مصر وانتهت وزارته بفجيعة هي مقتل السردار.

خلفه زيور باشا الا إنه لم يستو على كرسى الوزارة الا ثلاثة شهور ونصف فاضطر إلى تغيير وزارته وألف وزارة أخرى في ١٣ يناير سنة ١٩٢٥. ثم خلفه عدلي باشا للمرة الثانية في ٧ يونيه سنة ١٩٢٦. ثم أسندت الرئاسة للمرة الثانية إلى ثروت باشا ولا تزال الذكريات الأليمة التي انتهت بها وزارته ماثلة أمامنا. ثم تولى الرئاسة للمرة الأولى النحاس باشا إلا إنه لم يبق في دست الوزارة إلا ثلاثة شهور ونصف.

خلفه محمد محمود باشا إلا أن وزارته لم تعمر أكثر من سنة وثلاثة شهور. ثم جاء من بعده عدلي باشا للمرة الثالثة فلم تطل وزارته الا ثلاثة شهور. وجاء النحاس باشا للمرة الثانية فلم تدم وزارته إلا خمسة شهور ونصف. ثم تولى الوزارة صدقي باشا مرتين متواليتين فيهما شرع في اغتياله مرتين مرة في ٢٠ أغسطس سنة ١٩٣٠ ومرة في ١٦ مايو سنة ١٩٣٣. إلى أن اسندت الوزارة إلى عبد الفتاح يحيى باشا. ثم خلفه نسيم باشا للمرة الثالثة. ثم تولى ماهر باشا رئاسة الوزارة للمرة الأولى ولم يبق فيها سوى ثلاثة شهور.

فخلفه النحاس باشا للمرة الثالثة ثم الرابعة وفيها حاولوا اغتياله في ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٣٧. ثم أسندت الرئاسة إلى محمد محمود باشا للمرة الثانية والمرة الثالثة والمرة الرابعة على التعاقب. إلى أن خلفه على ماهر باشا للمرة الثانية. ثم خلفه حسن صبرى باشا وانتهت وزارته بسقوطه جثة هامدة وقت أن كان يتلو خطاب العرش. ثم خلفه حسين سري باشا مرتين. ثم النحاس باشا مرتين وانتهت وزارته با قالته بطريقة قاسية في ٨ اكتوبر سنة ١٩٤٤.

الوزير المصري يهوى بين يوم وليلة من أعلى عليين إلى أسفل سافلين. يولى فيهللون. ويتولى فيولولون.

٥ وزارة في خلال ٦٦ سنة – بين اغسطس سنة ١٨٧٨ واكتوبر سنة ١٩٤٤– منها وزارة دامت ثلاثة أيام فقط. وأخرى دامت ٢٦ يومًا فقط. والكثير لم يعمر أكثر من ثلاثة أشهر.

كانت النتيجة ذبذبة في السياسة. وعدم استقرار في مناهج التعليم. وفي سياسة الري وفي القضاء والصحة والأمن والزراعة والادارة وفي ما هو عماد كل سياسة أعني به السياسة المالية. صدق من قال: «إذا حسنت سياسة البلاد حسنت ماليتها».

***

لما قتل المأمون الفضل بن سهل عرضت الوزارة على أحمد ابن أبي خالد فأبي وقال: (لم أر أحدًا تعرض للوزارة وسلمت حاله..).

وله في خلقه شئون.

شامبليون

كانت الآثار المصرية القديمة المنتشرة في الوجهين البحري والقبلى وفي بلاد النوبة –من معابد وهياكل ومقابر ومصاطب ومسلات– صامتة طوال مدة ٢٠ أو ٣٠ قرنًا فأنطقها العلامة شامبليون العالم الأثري الفرنساوي وصارت تحدثنا عن تاريخ الحضارة المصرية القديمة مدة ألفي سنة من اول الفراعنة الي آخر فراعنة مصر ومن آخر الفراعنة إلى عهد الاغريق والرومان.

مهدت حملة نابليون بونابرت هذا الفتح العلمي العظيم عندما ندب الضابط بوشار **Bouchard** لبناء طابية في رشيد سميت فيما بعد طابية جوليان **Fort Julien** فعثر في خلال شهر اغسطس سنة ١٧٩٩ على حجر من البازلت الأسود عليه ثلاث كتابات مختلفة احداها كتابة يونانية. وهذه الكتابة كانت ترجمة مرسوم رفعه الكهنة المصريون في سنة ١٩٣ قبل ميلاد المسيح لتخليد ذكرى تتويج بطليموس الخامس أبيفان وقد نقل هذا الحجر إلى القاهرة وأودع المعهد العلمي الذي أنشأه بونابرت. وعندما أخرج الانجليز جنود بونابرت من مصر اشترطوا في الاتفاق الذي عقده الجنرال الانجليزي هو تشنسون **Hutchinson** قائد القوات البريطانية مع الجنرال مينو **Memou** قائد القوات الفرنساوية بأن تكون جميع الآثار المصرية القديمة – ومنها حجر رشيد هذا – ملكًا للحكومة الانجليزية وبالفعل سلم الفرنساويون الآثار جميعها إلى القائد الانجليزي

وهو نقلها إلى لندره ولاتزال بها (في المتحف البريطاني British Museum) حتى الآن.

وقد وفق شامبيليون وكشف سر اللغة الهيروغليفية بعد أن تعلم اللغة القبطية واللغة اليونانية واللغة العبرية واللغة الكلدانية واللغة اللاتينية واللغة الصينية واللغة العربية. وأول الأسماء التي حل طلاسمها وفك رموزها هي أسماء اسكندر الأكبر وبرينيس Berenice وقيصر César وديموستين Demosthene ونيرون Neron تيبير Tibere.

وقد زار شامبليون آثار مقابر بني حسن والأشمونيين والعرابة المدفونة وأدفو وأرمنت والأقصر ووادي الملوك والكرنك والقرنه وقاو واسنا والكاب ووادي حلفا وأبي سمبل. وكان يكد ويجد ويعمل في هذه الجهات النائية في الليل وفي النهار تحت أشعة الشمس المحرقة التي كانت تبلغ في كثير من الأحيان ٥١ درجة فكان العرق تنصيب من جبينه ويغشى عينيه ويسقط على أوراقه.

ومع ذلك لم تثنه المتاعب والمصاعب والحر اللافح عن عزمه في مواصلة كشف أسرار مقابر الفراعنة وأهمها مقابر سيني ورمسيس وأمنيوفيس وطوطميس وآثار دير المدينة والدير البحري ورمسيسيون ومدينة أبو والشيخ عبادة في الليل على ضوء القمر وعلى ضوء مصباح ضئيل.

وبعد هذا الفتح العلمي الكبير ذاع اسمه وفتحه في أوروبا وفي أمريكا وسموه شامبليون (المصرى).

ومن غريب أمر هذا الرجل إنه بدأ يتعلم اللغة القبطية وعمره ١٦ سنة. وبعد ة قدم إلى جمعية الفنون والصنائع في مدينة جرونوبل بفرنسا رسالة في جغرافية مصر القبطية.

وبعد أربع سنوات وكان عمره ٢١ سنة نشر كتابا عن (مصر في عهد القرعة) ولما بلغ سن الثانية والثلاثين رفع النقاب عن أسرار اللغة الهيروغليفية وكان شلت في ٢٧ سبتمبر سنة ١٨٢٢ ٠(أي من مائة وأربعة وعشرين سنة).

وقبل وفاته في ٤ مارس سنة ١٨٣٢ –وعمره ٤٢ سنة– رفع تقريرا عن جميع الآثار المصرية التي شاهدها ووصفها وصفًا علميًا دقيقًا كما وصف جميع المعابد الواقعة على ضفتي النيل بين الشلال الأول والشلال الثاني وألف أجرومية في اللغة الهيروغليفية طبعت ونشرت بعد وفاته بثلاث سنوات (سنة ١٨٣٥).

وقد لقي شامبليون في حياته من محمد على باشا الكبير كل عطف وتقدير.

وقد خلدت فرنسا ذكراه باطلاق اسمه على أحد شوارع مدينة باريس وأقامت له تمثالًا في مدخل إحدى جامعاتها كما خلدت مصر ذكراه بإطلاق اسمه على أحد شوارع القاهرة.

ويقول الكاتب الفرنساوي الشهير شاتوبريان **Chateaubriand** أن ذكرى شامبليون ستبقى خالدة ما بقيت الآثار المصرية خالدة[١٠٢].

---

[١٠٢] كتبنا هذه الكلمة ونشرتها «مجلة المصور» في عدد ٨ اكتوبر سنة ١٩٤٢.

الآثار المصرية القديمة

لم لا تطالب مصر ألمانيا وإيطاليا واليابان – بعدما تضع الحرب أوزارها – برد جميع الآثار المصرية القديمة الموجودة في متحف برلين، وفي متاحف سائر المدن الألمانية، وفي متاحف روما وفي متاحف سائر المدن الإيطالية، وفي متحف طوكيو وفي متاحف سائر المدن اليابانية، جزاءً وفاقًا لما أصابنا من أضرار جسام في النفس وفي المال ونحن آمنون مطمئنون في بلادنا لم نعتد على أحد ولم نتحرش بأحد؟ ولا سيما أن معظم هذه الآثار تسربت إلى أوروبا وغير أوروبا من غير الطريق الحلال. إذا ردت بضاعتنا إلينا يصبح المتحف المصري أعظم متحف للآثار المصرية في العالم كله(١٠٣).

---

(103)SERVICE DES ANTIQUITES
LE DIRECTEUR GENERAL

Le Caire, le 9 Janvier 1944

Cher Maitre،

"Je vous remercie de m'avoir envoyé votre intéressant article sur ia reprise des antiquités détenues par les musées de l'Axe.C'est une idée captivante et qui passionnera l'opinion.Déjà la presse nous en a apporté des échos.

"Pourtant, avant de m'y rallier complètement, je vous demande de me laisser encore le temps de réfléchir, car je ne suis pas pleinement convaincu de l'opportunité qu'il y aurait à ramener en Egypte toutes les antiquités égyptiennes.Leur diffusion fait beaucoup pour l'admiration que le monde ressent vis-å-vis de l'Egypte antique, et elle suscite des vocations t'égyptologues, dont l'Egypte profite en fin de compte.

في متاحف ألمانيا وإيطاليا واليابان آثار مصرية ذات قيمة فنية وتاريخية عظيمة جدًا، منها مسلات ومصاطب، وموميات ونواويس وتوابيت وجعارين[١٠٤] وأحجار كريمة -من ذهب وفضة وزبرجد- ومجوهرات ومصوغات وعملة ذهبية وفضية، وأقمشة وأوراق بردى، ومخطوطات ولوحات أثرية قديمة عليها نقوش هيروغليفية وإغريقية ورومانية وعربية، تحدثك عن درجة ما بلغه قدماء المصريين في العلوم والفنون: في الطب والجراحة والتشريح والتحنيط والهندسة والكيمياء والطبيعة والفلك والفقه (حتى الوقف عرفوه)، والفلسفة والأدب والموسيقى والشعر والأغاني والرقص والري والتجارة والزراعة والملاحة والنقش والنحت والخراطة والرسم والتصوير والغزل والنسيج وصناعة الأبسطة والصياغة والصياغة وصناعة الزجاج والورق والخزف والمعار والروائح العطرية والحناء والكحل والنبات واستخراج المعادن والأحجار الكريمة.

"L'intérêt de l'Egypte est-il de rassembler toutes ses antiquités dans es frontières, ou de se servir de certaines d'entre elles pour entretenir sans le monde un courant général vers l'étude de son passé ؟

"La question en tous cas mérite réflexion."

"En vous remerciant de l'avoir posée si nettement, je vous prie Ingréer, cher Maitre, l'expression de mes sentiments de cordial dévouement

ETIENNE DRIOTON

[١٠٤] بجمع المتحف المصري أكبر مجموعة في العالم من نوع الجعارين ففيه آلاف كثيرة ؟؟؟؟؟ في العدد هدية المغفور له الملك فؤاد الأول وفيها ١٠,٠٠٠ من أبدع ومن أفخر الأنواع

وقد بلغت درجة الرقي عند قدماء المصريين إنه كان لكل فرع من كل فن ومن كل علم إخصائيون. فالطب مثلًا كان له أطباء عيون وأطباء أذن وأطباء أسنان وأطباء أمراض باطنية وأطباء أمراض جلدية حتى كان عندهم أطباء اخصائيون في طب الركة.

تجد في متاحف روما وتورينو ونابولي وبولونيا وفلورنسا وبالرمو ومسينا، وفي تحف المدن الإيطالية الأخرى مثل كورتونا وفرارا ورافنا وأستى ومورانو وكورشلو وروفيجو وريجيو وسورينتو آثارًا مصرية قديمة من أيام الفراعنة ومن أيام البطالسة ومن أيام الرومان ومن عهد الإغريق ومن زمن العرب. وتجد في مدينة باري مخطوطات عربية في غاية الأهمية التاريخية والفنية. وتجد في مدينة سالرنو لوحتين تشرين قديمتين من الجرانيت ذات قيمة فنية تاريخية كبيرة.

في متحف تورينو تمثال رمسيس الثاني وزوجته نفرتاري ذو أهمية تاريخية كبيرة هي مجموعة آثار مصرية قديمة نفيسة جدًا جمعها مسيو دروفيتي السياسي الايطالي معروف، الذي عينه نابليون قنصلا جنرالا لفرنسا في الإسكندرية في عهد محمد على الكبير، جمع في مدة وجوده في مصر مجموعة عظيمة باع بعضها إلى ملك إيطاليا وهي الآن تزين متحف تورينو في إيطاليا، وباع باقيها إلى ألمانيا؛ ويوجد فيه جزء من مجموعة بلزوني، وجزء من مجموعة لانزوني، ومجموعة ماسار. كما يوجد فيه أيضًا بردي كتب في عهد رمسيس الثاني حصل مشتراه من بعض أهالي مدينة الأقصر في سنة ١٨١٨، مكتوب عليه جدول بأسماء ملوك

مصر؛ ويمتاز جدول هذا البردي على سائر الجداول المعروفة بإنه يبين مدة حكم كل ملك بالسنين والشهور والأيام

وقد أصدر الملاك فيكتور إيانوئيل الثالث ملاك إيطاليا أمرا بتأليف بعثة للتنقيب عن الآثار المصرية تحت رئاسة السنيور أرنستو شياباريللى أحد أعضاء مجلس الشيوخ فحضرت البعثة إلى مصر وبقيت دائبة على أعمال الحفر والتنقيب عشر سنوات (من سنة ١٩٠٣ إلى سنة ١٩١٣) فيها قامت بأعمال الحفر والتنقيب في مقابر الملوك فعثرت على قبر بديع للملكة نيفر تاريز وجة رمسيس الثاني با كما عثرت على آثار كثيرة في دير المدينة منها مقابر خاى وماى. ثم انتقلت إلى المنطقة المحيطة باهرامات الجيزة ومدافن الأشمونين وأسيوط وأسوان والجبلين والمحاميد وفاو وهليوبوليس، جمعت منها آثارًا كثيرة تسرب جزء عظيم منها إلى إيطاليا. وفي متحف تورينو كذلك مجموعة من أوراق البردي، وهي من الآثار التي جمعها مسيو دروفيتي من مدينة الأقصر، واشتراها منه ملاك إيطاليا كارلو إيانوئيل الثالث في سنة ١٨٤٤. كما أن فيه أيضًا مجموعة الدكتور دوناتي العالم الأثري الإيطالي المشهور.

وفي متحف نابولي آثار مصرية قديمة منها كتاب الموتى من عهد الأسرة الفرعونية الثامنة عشرة. كما توجد فيه مجموعة آثار متحف بورجيا.

وتوجد في متاحف ميلانو وبولونيا وفلورنسا أقسام مخصصة لآلهة قدماء المصريين، وأقسام للموميات، وأقسام الاثار الإغريقية، وأقسام للنقوشات والكتابات المصرية القديمة، وأقسام الفن الإغريقي الاسكندري، وأقسام المقابر، وأقسام المركبات الفراعنة ومنها المركبة التي عثر عليها روزليني في الأقصر، وهذا علاوة على الأقمشة والأسلحة وأدوات الموسيقى والزينة والزخرف. وفيها توجد أيضًا النقوش البارزة التي انتزعت من مقبرة سينوزيس الأول بمقابر الملوك بالأقصر. كما توجد فيه كتابات من عهد سانوريت الأول فرعون مصر نقلت من معبد بوهن. وفي متحف مدينة البندقية وفي متحف مدينة سان جان دى لاتران آثار مصرية قيمة جدًا.

وفي روما مسلات مصرية كثيرة منها: مسلة قائمة في ميدان الأمة، ومسلة منصوبة في ميدان مارى بطرس، وثالثة في سان جان دى لاتران، ورابعة أمام القصر الملكي، وخامسة في مونتى شيتوريو، وسادسة في سراى بربرينى، وسابعة في ميدان فونتانا دي فيومي، وثامنة في فيللا مايتي يرجع تاريخ صنعها إلى عهد رمسيس الثاني، واسعة في ميدان سانت مار ياما جيورى، وعاشرة في ميدان مينيرفا، وهي مسلة صنعت في عهد أحد ملوك الأسرة الثالثة والعشرين وقد نقلت من مصر إلى إيطاليا في عهد الرومان وكانت تزين معبد إيزيس وسيرابيس، والحادية عشرة منصوبة في ميدان نافونا، والثانية عشرة في مونت كافالو. وتوجد مسلة في كاتانيا (جزيرة سيسليا) وأخرى في بلدة بينيفنتو ومسلتان أخريان في

القسم المصري من متحف تور نسا وهما من عهد رمسيس الثاني، حتى إن أحد أهإلى فلورنسا واسمه بو بولى زين جنينة بيته بآثار مصرية، منها مسلة من عهد رمسيس الثاني كانت منصوبة في هليوبوليس وتمت إلى إيطاليا في عهد الامبراطور الروماني كلوديوس.

ولما زار الأرشيدوق مكسيمليان النمساوى (وهو الذي نصبوه إمبراطورة على بلاد المكسيك وأعدمه الثوار رميا بالرصاص) القطر المصري في سنة ١٨٠٠ أخذ مجانا وجه الله جميع الآثار التي تشتهيها نفسه، واستولى على طائفة كبيرة من أنفس الآثار حلى قصره «ميرامار» على مقربة من تريستا، وهي الآن تزين متحف فيينا (عاصمة النمسا).

وجمع مستر هربر قنصل جنرل دولة النمسا مجموعة من الآثار المصرية ونقلها إلى بلاده.

وفي متحف أجرام (بالنمسا) توجد آثار مصرية. كما توجد في متحف فينا أوراق بردي كثيرة.

وفي متحف برلين توجد رأس الملكة نفرتيتي زوجة الملك أخناتون، وهي آية من الآيات، ويعدها هواة الآثار من أجمل الآثار المصرية القديمة. كما توجد فيه بعض (الألواح المسمارية) المعروفة باسم «رسائل تل العمارنة» وهي رسائل تبادلها فرعون مصر أمينوفيس الثالث مع ملوك سوريا في القرن الرابع عشر قبل ميلاد المسيح. كما توجد فيه لوحة أثرية مصرية عثروا عليها في أخميم صنعها تحت مين أول نبي للاله نير إله قفط. وفيه أيضًا بردى فيه مرسومان من عهد الإمبراطوريتين الرومانيتين،

وبـردي مشـهور باسـم «ريلاتـس». كمـا توجـد فيـه مسـلة معروفـة باسـم لبسيوس، وهي من أقدم المسلات المصرية عثر عليها في سنة ١٨٤٠ بالقرب من مدفن بجوار أهرام الجيزه.

ولما تولى مجمع العلوم في برلين أعمال التنقيب في منطقة أبي صير عثر في خلال سنة ١٩٠٠ على ملف من البردي مكتوب عليه ٤٠٠ بيت شعر من نظم تيموتين أعظم شعراء اليونان، نقل خفية إلى متحف برلين.

وجمـع فـون ترافـورس قنصـل جنـرال ألمانيـا مجموعـة مـن الآثـار المصرية نقلها إلى ألمانيا. وروت إحدى السائحات السيدة لي شايلد أن تادرس افندى قنصل ألمانيا في الأقصر كان يتجر بالآثار المصرية مع موميات ومخطوطات ومجوهرات وتماثيل وجعارين و باعها إلى السياح الألمان فنقلوها إلى ألمانيا. وهسيو بروكش قنصل بروسيا في مصر جمع مجموعة أيضًا أرسلها إلى ألمانيا.

وفي ألمانيا أنشأ الملك فردريك غليوم الثالث قسم «المتحف المصري» بشراء مجموعات الآثار المصرية التي كان جمعها مينو تولى وباسالاكو ودروفيتي وسلونيه، وأهمها مجموعة باسالاكو التي اشتراها الملك في سنة ١٨٢٨ وتحوي آثارًا مصرية قيمة جدًا.

ولما استوى من بعده الملاك فردريك غليوم الرابع أرسل إلى مصر (سنة ١٨٤٢ إلى سنة ١٨٤٦) بعثة لتقوم بأعمال الحفر والتنقيب في مصر وفي بلاد النوبة، تحت رئاسة ريشار لبسيوس، جمعت البعثة آثارة

مصرية قديمة كثيرة جدًا نقلتها إلى متحف برلين، منها آثار نادرة يرجع عهدها إلى زمن الدولة القديمة، ومنها آثار تاريخية من بلاد النوبة، وفي سنة ١٨٤٨ اجتمع لمتحف برلين نواة فأنشأوا متحفًا خاصًا بالآثار المصرية ضموا إليه الآثار المصرية التي جمعها ترافرورس قنصل ألمانيا الجنرال والدكتور رينهاردت والأستاذ بورهاردت وغيرهم. ثم زاد المتحف بالآثار التي أهداها إليه الدكتور جيمس سيمون، والمستشار يوليوس أيزاك، والأستاذ رودلف مرس، والأستاذ شوانيفورت، والأستاذ ليفنز ومن إمارة لوبك، ومن جمعية التنقيب المصرية الانجليزية؛ ومن الأستاذ فلندرس بيتري، والأستاذ مارتين كنارد. وبعض آثار جاءت المتحف من طريق الوصايا مثل وصية الأستاذ سبرنجل والدكتور دايبل.

وبقيت آثار المتحف تزداد سنة بعد سنة إلى أن تولت الجمعية الألمانية الشرقية أعمال الحفر والتنقيب فأهدت إليه آثار كثيرة جدا، منها آثار جمعتها من منطقة أبي صير.

وتجد آثاراَ قيمة أيضًا في متحف مدينة درسدن بألمانيا)، وفي متحف مدينة ميونيخ (ألمانيا)، وفي متحف مدينة كارلسروه (بألمانيا)، وفي متحف مدينة فرانكفور (بألمانيا).

وكانت الحكومة الإيطالية والحكومة الألمانية والحكومة النمساوية ترسل بعثات إلى مصر لعمل حفريات فيها واستخراج ما في بطن أرض مصر من تحف وآثار، وبعد العثور عليها تتسرب إلى إيطاليا وألمانيا والنمسا، كما أن بعض الجامعات الإيطالية والألمانية والنمساوية كانت

ترسل بعثات على نفقتها الخاصة لعمل حفريات، مثل معهد العلوم ببرلين، وكلية لايبسك (بألمانيا)، وكلية كوتنجن (ألمانيا) ومجمع العلوم بفيينا (النمسا)، وجمعية البردى (بإيطاليا) كما أن بعض المتاحف مثل متحف باك (المجرى) أرسل بعثة العمل حفريات في مصر، وما عثر عليه نقله إلى متحف بودابست (عاصمة المجر).

لم أعثر على إحصائية بعدد الآثار المصرية الموجودة الآن في إيطاليا وألمانيا والنمسا والمجر واليابان.

في المتحف البريطاني بلندرة يوجد ٦٠٠٠٠ أثر (حسب إحصائية سنة ١٩٣٠) عدا ما هو موجود في المتاحف الخصوصية التي يملكها كبار أعيان الإنجليز[١٠٥]. وفي متحف اللوفر بباريس أكثر منها، وربما وصل عدد الآثار الموجودة في فرنسا مائة ألف[١٠٦]. وفي المتاحف الملكية ببروكسل (بلجيكا) يوجد ٦٦٣٠ أثرًا، إذا أضيفت إلى الآثار الموجودة في المتاحف البلجيكية الأخرى بلغ عددها ١٠,٠٠٠. والذي

---

[١٠٥] ويوجد في أحد المتاحف لندن تابوت سيتي الأول.كما يوجد في أحد متاحف كمبردج بانجلترا غطاء تابوت رمسيس الثاني (أما التابوت نفسه فوجود في متحف اللوفر بباريس).

[١٠٦] منها تابوت رمسيس الثاني موجود في متحف اللوفر بباريس وهو من اروع الآثار المصرية وقد سرق من مصر.وعدا هذا التابوت توجد قطعتان مسروقتان احداها لوحة مقبرة "رخ فارغ" أحد نبلاء مصر والثانية لوحة من الدير البحري من الجرانيت الوردي.ولتدرك مبالغ أعمال مصر المحافظة على آثارها القديمة آن ماريت باشا عثر مصادفة في غاية بولونيا Bois de Boulogne في باريس على تابوت مصري قديم له أهمية تاريخية عظيمة.ولندرك أيضًا اهمية الآثار المصرية ما حدث لأحد المصريين عندما كان يطوف في متحف اللوفر إذ شاهده رجل في اسماوى كان يزور المتحف فراعه ما رآه من آثار الفراعنة عند ذلك خطا نحو المصري ورفع قبعته وقال له: "إني أرفع قبعتي لك يا سيدى تقديرًا لأسلافك الأماجد الذين استطاعوا أن يهروا المدنية الاوروباوية بعد ٤٠٠٠ سنة ..."

أرجحه أن عدد الآثار الموجودة في متاحف إيطاليا وألمانيا والنمسا والمجر يزيد على ٨٠,٠٠٠ أثر قيمتها في كيفها لا في كمها.

في كل أثر من هذه الآثار صفحة من تاريخ مصر القديم، ومجموع هذه الآثار يؤلف أكبر موسوعة التاريخ مصر القديم. فلم لا ننتهز فرصة انتهاء هذه الحرب وإنهزام ألمانيا وإيطاليا واليابان ونطالبهم برد الآثار المصرية القديمة وهي جزء من تراثنا وجزء من تاريخنا، كما انتهزنا فرصة انكسارهم في سنة ١٩١٨ وحصلنا على إلغاء الامتيازات الاجنبية.

هذا نداء أوجهه إلى أولى الأمر منا. وفقنا الله لما فيه خير مصر والمصريين[١٠٧].

---

[١٠٧] نشرنا هذه المقالة في مجلة «الثقافة» عدد ديسمبر سنة ١٩٤٤.

هانيبال ولويس التاسع

على مسافة أربعة أميال من مدينة «تونس» تقع مدينة «قرطاجة» التي كان لها في التاريخ القديم شهرة عالمية. فقد كانت دولة قرطاجة في الزمن الغابر ذات حول وطول وشوكة وسلطان، شملت مستعمراتها جزيرة مالطة وجزيرة سردينيا وجزيرة كورسيكا وجزيرة صقلية وجزائر ماديرا وجزائر كناريا وجزءا من شواطىء اسبانيا، وكان لها جيش عرمرم انخرط في سلكه كثير من اليونانيين والفرنسيين والفينيقيين وآلاف من الأرقاء، وقد بلغت قوة هذه الدولة درجة طوعت لها أن تعلن الحرب على الامبراطورية الرومانية التي كانت أعظم امبراطورية في العالم في ذلك العهد.

ومدينة قرطاجة مشهورة في التاريخ بحادث ذى شان. فقد ولد فيها - خلال سنة ٢٤٧ قبل ميلاد المسيح - هانيبال القائد العظيم الذي دوخ الامبراطورية الرومانية الكبيرة واجتاز شمال افريقيا و بلاد اسبانيا وجنوب فرنسا، وانتصر على الجيوش الرومانية في واقعة «كان » ثم غزا ايطاليا واستولى على مدينة «كابو» في سنة ٢١٥ قبل الميلاد حيث أقام فترة من الزمان قضاها في اللهو والترف واتيان المحارم والمآثم. فلما علم أن دولة الرومان أرسلت جيشًا جرارًا لغزو بلاده انقلب إلى قرطاجه، وهناك التقى جيشه بجيش سيبيون الإفريقي القائد الروماني في ناحية

زوارم «زاما» على بعد ١٥٠ كيلو مترًا من مدينة قرطاجة فانكسر –في سنة ٢٠٢ قبل ميلاد المسيح– شر كسرة ودخل الرومان قرطاجة ودمروها تدميرًا.

وذلك لأن الزمن الذي قضاه هانيبال في مدينة «كابو» بين اللهو والترف هد من عزيمته ومن قوة عسكره، فكان من أمره وأمر قرطاجة ما كان. «وإذا أردنا أن بات قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها خق عليها القول فدمرناها تدميرًا».

ولمدينة تونس شهرة بحادث آخر له شأن في التاريخ أيضًا. ذلك أن ملك فرنسا لويس التاسع مات فيها بالطاعون حينما كان يحاصرها في الحرب الصليبية الثامنة، سنة ١٢٧٠ بعد ميلاد المسيح.

ولويس التاسع هذا هو الذي هزمه المصريون في واقعة فارسكور (في الحرب الصليبية السابعة) وقتل فيها أخوه روبير ووقع هو وأخوته أسرى في يد الملك المعظم توران شاه الأيوبي سنة ١٢٥٠ ميلادية، ثم سجن في المنصورة ولبث في السجن شهرا كاملا –من ٧ ابريل إلى ٧ مارس سنة ١٢٥٠– ثم خلى الملك المعظم سبيله وسبيل إخوته والبقية الباقية من جيشه، مقابل تسليمه مدينة دمياط، بعد أن احتلها ستة أشهر، ودفعه سبعة ملايين من الفرنكات (٢٨٠. ٠٠٠ جنيه ذهب) وكثير ممن زاروا مدينة المنصورة شاهدوا الدار التي قيل إنها كانت سجنا لملك فرنسا لويس التاسع ومما يذكر إنه بعد أن أطلق ملك مصر سراحه عاد إلى فينيقيا، (فلسطين) وأخذ يتنقل في مدن يافا وعكا وصيدا وقيصرية،

وافتدي في اثناء مقامه بها ١٠. ٠٠٠ أسير من رجاله، ثم دقت ساعة رحيله فاب إلى فرنسا. إلا إنه بعد فترة من الزمان حرضه أخوه شارل ملك، زابولي على غزو تونس فأصيب بالطاعون في أثناء حصارها وتوفي على أثر ذلك.

وفي سنة ١٨٤١ طلب لويس فيليب ملك فرنسا من الأمير أحمد بك حاكم تونس أن ينزل له عن قطعة الأرض التي مات فيها لويس التاسع ليبنى عليها كنيسة تخليدا لذكراه فقيل الأمير وتم بناء الكنيسة بالفعل على ربوة «برسا» في نفس المكان الذي مات فيه لويس التاسع.

ولا تزال هذه الكنيسة قائمة حتى اليوم وتسمى الآن الربوة التي تقوم عليها «ربوة القديس لويس» وهي تشرف على البحر وتعلوه بثلاث وستين قدمًا[١٠٨].

[١٠٨] كتبنا هذه المقالة في أهرام ٩ مايو سنة ١٩٤٣.

سنان باشا

تولى الصدارة العظمى خمس مرات، وتقلد ولاية مصر مرتين: أولاهما في سنة ١٥٦٨ ميلادية (٩٧٥ هجرية) وثانيهما، خلال سنة ١٥٧١ ميلادية (٩٧٩ هجرية)

ونفى خمس مرات في مالقره (على مقربة من شبه جزيرة كاليبولي)، وعاصر ثلاثة سلاطين. السلطان سليمان القانوني ابن السلطان سليم الأول فاتح مصر. وابنه السلطان سليم الثاني من زوجته روكسلان Roxelane. ثم السلطان مراد الث ابن السلطان سليم الثاني.

كما عاصر أكبر صدر أعظم أدار السلطنة بعزم وحزم وسياسة وكياسة، وهو وقولو، الذي يذكر عنه، إنه فكر في حفر قنال يصل البحر الأبيض بالبحر الأحمر ليجتازه الأسطول العثماني، فتهيمن تركيا على البحر الأحمر والخليج الفارسي والمحيط الهندي. ولولا نشوب ثورة الزيديين في بلاد اليمن لتم حفر «قنال السويس» في القرن السادس عشر، قبل أن يتمه دي لسبس بثلاثمائة سنة. وكذلك فكر في وصل البحر الاسود ببحر آزوف (بلاد القرم) ليهيمن الأسطول العثماني على القوقاز وبلاد الكرج وشمال الأناضول ويتحكم في مواصلات بلاد الفرس والتتر والكرج والأرمن وما إليها، ولكن المنية عاجلته قبل أن يتم هذا العمل.

وعاش سنان باشا في عصر، بلغت فيه السلطنة العثمانية من سعة الملاك، ما لم تبلغه في مرحلة من مراحل تاريخها. فقد ضمت تحت اللواء العثماني ٤٠ دولة. منها ١٠ في أوروبا وهي: المجر، والبوسنه، والروملى، واليونان، وصربيا، وبلغاريا، وتراقيا، ومقدونيا، وجزيرة كريت، وجزر الأرخبيل اليوناني. و٤ في إفريقيا وهي: مصر، والجزائر، وتونس، وطرابلس. و١٧ في آسيا وهي: بلاد الأناضول، وولاية قونيه، ميرى، وسوريا، والعراق، وبلاد الكرج، وبلاد التتر، والقرم، والقوقاز، ومملكة ترابيزوند، وولاية بغداد، وبين النهرين، ومملكة القدس: والبصرة، والموصل، وديار بكر، وجزيرة العرب. يضاف إليها البلاد التي كان لها استقلال ذاتي وفرضت عليها تركيا دفع الجزية، مثل بولونيا، وترانسلفانيا (مقاطعة من رومانيا الحالية) ومولدافيا (وكانت جمهورية روسية تابعة لاوكرانيا التي يتنازعها الآن الروس والألمان)، وفالاخيا (مقاطعة من رومانيا الحالية وجمهورية راجوز (صقلية).

ذلك ما كانت عليه سلطنة آل عثمان من العظمة وبسطة الملك، عندما توفي السلطان مراد الثالث ونودي بابنه محمد الثالث سلطانًا.

وقد حارب سنان باشا في بلاد الحجاز والمين، عند ما أنفذه السلطان القمع ثورة الزيديين «الذين بايعوا أميرهم خليفة للمسلمين وأمير المؤمنين» كما حارب في بلاد فالاخيا والمجر وتونس وطرد الاسبان منها وطرابلس «وقد طرد حكام مالطه منها أيضًا».

ويروى أن سبب إقالته من الصدارة في احدى المرات الخمس التي تولى فيها الحكم، وشاية اتصلت بالسلطان، قال فيها الواشون أن الصدر الأعظم فكر في النزول عن بلاد الكرج إلى شاه العجم، حسم النزاع قام بين سلطنة آل عثمان ودولة الفرس كاد يؤدي إلى نشوب حرب بينهما. فتميز السلطان من الغيظ، وقال للصدر كلمته المشهورة «أعلم أن كل أرض وطئتها خيل السلطان، تصبح ملگا للسلطان إلى الأبد»، ثم أمر بعزله وبنفيه في مالقره.

وقد ترك سنان باشا كثيرًا من الآثار في مصر وسوريا وبلاد الأناضول حيث أنشأ المساجد والأسواق والمستشفيات والحمامات وغيرها. وكان من رجال السياسة والحرب والإدارة.

وبلغ دخله ٤٠٠ ألف جنيه سنويًا وهو أكبر ما عرف عن دخل الوزراء. وقد أحصوا ثروته فوجدوا فيما وجدوه منها ٢٠ صندوقًا مملوءة بسبائك من الذهب الخالص و١٥ سبحة مرصعة باللإلىء الكبيرة و٢٠ ربطة عنق مرصعة بالماس النادر و٢٠ إناء مملوءة بمسحوق الذهب و٢٠ وعاء مملوءة بمسحوق الذهب أيضًا و٧ أبسطة مرصعة بالماس و ١٦ سرجًا محلاة بالجواهر الكريمة و ٣٤ ركابًا للخيل مزدانة بالأحجار الكريمة و٣٢ درعًا مرصعًا بالياقوت والفيروز و١٤٠ خوذة مرصعة بأحجار الكريمة و١٢٠ حرامًا محلاة بالجواهر و١٦ علبة مملوءة باللآليء والجواهر و١٦ شالًا مرصعًا و٦٠٠ فروز بلين و٦٠٠ من فراء الفهد و٣٠٠ من فراء الثعالب السود وألفي ثوب قماش مزركش بالذهب

والفضة و ٩٠٠ من جباب الخز المرصع بالجواهر و ٦٠ قارورة مملوءة باللإلىء النادرة و ٦٠٠ ألف قطعة من النقود الذهبية ومليونًا قطعة من النقود الفضية هذا عدا ما حازه من عقار وملكه من ضياع.

وقد توفي سنان باشا فجأة وهو في الثمانين من عمره، ليلة نشوب معركة هائلة بين الجيش العثماني الذي كان يقوده على نهر الدانوب.

وعلى الرغم من بلوغه الثمانين فإنه كان قوي البنية حتى إنه طلب مصارعة أحد خصومه بن خصمه عن أن ينازله.

ولما توفي وضع السلطان يده على هذه الثروة الطائلة الهائلة.

هذا هو سنان باشا الذي شيد المسجد المعروف باسمه في حي بولاق وأدى فيه حب الجلالة الملك صلاة الجمعة يوم ٢٩ مايو سنة ١٩٤٢.

الأمير أحمد سيف الدين

أبوه الأمير إبراهيم فهمي أحمد باشا، ان الأمير أحمد رفعت باشا، ابن المغفور له إبراهيم باشا والي مصر، ابن ساكن الجنان محمد على باشا الكبير.

والأمير أحمد رفعت باشا هو الذي مات في حادثة كوبري كفر الزيات في ١٥ مايو سنة ١٨٥٨.

والأمير إبراهيم فهمي أحمد باشا –والد الأمير سيف الدين– تزوج ثلاث مرات.

– في سنة ١٨٧٣ تزوج الأميرة زينب اسماعيل التي توفيت في ١٩ اغسطس سنة ١٨٧٥.

– وتزوج الأميرة نوجوان – والدة الأمير سيف الدين – ثم طلقها بعد أن رزق منها بسمو الأميرة شويكار هانم في سنة ١٨٧٦ و بالا مير سيف الدين في سنة ١٨٧٧ وبالأمير محمد إبراهيم وحيد الدين في سنة ١٨٧٩.

والأمير محمد إبراهيم وحيد الدين هو الذي مات في فرنسا في ١٠ مايو سنة ١٩٠٦ في حادثة تصادم سيارته بالقطار تم نقل إلى مصر ودفن في الأمام في مدفن جدته الأميرة شويكار قادن هانم أفندي.

– وفي سنة ١٨٩٠ تزوج بالأميرة نعمت اسماعيل ولكنه توفي قبل الدخول بها فورثت ثمن تركته. والأميرة نعمت اسماعيل هذه هي التي تزوجت في ٤ سبتمبر سنة ١٨٩٦ بصاحب العطوفة محمود مختار باشا ابن الغازى مختار باشا وصارت حضرة صاحبة السمو الأميرة نعمت مختار صاحبة تفتيش المرج المشهور.

وسمو الأميرة شويكار هانم اخت الأمير أحمد سيف الدين تزوجت في سنة ١٨٩٥ بسمو الأمير أحمد فؤاد (الذي صار فيما بعد صاحب الجلالة فؤاد الأول ملك مصر) ثم طلقها في سنة ١٨٩٨ على أثر اعتداء اخيها البرنس أحمد سيف الدين عليه.

* * *

وحادثة الاعتداء مشهورة، تتلخص في إنه في الساعة السابعة من مساء يوم ٧ مايو سنة ١٨٩٨ قصد الأمير أحمد سيف الدين (وكان عمره ٢١ سنة) إلى الكلوب الخديوى – وكان وقتئذ أمام البنك العقارى المصري – فبحث عن البرنس أحمد فؤاد فلما وقع نظره عليه أخرج مسدسه وأطلق عليه ثلاث رصاصات أصابت الأولي جنبه والثانية فخذه والثالثة طاشت. فحضر في الحال الدكتور محمود صدقي باشاو كومانوس باشا والدكتور هيس وعملوا لسموه الاسعافات الطبية اللازمة. ثم حضر أخوه الأمير حسين كامل باشا ثم حضرت والدته سمو الأميرة فريال هانم افندي «وقد توفيت في ٢١ ديسمبر سنة ١٩٠٢ ودفنت بالرفاعي» ولما رأته يتأوه نظرت إليه وقالت له «ما هذا التأوه! ألم تترب

تربية عسكرية! ألم تلبس ملابس الجندي لمثل هذه الساعة! وهل يضرب بالرصاص غير الرجال» ففعلت هذه الكلمات في نفس الأمير فعل الكهرباء تجلد وتحمل آلام الضربات بكل شجاعة. وكان في ذلك الوقت المرحوم يعقوب ارتين باشا خارجًا من الكلوب الخديوي فلما سمع الطلقات أسرع وطلب البوليس خضر وقبض على البرنس سيف الدين واقتاده إلى قسم عابدين.

وكان وقتئذ حضرة يوسف بك سليمان –الذي أصبح فيما بعد سعادة يوسف سلمان باشا– رئيس نيابة مصر، فتولى هو بنفسه التحقيق وسمع أقوال الأمير أحمد كمال وكان عمره ٤٠ سنة «وهو عم الأمير سيف الدين» والأمير محمد إبراهيم «أخي البرنس سيف الدين» والأميرة شويكار «أخته» وأحمد مظلوم باشا ناظر المالية: وكان عمره ٤٩ سنة» وعباني باشا ناظر الجهادية «وكان عمره ٤٢ سنة» ويعقوب باشا وكيل نظارة المعارف، والكونت دللاسالا باشا. وبوانيه بك من كبار موظفي المالية. وفايد ثابت بك. ومسيو هلر. وتقولا صباغ افندى سكرتير الأمير حين. وسرور سيدعم أفندي كاتب دائرة الأمير محمد إبراهيم. وبواب الكالوب تير هم وغيرهم. وكان مصطفي بيرم بك مساعد النيابة وأحمد زكي أبو السعود افندى وكب ظهورات نيابة مصر» (وهو الذي أصبح فيما بعد ناظر الحقانية) في كتابة عناصر التحقيق.

ولما استجوب الأمير سيف الدين اعترف بإنه أطلق الرصاص، ولكنه قال إنه سلق الطلقة الأولى في الهواء بقصد إرهاب الأمير ثم أطلق طلقة

ثانية بقصد جرحه ولم يقصد قتله أبدًا.

وبعد انتهاء التحقيق قررت النيابة إحالة الأمير أحمد سيف الدين إلى محكمة جنايات مصر. فرأس جلسة الجنايات المرحوم أحمد فتحي زغلول بك رئيس المحكمة.

فكر أهل الأمير سيف الدين فيمن يوكلونه للدفاع عنه فاختاروا المرحوم خليل إبراهيم بك المحامي. فضم إليه الأستاذ مرقس فهمي. وكنت في ذاك الوقت قد حلت في مكتب المرحوم خليل إبراهيم بك محل الأستاذ مرقس فهمي فتعاونا نحن الثلاثة في تحضير الدفاع على أن يبدأ خليل إبراهيم بك المرافعة في الوقائع ثم يتلوه الأستاذ مرقس في التطبيق القانوني. أما أنا فكانت مأموريتى مراجعة الكتب القانونية واختيار أوفق الاحكام وأوفق الآراء لتدعيم أوجه الدفاع التي قر الرأي على اختيارها.

وفي أثناء تحضير الدفاع علمنا أن أهل الأمير سيف الدين ضموا إلينا الافوكاتو بورلي بك وإنهم عملوا التوكيل باسمه وباسم خليل إبراهيم بك معًا وأن الأمير أمضاه وهو في السجن وهذا نصه:

"أنا الموقع على هذا قد وكلت من قبلي كل من جناب الافوكاتو بورلي بك وخليل بك إبراهيم المحامي بمصر في المرافعة عني أمام محكمة الجنايات الابتدائية ومحكمة الاستئناف والنقض والابرام إذا لزم الحال في قضية تهمتى بإصابة حضرة صاحب الدولة البرنس أحمد فؤاد باشا توكيلًا خاصًا في المرافعة والمدافعة للدرجات والغايات الانتهائية

ولكل من حضراتهما الانفراد في العمل أو الاتحاد معًا.

وبعد يومين أو ثلاثة ورد لنا خطاب مسجل من بورلي بك يدعونا فيه إلى تناول الشاي في فندق شبرد فذهبنا. سألنا بورللى باك عن طريقة الدفاع فبسطنا له ماجمعناه من أحكام المحاكم ومن آراء العلماء في مصر وفي فرنسا وإيطاليا وانجلترا مثل: ابن عابدين، والفيروزابادى، وجارو، وفوستان هيلى ومودسلى أستاذ الطب الشرعي في كلية لندن. ولمبروز والعالم الجنائي الايطالي المشهور. فأنصت كل الانصات إلى ما قلناه وانتهى بأن قال لنا بإنه يوافق على خطة الدفاع التي رسمناها.

وفي اليوم نفسه أرسل إلينا خطابًا مسجلًا قال فيه إنه بعد أن فكر طويلًا رأي أن يكون الدفاع على الوجه الذي بسطناه له في فندق شبرد – وقد أراد بذلك أن يسجل لنفسه عملًا في القضية. وبعد هذا أراد أن يشترك معنا في المرافعة فأفهمناه بأن لائحة ترتيب المحاكم الأهلية تحتم المرافعة باللغة العربية وهو يجهلها فذهب إلى المرحوم فتحى بك زغلول وطلب منه أن يأذن له في المرافعة باللغة الفرنساوية فرفض المرحوم فتحى بك طلبه رفضًا باتًا.

وفي يوم الجلسة وإذا الافوكاتو بورللي بك قد حضر ومعه المرحوم سليم بك بسترس ولما نودي على القضية قام وقال آن بورللي بك وكله في أن يقول كلمة. فأذن له رئيس الجلسة فقال «أن بين بورلي بك وعائلة الأمير سيف الدين صلة ود قديمة وإنه يرى من واجبه أن يتقدم للمحكمة بالدفاع عن الأمير سيف الدين ولكن بما أن اللائحة تمنعه من

المرافعة باللغة الفرنساوية فهو يلخص دفاعه في طلب البراءة من باب أصلى بناء على أن الأمير شاب مصاب بهوس وبضعف في قواه العقلية يجعلانه غير مسؤول قانونًا. ومن باب الاحتياط طلاب اعتبار الواقعة جنحة لأن الأمير سيف الدين ما كان يقصد قتل الأمير أحمد فؤاد، بل كان يقصد جرحه أو إيذاءه فقط، ومن باب الاحتياط الكلى طلب استعمال منتهى الرأفة بسبب مركز الأمير وكونه من الأسرة المالكة وإنه شاب دفعه ازق شبابه إلى اقتراف ما اقترف».

ثم قام خليل إبراهيم بك وترافع طويلا فأحسن وأجاد، ثم تلاه الأستاذ مرقس بك فهمي وترافع مرافعة استرعت الأسماع نفي فيها قصد القتل وسبق الإصرار وأثبت اختلال شعور المتهم وضعف قواه العقلية.

وفي يوم ٢٨ يونيه سنة ١٨٩٨ صدر الحكم بسجن الأمير أحمد سيف الدين سبع سنوات والزامه بأن يدفع ١٨٤٥ جنيهًا قيمة ما دفعه الأمير أحمد فؤاد من أدوية ومصاريف علاج وأجرة أطباء. ولم يطلب الأمير أحمد فؤاد لنفسه تعويضًا مطلقًا فكان عمله هذا محل تقدير وإعجاب الناس كافة، إذ دل على سمو شعوره وكرم أخلاقه.

وقد استأنف الأمير سيف الدين الحكم ومحكمة الاستئناف انعقدت برئاسة المرحوم أحمد عفيفي باشا والمرحوم الشيخ محمد عبده وعضو ثالث لا يحضرني اسمه الآن. وتولى الدفاع عن الأمير سيف الدين الأستاذ إبراهيم بك الهلباوى فشرح لمحكمة الاستئناف حالة الأمير العصبية وما كان يعتوره من الهيجان في صغره مما يدل على أن

مسئوليته الجنائية لم تستكمل عناصرها. عند ذلك اشرأب الأمير من قفص الاتهام وقال على صوته (أنا لا أقبل هذا الدفاع وأعزل هذا المحامي) فابتسم أعضاء المحكمة لهذه المفاجأة ولما انتهت المرافعة اختلت الهيئة للمداولة وقضت بتخفيض العقوبة من سبع سنوات إلى خمس.

سعي بعض أفراد الأسرة لدى الخديو عباس ولدى لورد كرومر لاستبدال عقوبة السجن بعقوبة أخرى بناء على أن الأمير معتوه فانتدب الخديوى عباس الدكتور وارنوك مدير مستشفى المجاذيب لفحصه ففحصه وقرر في ٤ يناير سنة ١٩٠٠ بأن الأمير مصاب بخلل في قواه العقلية. فقر الرأي على وضع الأمير سيف الدين في مصحة في أنجلترا بناء على إنه مختل الشعور لم يدرك تماما ما ارتكبت يداه. وبالفعل أرسل إلى انجلترا ووضع في مصحة بقي فيها إلى أن هرب في خلال سنة ١٩٢٧(أي إنه لبث فيها ٢٧ سنة معتقلًا)

وكان الأمير سيف الدين مشهور بالحرص على المال ولكن بالرغم من هذا أقول – للحقيقة والتاريخ– إنه دفع لبورللي بك ٢٠٠٠ جنيه أتعابًا ودفع لخليل إبراهيم بك ٢٠٠٠ جنيه وصرف زهاء ١٠٠٠ جنيه للوسطاء.

سافر الأمير إلى انجلترا وبقي في المصحة ٢٧ سنة لم يتمتع خلالها بالحياة وهي – أعز شيء ولا بما هو دون الحياة – المتعة بأطيانه الواسعة وأملاكه الكثيرة وأمواله الوفيرة ويقدرونها بثلاثة ملايين من

الجنيهات. ولو كانت الحكومة أصدرت قانون فرض الضريبة على التركات وطبقته على تركته لاصاب خزانة الحكومة مليون جنيه على الأقل. ولكن قدر فكان[١٠٩].

وأغرب شيء ثبت في التحقيق – وكان محل دهشة واستغراب الناس كافة – أن الأمير فؤاد كان واقفًا في بلكون الكلوب يتحدث مع بعض أصدقائه. فلما وقع نظره على الأمير سيف الدين ورآه داخلًا الكلوب قال مازحًا "ربما جاء ليقتلني"، فكانت نبوءة مدهشة. وكم كانت

---

[١٠٩] وها بيان تركته بالضبط:

– خص الأميرة شويكار اخته ٢٤٠٠ فدان بناحية الفاروقية و ٢٠٠٠ فدان في ناحية كفر العرب و ١٠٠٠ فدان في ناحية ميت عساس و٢٠٠٠ فدان في ناحية قلوصنا بالمنيا و٣ عمارات كبيرة في جاردن سيتي والعمارة الكبيرة التي تشغلها الدائرة والعمارة المجاورة لها التي تشغلها مدرسة روضة الاطفال وجميع المنازل الواقعة في حي خان الخليلي (وتبلغ مساحة منطقة خان الخليلي ٦٠٠٠ متر مربع كانت حكرًا ولكن الدائرة استبدلتها فأصبحت ملكًا حرًا) والمنازل الواقعة في ناحية البواكي بالعتبة الخضراء والمهارة الكبيرة المعروفة بعمارة سفراى ومبلغ ٤٠,٠٠٠ نقدًا.

وخص السيدة نجوان هانم والدته عمارة كبيرة من عمارات جاردن سيتى و٣٦٠٠ فدان وبلدة الزنكلون و٦٠٠ فدان في ناحية الطواحين (شرقية) و١٠٠٠ فدان في ناحية مطاى و٤٠٠٠ فدان في ناحية المهدية والمهارات الكبيرة التي تقع بشارع اديب بالاسكندرية وعمارة كبيرة أخرى تقع في ميدان سعد زغلول ومحمد علي و١٦ منزلًا من المنازل المتوسطة و عمارتان كبيرتان تقعان في حي محرم بك وشو القطن في ناحية القبارى و مبلغ ٣٠,٠٠٠ جنيه نقدًا.

– وخص الأمير محمد على إبراهيم ١٢٠٠ فدان في ناحية شر توب بالبحيرة و٤٠٠ فدان في ناحية قلوصنا ومبلغ ٨٠٠٠ جنيه نقدًا.

– وخص النبيل عمرو ابراهيم ٢٠٠٠ فدان في ناحية دقهله والمنزل الكبير الذي يقيم فيه في الجزيرة ومبلغ ٨,٠٠٠ جنيه نقدًا.

وكان صافي إيراد أطيان وأعيان دائرة الأمير في السنة السابقة على وفاته ١٠٧,٠٠٠ جنيه وفي مدة وجود الأمير في استانبول كانت الدائرة ترسل إليه شهريًا ١٤٠٠ جنيه.

وبمجرد وفاة الأمير سيف الدين طالبت حكومة تركيا رسم ايلولة على سدس التركة من الأميرة نجوان التركية ورسم ايلولة نصف التركة إلى الأميرة شويكار بناء على إنها أصبحت تركية بزواجها من تركى.أما الحكومة المصرية فليس لها حق تحصيل مليم واحد من هذه التركة الضخمة – فتأمل!

له رحمه الله من نبوءات مدهشات.

هذا وكان أول قيم أقيم على الأمير سيف الدين اسحق بك أحمد. وتلاه الفريق حسين باشا فهمي. ثم الأمير يوسف كمال. ثم خيري باشا. ثم حسين باشا محرم. ثم صاحب الدولة محمد سعيد باشا. ثم صاحب الدولة على ماهر باشا. ثم أحيلت إدارة الدائرة إلى وزارة الأوقاف. ومنها انتقلت إلى صاحب السمو الأمير يوسف كمال القيم الأخير.

وعلى ذكر القيامة والقامة أذكر أن لورد كرومر طلب من المغفور له مصطفى فهمي باشا أن يختار له شخصا مشهورا بطهارة الذمة واستقلال الرأي فدله على الفريق حسين باشا فهمى فعين قيمًا. وكان الأمير يملك وقتئذ ٦٠٠٠ فدان إيراده منها لا يزيد على ١٣,٠٠٠ جنيه. ولما تركها حسين باشا فهمي بعد سبع سنوات كان الأمير يملك ١٨,٠٠٠ فدان إيراده منها ٥٠,٠٠٠ جنيه عدا ٥٠,٠٠٠ ذهبًا وهاجًا. ومن ضمن أعماله الباهرة إنه والأمير محمد إبراهيم اشتريا نصيب الأميرة شويكار في سراي القصر العالي – وقدره الخمس – بمبلغ ٥٠,٠٠٠ جنيه. بعد ذلك باع الأمير محمد إبراهيم نصيبه مبلغ ٤٠٠,٠٠٠ جنيه انجليزي بالتقسيط على ١٥ سنة. أما حسين باشا فهمي فباع نصيب محجوره الأمير سيف الدين بمبلغ ٦٦٢,٠٠٠ جنيه مصري قبضها «عدًا ونقدًا» وعندما عرضت نتيجة ادارته على المجلس الحسبي أصدر قرارًا أثنى فيه على كفاءة القيم ونزاهته وحسن إدارته[١١٠].

---

[١١٠] كتبنا هذه المقالة ونشرناها في «الأهرام» في عدد ٢١ نوفمبر ١٩٣٧.

زيارتان تاريخيتان

عاهلان مسلمان زارا مصر زيارة رسمية كلاهما اسمه «عبد العزيز» هما:

– عبد العزيز آل عثمان سلطان تركيا. وعبد العزيز آل سعود ملك الحجاز.

– السلطان عبد العزيز هو أول سلطان من سلاطين آل عثمان حضر إلى مصر زائرا. والملك عبد العزيز آل سعود هو أول ملك من ملوك العرب حضر إلى مصر زائرًا.

– والسلطان عبد العزيز حضر من الاستانة عاصمة الخلافة. والملك عبد العزيز حضر من مكة عاصمة الإسلام.

– والسلطان عبد العزيز كي يحضر إلى مصر اجتاز البحر الأبيض. والملك عبد العزيز كي يحضر إلى مصر اجتاز البحر الأحمر.

– ومن قبل السلطان عبد العزيز تولي سلطنة آل عثمان ٢٦ سلطانا لم يهبط مصر زائر واحد منهم لإنهم كانوا يعتبرون مصر "أيالة"، وحاكها «واليًا» والمصريين «عبيد الباب العالي». والملك عبد العزيز أول ملك من ملوك العرب «خير أمة أخرجت للناس» زار مصر. زار الفاروق «أخاه» في الملك. وزار المصريين "أخواته وأبناءه" في العروبة[١١١].

---

[١١١] من الملوك الذين زاروا مصر زيارة رسمية:

– أبحر السلطان عبد العزيز من دار السعادة في يوم الجمعة ٣ ابريل سنة ١٨٦٣ على ظهر اليخت الهمايوني «فيض جهاد» تحرسه سفينتان حربيتان هما «مجيدية» و«الطائف». و«فيض جهاد» هذا هو اليخت البديع الذي أهداه إليه اسماعيل باشا عندما ذهب إلى الاستانة في شهر فبراير سنة ١٨٦٣ ليتسلم فرمان تنصيبه واليًا على مصر وفي مقابله أهدى إليه السلطان حجرًا من الماس زنته ٤٦ قيراطًا. والملك عبد العزيز برح "أم القرى" إلى جدة ومنها أبحر إلى مصر على ظهر

– الامبراطورة أوجيني زوجة نابليون الثالث (عندما حضرت لترأس حفلة افتتاح قنال السويس في نوفمبر سنة ١٨٦٩).

– الامبراطور فرنسوا امبراطور النمسا (دعاه اسماعيل باشا ليشهد حفلة افتتاح القنال)

– أمان الله خان ملك أفغا نستان.

– وألبير الأول ملك بلجيكا.

– وفيكتور ايمانويل ملك إيطاليا.

أما الذين زاروا مصر زيارة غير رسمية فهم:

– فرديناند ملك بلغاريا.

– الفونسو ملك اسبانيا.

– فيصل الأول ملك العراق.

ومن الأمراء:

– الأمير عبد الله امير شرق الأردن.

– البرنس أوف ويلز (أدوارد السابع فيما بعد)

– ولي عهد بروسيا حضر بصفة رسمية حفلة قنال السويس

– الأمير هنري أخو ملك هولانده مثله

أما الذين حضروا غزاة فمنهم:

– قمبيز ملك العجم.

– اسكندر المقدوني.

– يوليوس قيصر.

– نابليون.

– السلطان سليم الأول.

– سان لويس ملك فرنسا وهو الذي أسر وسجن في المنصورة (في الحرب الصليبية).

اليخت المصرى «المحروسة» تحرسه الطوافتان «فاروق» و«فوزية».

– والسلطان عبد العزيز حضر مع ابنه الأمير يوسف عز الدين ومع الأمراء مراد أفندي وعبد الحميد أفندي ورشاد أفندي وهم الذين تولوا السلطنة من بعده باسم السلطان مراد والسلطان عبد الحميد والسلطان رشاد. والملك عبد العزيز حضر دمعة الأمير عبد الله ابن شقيقه الأمير عبد الرحمن وأصحاب السمو أنجاله الأمراء محمد وخالد وفهد وعبد الله وبندر ومساعد وعبد المحسن ومشعل وسلطان ومتعب وطلال ونواف.

– وصل السلطان عبد العزيز إلى ثغر اسكندرية في يوم الثلاثاء ٧ ابريل سنة ١٨٦٣ ونزل في سراى رأس التين. ووصل الملك عبد العزيز إلى ثغر السويس في ١٠ يناير سنة ١٩٤٦ ومنه إلى القاهرة حيث نزل في سراى الزعفران.

– لم يكن في تركيا في ذلك الزمن سكك حديدية فلما أراد السلطان عبد العزيز أن يستقل القطار من ثغر اسكندرية ليحضر به إلى القاهرة طلب أن يشرحوا له كيفية سيره لإنه لم يركب قطارًا من قبل.

– وتخليدًا لذكرى زيارة السلطان عبد العزيز سمي اسماعيل باشا الشارع الذي يوصل ميدان عابدين بميدان العتبة الخضراء «شارع عبد العزيز». وتخليدا لذكرى زيارة الملك عبد العزيز سمى الملك فاروق الشارع الذي يوصل كوبري عباس بكوبري الروضة «شارع الملك عبد العزيز آل سعود».

-كان السلطان عبد العزيز يلبس طربوشه «العزيزي». والملك عبد العزيز يلبس العمامة والعمائم تيجان العرب.

- كان السلطان عبد العزيز يلقبونه (سلطان البرين وخاقان البحرين). أما الملك عبد العزيز (خادم الحرمين الشريفين) و(الفقير إلى الله تعالى). فتأمل في سمو هذا التواضع وضعة ذلك السمو.

- كان السلطان عبد العزيز لا يسمح لأي شخص مهما عظم شإنه بأن مجلس معه جنبا لجنب. لما طاف شوارع اسكندرية ليرى الزينات ومعالم الأفراح التي أقيمت ابتهاجا بحضوره ركب (وحده) في مركبة أعدها له اسماعيل باشا تجرها أربعة جياد مطهمة. أما اسماعيل باشا فإنه خرج مع بعض صحبه متنكرًا ولما رأى مركبة السلطان قادمة نحوه وقف خاشعًا وأدى التحية بصفته فردًا من الرعية ومر السلطان بدون أن ينظر إليه. ولما استقل السلطان القطار من اسكندرية ليحضر إلى القاهرة استأثر لنفسه (وحده) بالصالون الذي خصص له. أما اسماعيل باشا والأمراء والوزراء الذين كانوا معه فاستقلوا صالونا آخر. ولما زار السلطان قصر الجوهرة بالقلعة قصد الجامع حيث أدي صلاة الجمعة وقد جلس (وحده) في الحجرة العليا التي خصصت له. أما اسماعيل باشا والأمراء والوزراء والعلماء جلسوا في صحن الجامع. ولما زار السلطان المشهد الحسيني مارة بشارع الموسكي وشارع السكة الجديدة ركب (وحده) أما اسماعيل باشا فمشي على قدميه يجنب مركبة السلطان. وإذا ما مثل اسماعيل أو عظيم أمام السلطان قبل ذيل السترة (أتك). أما الملك عبد

العزيز والملك فاروق فكانت العلاقة بينهما علاقة اخاء ومساواة. إذا ما ذكر ملك الحجاز ملك مصر قال (اخي الفاروق) و(إن ما يبرمه الفاروق أبرمه أنا. وما أبرمه أنا يبرمه الفاروق) ولما وقف مراد باشا محسن ليبلغه تهنئة الفاروق نهض واقفا ليستمع. إذا ما التقيا تصافا وتعانقاه وإذا ما سافرا سافرا معًا. وإذا ما ركبا ركبا معًا. وإذا ما أكلا أكلا معًا. واذا ما صليا صليا معًا. أينما حلا كانا جنبًا إلى جنب. شرب الملك فاروق ماء رضوى وشرب الملاك عبد العزيز ماء النيل فامتزج قلب مصر بقلب الحجاز. ضرب الملكان العظمان للعالم العربي المثل الأعلى للوحدة وللاخاء وللوفاء وللتواضع.

نسأل الله أن يأتيهما ثواب الآخرة وأن يهديهما صراطا مستقيما وينصرهم نصر عزيز.

محاكمة ماريشالات فرنسا

١ - محاكمة الماريشال بيرون Biron

كان أميرال فرنسا في سنة ١٥٩٢. ثم ماريشال فرنسا في سنة ١٥٩٤. وحكم بعض مقاطعات فرنسا في عهد هنري الرابع ملك فرنسا الا إنه كان رجلا مطاعا داس غدار. خان ملكه ودبر فتنة لخلعه فقبض عليه وحوكم وحكم باعدامه وأعدم بالفعل في ٣١ يوليه سنة ١٦٠٣.

٢- محاكمة الماريشال ناي Ney

بعد أن دوخ نابليون ملوك اوروبا وانتصر عليهم في ٤٠ موقعة حربية كبيرة تألبت عليه روسيا وانجلترا والنمسا وروسيا وغيرها وغيرها من الدول والدويلات وهزمته في خلال سنة ١٨١٤ وأكرهته على التنازل عن العرش فتنازل عنه في ٥ أبريل سنة ١٨١٤. تداول وزراء روسيا وانجلترا والنمسا وبروسيا وقرروا نفي نابليون إلى جزيرة أليا Elbe. ولتخدير أعصا به نصبوه ملكا عليها. وبسقوط أمبراطورية نابليون عادت الملكية إلى فرنسا واستوى لويس الثامن عشر على العرش.

كان بين قواد نابليون الماريشال ناى. بز رجال الحرب جميعًا ولازم نابليون ملازمة اللام للألف. شهد معه مائة موقعة ومعركة أبدى فيها من آيات البسالة والاقدام ماحمل نابليون على رفعه إلى أعلى المراتب العسكرية والانعام عليه بأرفع النيشانات الفرنساوية ومنحه أعظم ألقاب

الدولة (دوق ثم برنس) الا أن أحب الألقاب إليه كان لقب «أشجع الشجعان». حارب المارشال ناى ٢٥ سنة على التوالي فسموه (الرجل الذي لا يكل ولا يمل). أحد عشر حصانا خرات صرعى تحته وهو يحارب فا مل ولاكل. يصدق عليه قول من قال فيه: «إذا بترت يمينه انتقل السيف إلى شماله». كان ضراب السيوف شراب الحتوف. ترتعد فرائص من ينازله وجهًا لوجه. كان عنترة زمانه. لو نفث على عدوه قطره.

بقي نابليون في جزيرة ألبا أحد عشر شهرا (من ٢٠ أبريل سنة ١٨١٤ إلى ٢ فبراير سنة ١٨١٥) ثم فر منها ودخل فرنسا في مارس سنة ١٨١٥. استقبله الأهالي بحماس منقطع النظير مهللين مكبرين هاتفين (يحي الامبراطور). سار نابليون من جنوب فرنسا إلى شمالها والأهالي يهرعون إليه زرافات ووحدانًا ليحاربوا تحت لوائه. وقد وصف شاتوبريان Chateaubriand – أشهر كتاب فرنسا في ذلك الزمان – عودة نابليون إلى فرنسا والناس تهتف باسمه وتنضم تحت لوائه فقال (غزا رجل واحد فرنسا كلها).

لما سمع لويس الثامن عشر ملك فرنسا بعودة نابليون جيش جيشا لطرده أو قتله أو أسره. فكر في استدعاء الماريشال ناني الذي كان يقيم في ريف فرنسا متبتكا متبتلا منقطعا عن الدنيا ولهوها بعيدا عن ساساتها وسياستها. استدعاه وعهد إليه محاربة نابليون. ويروى أن الماريشال ناى أجاب الملك: «لا قتلته ما دام في عرق ينبض أو أحضره إليك في قفص من حديد» ثم طار إلى حيث يوجد نابليون. الا ان نابليون كان أمكر

وأمهر من ملك فرنسا، عرف من أين تؤكل الكتف. إذ إنه لما علم بقدوم الماريشال ناى زميله القديم وصديقه الحميم أرسل إليه رسولًا في جهمة الليل يذكره بصلات الزمالة السابقة والمودة القديمة وطلب إليه أن ينضوي تحت لوائه ويقال آن نابليون نفسه قابله في ليلة ليلاء وصاخه وعانقه وما زال به حتى طواه تحت لوائه.

قبل أن يدخل نابليون باريس عاصمة فرنسا في ٣٠ مارس سنة ١٨١٥ فر منها لويس الثامن عشر. ولما علمت الدول بفرار نابليون من جزيرة البا وعودته إلى فرنسا راعها فرار ملك فرنسا وانقلاب الحالة وساورتها المخاوف التي ذاقت أهوالها ٢٠ سنة ونابليون يدكها دكا ويدقها دقا حتى أن كلمة منه كانت تكفي لمحو أمة بأسرها. ألم يقل هنرى هين **Henri Heine** الشاعر الألماني الشهير أن صيحة واحدة من نابليون تكفي لمحو بروسيا من الوجود؟.

التقى جيش الحلفاء بجيش نابليون في بلدة واترلو **Waterloo** (بلجيكا) وفيها التحمت الجيوش وكاد النصر يكون حليف نابليون إلا أن ولنجتون **Wellington** قائد الجيش الانجليزي قاوم جيش نابليون مقاومة طويلة كاد يفنى فيها جيشه لولا أن أدركه الجيش الألماني تحت قيادة بلوخر **Blucher** فألقي كل قواه على جيش نابليون وأجهز عليه ودارت الدائرة على جيشنا بليون في ١٤ يونيه سنة ١٨١٥ وفر" نابليون إلى باريس وفيها أكرهوه على التنازل مرة ثانية عن عرش فرنسا (في ٢٣ يونيه منة ١٨١٥). ولما دب اليأس في نفسه استسلم إلى إنجلترا وهي

نفته إلى جزيرة (سانت هيلانه) حيث بقي فيها من سنة ١٨١٥ إلى أن توفي في ٥ مايو سنة ١٨٢١ وعمره ٥١ سنة.

هذا ما كان من أمر نابليون.

أما ما كان من أمر الماريشال ناى فإن ملك فرنسا أمر بمحاكمته بتهمة الخيانة العظمى، انعقد مجلس الاعيان وترافع عن الماريشال ناي الافوكاتو بربيه Berryer أشهر محامي عصره. وبعد المرافعة اختلى الاعيان للمداولة فرأى ١٣٨ عضوًا اعدامه وامتنع عن التصويت وقال واحد بالبراءة. والمجلس قضى باعدامه رميًا بالرصاص وعندما وقف في يوم ٧ ديسمبر سنة ١٨١٥ بميدان الرصد خانة بباريس أمام الجند المكلفين باعدامه التفت إليهم وقال «سددوا ومايتكم إلى القلب».

ولكن ما قولك دام فضلك في إنه بعد ٣٥ سنة من تنفيذ حكم الإعدام في ٧ ديسمبر سنة ١٨١٥ وبعد آن (راحت السكرة وجاءت الفكرة) أقامت له حكومة فرنسا تمثالًا اعترافًا ببسالته وشجاعته ووطنيته وشهد حفلة رفع الستار عن التمثال في يوم ٧ ديسمبر سنة ١٨٥٣ ابن نابليون الثالث وجميع الوزراء وعدد كبير من الماريشالات ومن الأمير الايات ومن الجنرالات وطائفة كبيرة من رجال الدين على رأسهم كبير أساقفة فرنسا وعدد عديد من أعضاء مجلس الشيوخ ومجلس الشورى ومجلس الدولة.

حقًا أن الدهر ولاد لكل عجيب. القضاء أدانه وسوأه وأعدمه وبعد ٣٥ سنة برأه وأكرمه وأحيا ذكراه . . . (١١٢)

---

(١١٢) ولهذه الحادثة سابقة تاريخية تتلخص في إنه في سنة ١٨٩٤ اتهم ضابط فرنساوي في المدفعية الفرنساوية اسمه دريفوس Dreyfus بإنه سلم إلى جاسوس أجنبي ورقة متضمنة أسرارًا حربية هامة خاصة بالدفاع عن فرنسا في حالة نشوب حرب بينها وبين دول أخرى.قبض على هذا الضابط وسجن وحوكم أمام مجلس عسكري قضى بإدانته وتجريده من رتبه العسكرية واعتقل في جزيرة الشيطان.بقي مسجونًا.

ست سنوات ذاق فيها مرارة السجن والعذاب الا إنه بعد عدة سنين ثبت خطأ الحكم وظهرت براءة الضابط فأعيدت إليه رتبه العسكرية ورقي واحتفل بترقيته احتفالا عسكرية.القضاء أدانه وسوأه وجرده وثلم شرفه وبعد ١٢ سنة برأه وكرمه.

أما قصة هذا الضابط فتتلخص في إنه اتهم بإنه سلم جاسوسًا أجنبيًا وثيقة تحوي أسرارًا حربية ذات شأن ولأن هذا الضابط يهودى ومولود في مول هاوس (مدينة في بلاد الالزاس ضمتها المانيا إليها بعد حرب السبعين) اتجهت الشبهة إليه وقويت هذه الشبهة بأدلة اختلقت ضاده اختلاقة فقبض عليه وحوكم أمام مجلس عسكري في جلسة سرية والمجلس حكم عليه باجماع الآراء بتجريده من ربه العسكرية وتنفيه واعتقاله في جزيرة الشيطان.إلا أن الله سبحانه وتعالى قيض له أحد أعضاء مجلس الشيوخ اسمه شوركستر Scheurer–Kestner والكولونيل بيكار Colonel Picard وماتيو دريفوس Mathieu Dreyfus أخو المتهم وهم اتهموا القومندان استر هازى Esterhazy بإنه هو محرر الورقة المذكورة.حوكم استر هازي والمجلس العسكري قضى ببراءته.

إلا أن الكاتب الشهير أميل زولا Emile Zola اشرأب واتهم المجلس العسكرى الثاني الذي برأ استر هازى بإنه برأه (بالامر) ونشر اتهامه هذا في جريدة الأورور في صورة خطاب مفتوح وجهه إلى رئيس الجمهورية فليكس فور Felix Faure بعنوان «إنى اتهم» فوقع هذا الاتهام وقع الصاعقة في فرنسا وفي اوربا وفي امريكا.ثارت ثائرة أعضاء المجلس العسكرى فقدموا بلاغات ضد زولا.ولان الرأي العام كان يميل إلى اتهام دريفوس لإنه يهودى ومولود في الالزاس حكم على زولا بالسجن سنة وتغريمه ثلاثة آلاف فرنك.إلا أن زولا تمكن من الهروب إلى انجلترا.

حدث بعد هذا حادث خطير كان له دوى كبير.ذلك أن الكولونيل هنرى Henri أحد شهود الاثبات في قضية دريفوس اعترف بإنه هو الذي زور خطاب نوفمبر سنة ١٨٩٩ الذي تلاه وزير الحربية كاننياك Cavaigance أمام مجلس النواب وفيه يؤيد أدانة دريفوس.

حيال اعتراف الكولونيل هنري بهذا التزوير صدر أمر بالقبض عليه لمحاكمته إلا إنه أسرع وانتحر.أمام دليل النفي الجديد هذا قررت الوزارة الفرنساوية إعادة النظر في قضية دريفوس.عرضت القضية على الدائرة الجنائية بمحكمة النقض والإبرام وهي قضت بجواز اعادة النظر في القضية تم عرضت القضية على جميع دوائر النقض مجتمعة بهيئاتها الكاملة التحكم في أصل الدعوى.نظرت الدعوى من جديد في شهر اغسطس سنة ١٨٩٩ فانحاز خمسة أعضاء إلى جانب الادانة ورأى اثنان

٣ - محاكمة الماريشال بازين Bazaine

وها ماريشال ثالث اشتهر في عهد نابليون الثالث (ابن اخي نابليون الأول) واشترك في حروب كثيرة أبدى فيها بسالة وسياسة وبراعة رفعته إلى أرقى المناصب الحربية. اشترك في معارك بلاد الجزائر (ضد الأمير عبد القادر). وفي حرب القرم (ضد روسيا). وفي حرب ايطاليا (ضد النمسا). وفي حرب المكسيك (ضد الوطنيين الثائرين). وفي حرب السبعين (بين فرنسا والمانيا).

في الحرب الضروس التي نشبت بين فرنسا والمانيا في سنتى ١٨٧٠ – ١٨٧١ بدأ بقيادة جيش اللورين الفرنساوي ثم عين قائدا عاما على جيش الرين. إلا إنه أساء القيادة وأسماء التدبير فتقهقر إلى مدينة ميتس Metz حيث توجد القلعة الشهيرة التي اشتهرت بإنها امنع من عقاب الجو. بقي في ميتس جامد لا يتحرك وبجموده مكن الألمان من جمع جموعهم تمهيدًا لضرب سائر الجيوش الفرنساوية ضربات فتاكة قتالة. وبينما هو جامد في قلعة ميتس لا يتحرك فاوض سرًا بيسمارك داهية الألمان وفاوض حكومة بروسيا وفاوض نابليون الثالث وفاوض

البراءة فقضت الدوائر المجتمعية بسجن دريفوس عشر سنوات.إلا أن رئيس الجمهورية مسيو لوبيه Loubet عفا عنه عفوًا شاملًا.

وفي سنة ١٩٠٢ ظهرت أدلة جديدة تؤيد براءة الرجل فأعيد النظر في القضية والدوائر المجتمعة حققت ودققت فظهر لها أن أدلة الادانة كانت كارا مفتعلة ولا وجود لها فقضت باعتبار حكم الادانة والعقوبة الذي صدر في سنة ١٨٩٩ انما صدر عن خطأ وبغير وجه حق، وأن العدل في بنقض الحكم بدون احتاج إلى إحالة على محكمة اخرى.وبعد بضعة أيام رقي دريفوس إلى رتبة أعلا ومنح نيشان الليجون دونور كما أن الكولونيل بيكار الذي كان له الفضل والجراءة في إظهار المؤامرة التي دبت للحكم بإدانة درموس وسجن من أجله كافأته الحكومة بترقيته إلى رتبة جنرال.

الامبراطورة أوجيني زوجة نابليون الثالث التي كانت تهيمن طوال مدة الحرب على شؤون فرنسا. ثم سلم القلعة والمدينة والجيش إلى الألمان في ٢٧ اكتوبر سنة ١٨٧٠ مع إنه كان تحت إمرته ١٧٠. ٠٠٠ جندي من خيرة الجنود بينهم ٢٥ ضابطًا من كبار الضباط وكان جيشه مزودًا بألف وخمسمائة مدفع ومليوني قذيفة و ٢٣ مليون خرطوشة. وبجموده سهل الالمان الانتصار على فرنسا وكانت النتيجة سقوط الامبراطورية الفرنساوية (كما سقطت امبراطورية عمه نابليون الأول) وقيام الامبراطورية الألمانية تحت زعامة غليوم الأول ملاك بروسيا (ابن الملكة لويزا التي أذلها نابليون الأول وأذل زوجها وأذل بلادها رابع صحيفة ٣٨ من هذا الكتاب). واستسلام نابليون الثالث إلى الألمان (كما استسلم نابليون الأول إلى الإنجليز) واعتقاله في المانيا ثم نفيه إلى انجلترا (كما نفى الانجليز عمه إلى جزيرة سانت هيلانه).

كان الرجل طماحًا ويقال إنه كان يرقب الحوادث حتى إذا ما رجحت الكفة للألمان فاوضهم وساومهم وتسلم زمام البلاد وبسط نفوذه على فرنسا كلها.

بعد هزيمة فرنسا حوكم الماريشال بازين أمام مجلس عسكرى انعقد في قصر تريانون (في فرسايل على مقربة من باريس) حيث دافع عنه الأفوكاتو لاشو **Lachaud** أشهر محامي فرنسا في ذلك العهد. والمجلس رأى ادانته وحكم في ١٠ ديسمبر سنة ١٨٧٣ تجريده من جميع رتبه العسكرية وباعدامه. غير أن القضاة التمسوا من الماريشال

ماك ماهون Mad Mahon رئيس الجمهورية وقتئذ استبدال عقوبة الاعدام بعشرين سنة سجنًا فسجن في جزيرة سانت مارجريت.

وفي سنة ١٨٧٤ هرب منها وأقام في مدريد عاصمة أسبانيا شريدًا طريدًا فقيرًا ذليلًا في عيشه أزف ما في بيته هفة ولا سفة وبقي فيها إلى أن توفي فيها في ٢٢ سبتمبر شيخًا همًا يجر وراءه السنين أطل عمره على الثمانين.. وكان ذلك مكتوبا له في لوح القدر.

٤- محاكمة الماريشال بيتان Petain

ذاع صيته بدفاعه المجيد عن قلعة فر دون Verdan في الحرب العالمية الأولى من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩١٨. في بدايتها حارب الألمان في بلجيكا ثم في فرنسا في مقاطعة ارتوا وفي مقاطعة شامبانيا. ولما أراد الألمان الاستيلاء على قلعة فردون دافع عنها من فبراير إلى مايو سنة ١٩١٦ دفاعا بهر العالم كما جهر الألمان أنفسهم. وفي ١٥ مايو سنة ١٩١٧ خلف الجنرال نيفل في قيادة الجيوش الفرنساوية التي كانت تحارب في الشمال وفي الشمال الشرقي. كانت قواها المعنوية انحطت على أثر اندحارها تحت قيادة الجنرال نيفل فلما تولى قيادتها بيتان بث فيها روح الثقة والطمأنينة وانقاب فجأة من الدفاع إلى الهجوم الذي تولاه الماريشال فوش وانتهى بانتصار الجيوش الفرنساوية على الجيوش الألمانية في ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨. و بعد أسبوع واحد أي في ١٩ نوفمبر سنة ١٩١٨ – رقته حكومة فرنسا إلى رتبة ماريشال. وفي سنة ١٩٢٥ عهدت إليه حكومة فرنسا بإعادة الأمن في مراكش بعد

أن أعلن عبد الكريم الثورة على فرنسا في الريف. واعترافا بجليل خدماته انتخب في خلال سنة ١٩١٩ عضوًا في مجمع العلوم والآداب. وفي سنة ١٩٢٩ خلف الماريشال فوش في عضوية الأكاديمي الفرنساوية. ووجهت إليه وكالة المجلس الحربي الأعلى ثم عين مفتشا عاما للدفاع الحربي. وفي سنة ١٩٣١ مثل الحكومة الفرنساوية في عيد مرور ١٥٠ سنة على معركة يورك تاون. وفي سنة ١٩٣٤ تولى وزارة الحربية في وزارة دومرج.

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية –من سبتمبر سنة ١٩٣٩ إلى مايو سنة ١٩٤٥– غصب الماريشال بيتان زمام الحكم في فرنسا واستبد به بعد ما اندحرت الجيوش الفرنساوية واحتل الا لمان فرنسا. انحاز إلى من كان يظنه الغالب. أنشأ له حكومة في فيشي طغت وبغت وأعلنت سياسة التعاون مع الألمان ومنحهم امتيازات عسكرية واقتصادية وناوأت وزراء فرنسا السابقين واضطهدتهم واعتقلتهم وحاكمت البعض منهم وقتلت من قتلت وسجنت من سجنت ونفت من نفت وساءت الألمان من سامت وأصدرت أوامر إلى حكام فرنسا في الجزائر وتونس ومراكش ولبنان وسوريا وغيرها بأن يعاونوا الألمان على الفرنساويين الثائرين على الألمان وعلى حلفائهم الانجليز والامريكان وغيرهم وغيرهم. ولما انتصر الحلفاء واستسلم الألمان وتولى الجنرال ديجول الحكم قبضت الحكومة الفرنساوية الجديدة على الماريشال بيتان وعلى وزرائه وأنصاره الذين ناوأما الاحرار الفرنساويين وناوأوا الانجليز والامريكان ومالوا الألمان

وسهلوا لهم التحكم في الفرنساويين الثائرين. وكان القبض على الماريشال بيتان واعتقاله أفول آخر الخير المحتمل ونجوم أول الشر المحقق، أحيل الماريشال بيتان أمام المحكمة العليا لمحاكمته على تهمة الخيانة العظمى وهي موبقة اجتمعت فيها عدة موبقات. نعت عليه النيابة ذنوبه وآثامه في حق فرنسا وفي حق الفرنساويين وفي حق حلفاء فرنسا كما نعت عليه اعتداءه على النظام الجمهوري والاستئثار بالسلطة وحده استبدادا إذ كان يعتبر كل من لم يذعن لأوامره خارجا على فرنسا نفسها. وبعد أن سمعت المحكمة شهادة ١٦ شاهد اثبات و٢١ شاهد نفي وتداولت سبع ساعات أصدرت في ١٥ أغسطس سنة ١٩٤٥ حكما قاسيا في عدالته عادلا في قسوته اذ حكمت –بأغلبية ٢٠ صوتا ضد ٧– باعدامه وتجريده من رتبه العسكرية وسقوط حقوقه المدنية ومصادرة أملاكه. وبالنظر لشيخوخته –إذ ناهز التسعين– طلبت المحكمة (بأغلبية ١٤ صوتًا ضد ١٣) من الحكومة عدم تنفيذ الإعدام واستبداله بالسجن. والجنرال ديجول أجاب واستجاب واستبدل عقوبة الاعدام بالسجن المؤبد.

بعد أن كان الفر نساويون يرفعون رؤوسهم ليروه أصبحوا بعد أن ارتكب الموبقات يطأطئون رؤوسهم للبحث عن مكإنه. وأوبقته ذنوبه فهوت به إلى الدرك الاسفل. وبهذا كتب بيتان آخر سطر من حياته.

حقًا أن الأيام دول والدهر عبر.

تاجنروج

ثغر روسي على بحر أزوف. دخله الجيش الروسي في آخر أغسطس سنة ١٩٤٣ وطرد الألمان منه. وهذا الثغر مشهور بحادثة تاريخيه كان لها دوى" عظيم في أوائل القرن التاسع عشر:

ذلك أن اسكندر الأول قيصر روسيا الذي عاصر نابليون. وحارب نابليون. وصادق نابليون. وعاهد نابليون. وعانق نابليون. وقبل نابليون. وقهر نابليون. ورقص مع جوزفين زوجة نابليون. وعبثا حاول أن يصاهره نابليون. ودخل مرتين عاصمة نابليون. سافر في أخريات أيامه مع القيصرة زوجته إلى تاجيروج هذه طلبًا للراحة والصحة والحياة فلقي فيها الأرق والمرض والوفاة.

كان اسكندر الأول هذا ونابليون صاحبي الكلمة النافذة والجاه والسلطان في عالم ذلك الزمان.

ومن طريف ما يروى أن نابليون اجتمع باسكندر في مدينة «أرفورت Erfurt» في يوم ٢٧ سبتمبر سنة ١٨٠٨ وقضيا معًا ثلاثة أسابيع كانت سلسلة مفاوضات ومداولات تتخاها مآدب واحتفالات جمعت بين الأبهة والعظمة استدعى لها نابليون من باريس أشهر الممثلين والممثلات والمطربين والمطربات من بينهم الممثل الأشهر «تالما Talma» الذي قال له نابليون عندما مثل بين يديه (سأفرش لك أرضية المسرح بالملوك والأمراء والعظاء) وقد مثل الممثلون والممثلات مختارات من روايات «كورنيل Corneille» و«راسين Racine» و«فولتير Voltaire».

حدث إنه في أثناء تمثيل رواية « أوديب **Oedipe** و الفولتيير أن أنشد الممثل البيت الشهير: **L'amitié d'un grand homme "est un bienfait des dieux"** ومعناها: "صداقة عظماء الرجال نعمة من نعم الله". فلما سمع اسكندر هذا البيت اهتز طربًا وقبض بكلتا يديه على يدي نابليون وقال له: (كأن الشاعر يعنيني بقوله هذا).

ومن مدينة «أرفورت **Erturt**» سافر نابليون واسكندر إلى مدينة «فايمار **Weimar**» حيث قضيا يومين تخللتهما مآدب وحفلات رقص شهدها أولو العلم والسياسة من رجالات فرنسا وألمانيا وأولات الجمال والدلال من نساء ألمانيا وفرنسا. وفي أثناء حفلة من هذه الحفلات تقابل نابليون لأول مرة بجوتة **Goethe** فيلسوف ألمانيا الأشهر وبالشاعر الألماني الشهير الآخر فيلند **Wieland** فقضى معهما نابليون شطرًا من السهرة بهرهما فيه بسحر بيانه ورقة عواطفه وبشخصيته الجذابة ثم أنعم عليهما نيشان الليجيون دونور. ثم يريد الله:

– أن يموت نابليون في سنة ١٨٢١ ذليلًا في منفاه بجزيرة سانت هيلانة ويكون لموته دوي عظيم في أرجاء العالم.

– ويموت اسكندر الأول عزيزًا بعده بأربع سنوات في سنة ١٨١٥ ويكون لموته هو أيضًا دوي عظيم ولكن في أرجاء أوروبا[١١٣].

---

[١١٣] كتبنا هذه المقالة ونشرناها في جريدة "المقطم"، عدد ١٢٥ أكتوبر سنة ١٩٤٣.

عائلة بونابرت

نشرت الجرائد تلغرافا واردة من لندن قال فيه مرسله «يقيم الآن في لندن أحد أحفاد آل بونابرت وقد تقرر أخيرا إلحاقه بالجيش البريطاني في منصب ضابط اتصال مع قوات فرنسا الحرة التي يقودها الجنرال ديجول ويدعى هذا الحفيده بونابرت وايز" وجده لأمه هو لوسيان شقيق نابليون «المحبوب منه». أما جده لأبيه فمن أسرة ارلندية عريقة النسب وقد التقى بابنة لوسيان في أثناء سياحة في ايطاليا فتبادلا الحب واقترنا واصطحبها معه إلى ارلندا».

وأزيد عليه بأن والد هذا الضابط هو مستر توماس وايز Thomas Wyse أحد أبناء أسرة ارلندية كاثوليكية ذات حسب ونسب من مقاطعة واترفورد. رأى الأميرة اليتيسيا بنت لوسيان (أخي نابليون) فأحبها وتزوجها وهي في السادسة عشرة من عمرها. وقد سميت باسم ليتيسيا أم نابليون. وتوماس وايز هذا كان عضوا في مجلس النواب البريطاني ثم وزيرا لمالية انجلترا وقد توفي في سنة ١٨٦٢.

أما لوسيان شقيق نابليون فقد خلف من كريستين بواييه Christine Boyer زوجته الأولى بنتين احداهما الأميرة شارلوت والثانية الأميرة جابر بيلي (ويسميها تارة اجبتا Egypta أي مصر وتارة ليلى Lili) كما خلف سبعة أولاد من الكسندرين زوجته الثانية هم الأمير شارل وقد ولد في باريس في ٢٤ مايو سنة ١٨٠٣ والأميرة ليتيسيا –

والدة الضابط الذي نحن بصدده – والأمير نويس وقد ولد في انجلترا في ٤ يناير سنة ١٨١٣ والأمير بيير نابليون وقد ولد في روما في ١١ اكتوبر سنة ١٨١٥ والأمير أنطوان وقد ولد في روما في ٣١ اكتوبر سنة ١٨١٦ والأميرة ماري وقد ولدت في روما في ١٢ اكتوبر سنة ١٨١٨ ثم الأميرة كونستانس وقد ولدت في ٣٠ يناير سنة ١٨٢٣ ولما بلغت الحادية عشرة من عمرها ترهبنت.

أما قول الراوي بأن لوسيان (كان محبوبًا من شقيقه نابليون) فقول غير صحيح على اطلاقه لأن الشقيقين كانا على طرفي نقيض في الأخلاق وفي المبادىء السياسية:

طبائع الاستبداد وحب الاثرة والميل إلى استعمال العنف والقوة والقسوة كانت متأصلة في نفس نابليون. أما لوسيان فعلى عكس أخيه كان مدنيا سياسيا بالطبع يؤمن بالديموقراطية وبالجمهورية ويدين بمباديء استقلال الأمم والافراد ويناصر حرية الصحافة والكتابة. يؤيد النظم الدستورية ويحارب النظم الاستبدادية.

حاول نابليون غير مرة – وهو في أوج عزه وساطإنه وعروش ممالك أوروبا في قبضة يده يوليها لمن يشاء – أن يستميل أخاه لوسيان فكانت إرادة نابليون وجبروته ورهبوته تتحطم أمام صلابة رأي لوسيان ومتانة أخلاقه وسمو عواطفه:

– دعاه ليسافر إلى مصر معه ومع أخيه لويس وأوجين (ابن زوجته جوزفين) عندما غزاها في يوليه سنة ١٧٩٨ ولاستمالته عرض عليه وظيفة سامية في الحملة فرفض.

– قال لوسيان ذات يوم لأحد أنصار أخيه (إن كان الرجال الذين اتخذهم أخي بطانة له سيؤازرونه على استعمال طرق العنف والقسوة فأنا لست منه ولا منهم. واليوم الذي أشعر فيه بأن ساعة الجمهورية قد دنت وآذنت بالزوال فاني أبارح هذه البلاد وابحث لي عن أرض سواها أموت فيها. أن من طغى واستعبد الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارة مصيره السقوط والهوان).

– عرض عليه نابليون وهو في سن الثلاثين عرش إيطاليا وتزويجه احدى بنات القياصرة والملوك وأشار إليه باحتمال تعينه ولي عهد تلك الامبراطورية العظيمة التي أنشأها بحد السيف إذا ما قبل لوسيان أن يطلق زوجته الكسندرين، وليغريه ويغريها قبل أن يعطى الزوجة دوقية ويرتب لها مخصصات كبيرة فرفض لوسيان هذه المساومة وأبي أن يضحي أخلاقه ومبادءه وعواطفه ليستوى على عرش كانت أعناق الامراء والعظاء تتطلع إليه.

– عرض عليه أن يتبنى أحد أولاده وأن يجعله ولي عهد إحدى المالك التي غزاها وضمها إلى الامبراطورية فرفض.

– هدده بسن قانون يحرم على أعضاء عائلة بونابرت الزواج إلا بعد موافقة نابليون وأفهمه باحتمال تدوين نص يجيز سريان القانون على الماضي فلم يبال.

– فكر أخوهما جوزيف في حل لفض الخلاف بين نابليون ولوسيان فعرض إدخال لوسيان ضمن الورثة المحتملين لعرش فرنسا بشرط النص على اقصاء زوجته وأولاده فرفض لوسيان وقال "أنا وزوجتي وأولادي كل

لا يتجزأ. أنا جمهورى صميم وعدو النظام الامبراطورى ثم التفت إلى نابليون وصاح في وجه قائلا بصوت جهورى ان كنت تريد قتل النظام الجمهوري فاقتله وقف على جثته ولكن اعلم ان امبراطوريتك التي شيدتها بحد السيف ستنهار ويقتلها نفس السيف الذي شادها ثم التي ساعته في الأرض وداسها بقدميه وقال هكذا ستكون آخرتك".

– جرى ذات يوم جدل بين الأخوين بلغ حد الشدة فلما رأى نابليون أن أخاه سيخرج غاضبا أسرع ومد له يده ليصاغه فتردد لوسيان في مديده عند ذلك خطا نابليون نحو أخيه ومال بخده نحوه فاضطر لوسيان أن يقبله.

– بقي الجفاء مستحكما بين الشقيقين عشر سنوات لم تنفع فيها وساطة الأم ولا شفاعة الإخوة والأخوات ولا مسعى عظاء الدولة فاضطر لوسيان أن ينقطع عن حضور جلسات مجلس الشيوخ خمس سنوات متواليات فأمر نابليون بقطع مكافأته البرلمانية طول هذه المدة وقطع عنه مخصصات العائلة وكانت تبلغ ٦٠,٠٠٠ جنيه كان نابليون يوزعها على اخوته واخواته دون لوسيان.

– ولما يبدأ الصفاء يحل محل الجفاء بين الأخوين الا بعد أن اندحر نابليون في سنة ١٨١٢ على أثر عودته من روسيا مدحورة وعلى إثر انكساره في لايبزج في سنة ١٨١٣ ثم إنهزامه في واقعة واترلو المشهورة في سنة ١٨١٥.

المدن الخمس Pentapole

تدخل في ألقاب بطريرك الأقباط الأرثوذكس مصر «المدن الخمس الغربية» فما هي هذه "المدن الخمس الغربية؟".

المدن الخمس الغربية معروفة بأسم ينتابول **Pentapole** وبنتابول مركبة من كلمتين يونانيتين بنتا **Penta** ومعناها خمسة. وبول **Pole** أوبوليس **Polis** ومعناها مدينة. ومنها **Heliopolis** أي مدينة الشمس.

١- والمدن الخمس الغربية **Pentapole Liby que** هي:

- سيرينه **Cyrene** وهي برقه

- أبولوني **Appolonie** (والآن مرسى سوسه)

- بتولمايس **Ptolemais** وهي الآن **Tolemata**

- توشيرا **Tauchira** أو (ارسينويه **Arsinoe**) وأرسينويه اسم أميرة مصرية هي بنت بطليموس لاجوس تزوجت ملك تراقيا وبعد موت زوجها تزوجت بطليموس فيلادلف.

- بيرنيس **Berenice** (والان بنغازى) وكانت توجد في ضواحي هذه المدينة حديقة مشهورة بأسم **Jardin des Hesperides** زعموا أن أشجارها كانت تطرح تفاحا من ذهب، وبيرينيس **Berenice** أسم لعدة اميرات وملكات مصرية منهن بيرينيس زوجة بطليموس سو تير ملك مصر ووالدة بطليموس فيلاداف و بير ينيس بنت بطليموس فيلادلف التي تزوجت بملاك سوريا أنطيوكس تيوس **Antiochus Theos**

وبيرينيس بنت أخرى من بنات بطليموس فيلادلف وقد تزوجت بأخيها الشقيق بطليموس أفرجيت Evergete وشاركته في حكم مصر ورزقت منه ولد هو بطليموس فيلو باثور. ثم بيرينيس بنت بطليوس أوليت Aulite وهي أخت كليو بطره الشهيرة ملكة مصر. ومدينة (العقبة) كان اسمها قديما بير ينيس.

٢ – وتوجد «مدن خمس» أخرى معروفة مدن فلسطين الخمس وهي:

– سودوم sodome (وهي قرية قوم لوط ويسمونها أيضًا سدوم)

– عموره Gomorrhe

– أدمه Adama على مقربة من البحر الميت (في فلسطين) وقد اكتشفها المنقبون الفرنساويون في سنة ١٨٥٠ وأهمها الان Ghor–Safieh

– صيبوييم Saboim

– صوغر Segor أو zoar[١١٤]

٣ – ويليها مدن الفينيقيين الخمس وهي:.

– غزه Gaza

– عسقلان Ascalon

– أزوت Azoth

– جداره Gadara

[١١٤] ومن أراد المريد فايراجع الكتاب القديم الذي وضعه العالم الاثرى Delessert (Voyage aux villes maudites)

- عكا Accaron

٤ – وفي آسيا الصغرى توجد مجموعة « مدن خمس » رابعة وهي:

- كوس Cos وهي جزيرة صغيرة على مقربة من جزيرة رودس كانت تابعة لتركيا ثم استولت عليها ايطاليا ثم استردتها اليونان بعد الحرب الأخيرة.

- كنيد Cnide وهي بلد المهندس المعمارى سوسترات sostrate الذي بني فنار الاسكندرية في عهد بطليموس فيلادلف.

ويليها ثلاث مدن في جزيرة رودس وهي:

- لندوس Lindos (وقد زرتها في صيف سنة ١٩٣٦).

- ياليزوس Yalisos

- كاميروس Camiros

٥- وفي ايطاليا كانت توجد مجموعة « مدن خمس » خامسة وهي:

- رمينى Rimini

- بيزاور Pesaro

- فانو Fano

- سينجاليا Sinigaglia

- أنكونا Aneona وكان تنازل عنها ملك فرنسا بين Pepin le Bref إلى كرسي البابوية مع أبرشية راقنا Ravenna فتكون مجموعات "المدن الخمس" خمسًا.

سابقة تاريخية

في ٢٧ يوما غزا الحلفاء جزيرة صقلية الإيطالية وطردوا الإيطاليين والألمان منها بعد أن أسروا في ٣٠ يوما ١٣٠,٠٠٠ إيطالي وألماني وغنموا ٥٠٠ مدفع ودمروا ٢,٠٠٠ طائرة وبسطوا سلطانهم على سكان الجزيرة وعددهم ٠٠٠. ٤,٠٠٠ ري نفس.

وفي السبعة أيام الأخيرة زاد عدد الأسرى عشرات الألوف وزادت الأسلاب والغنائم زيادة كبيرة.

وكان من أثر هذه الانتصارات الباهرة المتوالية أن دب الهلع في قلوب الإيطاليين والألمان لدرجة إنهم كانوا يستسامون للحلفاء زرافات ووحدانا. وآخر مثل ورد إلينا من قيادة الحلفاء في شمال افريقيا أن استطاع ضابطان أمريكيان «اثنان فقط» الاستيلاء على ثلاث جزر إيطالية وأسروا حامياتها الثلاث ويبلغ عددها ١٠٢٧ جنديا إيطاليا كما غنموا دباباتها وبسطوا سلطتهم على سكإنها وعددهم خمسة آلاف نسمة.

تذكرني هذه الحادثة الاخيرة ما حدث عند ماغزت جيوش محمدعلى فلسطين وسوريا والأناضول. إذ أن الهلع الذي دبة في قلوب الناس وصل إلى أخش الجزع في المدن وفي الريف وفي الجبال.

وأبلغ مثال على ذلك إنه في يوم ٢٨ فبراير سنة ١٨٣٣ تقدم محمد أغا ومعه أربعة من جنود محمد على (أربعة فقط) إلى مدينة أزمير

وطلبوا باسم إبراهيم باشا ابن محمد على تسليم المدينة فلم يسع حكام المدينة إلا الرضوخ والاستسلام فسلموا المدينة حالا وخرجوا منها.

وبعد واقعة حمص التي انتصر فيها جنود محمد على على جيش السلطان محمود عرضت مدينة ديار بكر تسليم زمامها إلى إبراهيم باشا. كما أظهرت بغداد رغبتها في الاستسلام. كما أبدى اعراب الحساء الاستسلام. كما أبدت امارة البحرين التسليم.

حصل كل هذا على أثر انتصارات جيوش محمد على على جيوش السلطان، محمود في فلسطين وفي سوريا وفي الأناضول. إذ أن انتصارات الجيش المصري كانت متتالية متتابعة بسرعة مدهشة. ففي ٨ نوفمبر سنة ١٨٣١ دخل المصريون ثغر يافا.

وبعد خمسة أيام أي في ١٣ منه احتلوا حيفا وفيها وفد إليهم زعماء قبائل عرب نابلس وطبرية والقدس وقدموا الطاعة.

وفي ٥ ابريل سنة ١٨٣٢ دخل المصريون طرابلس وكانوا من قبل احتلوا صوروصيدا وبيروت. وبعد شهر ونصف أي في ٢٧ مايو سنة ١٨٣٢ استولوا على عكا.

وبعد ١٦ يوما أي في ١٣ بونيه سنة ١٨٣٢ دخل المصريون دمشق. وبعد ٢٥ يوما أي في ٨ يوليه سنة ١٨٣٢ انتصر المصريون في حمص. وبعد يومين اثنين أي في ١٠ يوليه سنة ١٨٣٢ – استولوا على حماة، وبعد أربعة أيام أي في ١٤ يوليه سنة ١٨٣٢ دخلوا حلب، وبعد

١٥ يوما أي في ٣٠ يوليه سنة ١٨٣٢ انتصروا في بيلان، ثم احتلوا بعد ذلك طرسوس وأطنه ومضيق كولاك بوغاز ثم احتلوا اريكليا. وكان لهذه الانتصارات المتوالية دوى عظيم في الشرق وفي الغرب في آسيا وفي أوروبا وفي أفريقيا، وفي ٢٨ نوفمبر سنة ١٨٣٢ احتلت المصريون قونيه، وفي ٢ نوفمبر سنة ١٨٣٣ احتلوا كوتاهية، وقد بلغ ذعر الأهالي والحكام من اسم إبراهيم باشا وفزعهم من اسم الجندي المصري أن تقدم محمد أغا ومعه أربعة من الجنود المصريين "أربعة فقط" إلى حاكم أزمير في ٢٨ فبراير سنة ١٨٣٣ وطلب منه باسم إبراهيم باشا تسليم المدينة فأذعن في الحال وسلم المدينة بلا مقاومة.. حقًا أن التاريخ يعيد نفسه.

لقب "خديو"

نشرت صحيفة "الأهرام" كلمة لكاتب فاضل قال فيها إنه:

«في عام ١٨٦٩ أنعم السلطان عبد العزيز العثماني على اسماعيل باشا بلقب «خديو» وهي كلمة فارسية تزيد على رتبة الأمير وتقلت عن مرتبة الخلافة، و بقي هذا اللقب عاما على ولاة مصر من سلالة محمد على الكبير حتى تقلص ظل الامبراطورية العثمانية عنها في نهاية عام ١٩١٤، ولا يعرف أن الخلفاء الاتراك آثروا أحدا من ولاة «الايالات» بمثل هذا اللقب الفخم غير حكام مصر، وقد حظى به ثلاثة أولهم اسماعيل وآخره عباس الثاني.

وللحقيقة والتاريخ أقول:

١- إن الفرمان الذي أنعم به السلطان عبد العزيز على اسماعيل باشا بلقب «خديو» تاريخه ٨ يونيه سنة ١٨٦٧ لا سنة ١٨٩٩.

٢- ثم إن من يراجع كتب التاريخ يجد: أن محمد على باشا كان شكل في سنة ١٢٢٠ ديوانا سماه (ديوان الوالي) وبعد بضع سنين سماه (الديوان الخديوى).

- ووصفت «السياسة نامة» الصادرة في شهر ربيع الأول سنة ١٢٥٣ محمد علي باشا والي مصر بإنه (حضرة أفندينا ولى النعم

الدوري الأضخم والخديوي الأعظم).

– وقيل في الباب الحادي والعشرين من السياسة نامة (وأما من يسلك طريق الرشاد ويجرى حقوق واجبات عبودية النعمة الجليلة المستغرق فيها من فيضات بحر كرم الخديوي الأعظم)

– وورد في قانون السياسة الملكية الذي طبع ونشر في ربيع آخر سنة ١٢٥٣ في المادة ٧٣ ما يأتي: (ومن يتعين لذلك من الذوات المندوبين من طرف سعادة أفندينا ولي النعم الداورى الأفخم والخديوي الأعظم)

– وورد في لائحة ترتيب الجمعية الحقانية في البند الثاني (إذا كان أحد يقدم عرضحال للأعتاب الخديوية) وفي البند الرابع (أن مأموري الإدارة إذا تشكو من طرف حضرة الريس إلى الأعتاب الخديوية)

– وفي المادة التي نشرت من الجمعية الحقانية في شهر ربيع آخر سنة ١٢٥٩ قبل (ومن يتجاسر على تصديع حضرة الخديوي الأعظم بالعرض له)

– وفي المادة التي عملت بجمعية ديوان المالية قبل (ومن يكون من ذوات الحائزين رتبة اللواء فما فوقها لحد أكبر حضرات أنجال الخديوي)

– وقبل أن ينشىء محمد علي «الوقائع المصرية» أنشأ صحيفة سماها «جرنال الخديو» جعلها واسطة بينه وبين مختلف الإدارات

ومراكز الحكومة في الاأقاليم وكان يطبع منها يوميا ١٠٠ نسخة باللغتين التركية والعربية.

– وعندما صدر أمر سعيد باشا في ١٨ ربيع سنة ١٢٧٤ بترتيب مجلس الاحكام وقع على الأمر رقم الصادر من القلعة السعيدية هكذا (محمد سعيد خديو مصر المعظم).

من كل هذا يتضح أن لقب «خديو» ورد مرارًا في الأوامر والقوانين التي صدرت في عهد محمد علي باشا وفي عهد عباس باشا الأول وفي عهد سعيد باشا قبل أن يوجه السلطان لقب «خديو» إلى المغفور له اسماعيل باشا.

ويقول المرحوم الياس الأيوبي في كتابه (تاريخ مصر في عهد الخديو اسماعيل) أن كلمة «خديو» كلمة فارسية معناها «الاله» و«الرب» فهي تشعر إذن بعظمة وجلالة لا تشعر بها لفظة «العزيز» العربية وتلبس صاحبها رداء استقلال في المركز والعمل أكثر مما تلبسه إياه أية كلمة أخرى.

ومن شجون الحديث أقول ان اسماعيل باشا كان طلب من السلطان أن يمنحه لقب «عزيز مصر» فرفض السلطان منحه لقب «عزيز» لأن اسمه هو «عبد العزيز» ولا يليق أن يكون اسماعيل التابع «عزيزًا» والسلطان المتبوع «عبد العزيز»[١١٥]، فتأمل.

---

[١١٥] نشرنا هذه الكلمة في إهرام ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٤٥.

سوابق تاريخية

ورد أخيرًا في مجلة «الاثنين» أن أحدهم ذهب يهنىء لورد كيلرن عند ما منح لقب اللوردية، وطلب منه بهذه المناسبة أن يوافق له على رجاء قديم، كان اللورد رفضه فأجابه اللورد: «يظهر أن اللورد كيلرن يتبع في سياسته سير مايلز لامبسون».

وقد ذكرتنى كلمة لورد كيلرن هذه بسوابق تاريخية أرويها فيما يلي:

– كان سير ويلكوكس مفتشًا لري الوجه البحري في مصر، فلاحظ في أثناء طوافه بإحدى المديريات أن وابور ري لشخصية كبيرة، يدور في غير دور المناوبة إضرارًا بمصلحة الأهالى، فأمر بوقف الوابور . .

وقبل أن ينفذ أمره، دعاه صاحب الوابور لتناول الغداء معه، فقبل الدعوة، وبعد أن أكل ما لذ وطاب، رجاه صاحب الوابور أن يعدل عن أمر وقف وابوره. فكان جوابه: «إن الذي تغدى معك هو ويلكوكس أما الذي أمر بوقف الوابور فهو مفتش الري»! ونفذ الأمر واوقف الوابور.

– وقبل استواء دوق دورليون على عرش فرنسا، كان قد أهين وسجن، فلما نودي به ملكًا خشي أعداؤه أن ينتقم منهم شر انتقام . .

وذكره أنصاره بما فعل به أعداؤه وحرضوه على الانتقام، فكان جوابه: «لا يليق بملك فرنسا أن ينتقم مما أوذي به دوق دورليون»!

– وجاء في مجلة العالمين إنه لما تبوأ لويس فيليب عرش فرنسا، قصده صديق وطلب منه خدمة نظير خدمات قديمة سبق أن أداها له منذ كان «دوق دورليان» فأجابه: «إن لويس فيليب لا يتذكر الخدمات التي أديتها لدوق «دورليان» يريد أن يفهمه بأن العلاقات الشخصية شيء والمصالح العامة شيء آخر.

هانيبال "Annibal"

١- فيليب على الأبواب:

يستعمل بعض الكتاب هذه الكلمة التاريخية للتحذير من خطر داهم. كتب بعضهم في إحدى المجلات: (كيف لإنهم بحل مشكلة التموين وفيليب على الأبواب)؟ ثم زاد فقال: (عندنا مائة مشكلة ومشكلة وكل منها فيليب على الابواب).

وللحقيقة والتاريخ أقول إن حقيقة المثل هي: «هانيبال على الأبواب Hannibal ad portas»، لا «فيليب على الأبواب». والأصل أن هانيبال بعد أن غزا أسبانيا، واجتاز جبال الألب على رأس جيش عرمرم مؤلف من مائة ألف مقاتل، التقى بالجيش الروماني عند مدينة «كان Cannes» فهزمه وشتت شمله، ثم وقف عند مدينة «كابو Capoue» ليزحف منها نحو روما. ولما طار الخبر إلى أهإلى روما فزعوا ودب الرعب في قلوب حكامها وشعبها، وكانوا كلا تجادلوا وتنازعوا يقول بعضهم لبعض: كيف يجادل ويخاذل بعضنا بعضا (وهانيبال على الأبواب)، فكلمة (هانيبال على الأبواب) هي صيحة تحذير لها معنى يقرب من قول العرب: (حذاريك زيدًا).

٢- كم وزنه يا هانيبال:

ومن الكلمات التي قيلت على هانيبال أيضًا وذهبت مثلا كلة وردت في شطر من بيت للشاعر اللاتيني المشهور جوفينال **Juvenal** (كم وزنه يا هانيبال **Expende Hannibalem**) ومعناها –كما هو في بطن الشاعر– «كم وزن الرماد الموجود في جسم هذا القائد الحربي الكبير يا ترى، إذا وزنته لا تجده شيئا مذكورًا» يقولونها تدليلًا على إنه مهما عظم مجد الانسان في هذه الحياة الدنيا فان هذا المجد يعني ولا يبقى إلا وجه ربك ذو الجلال والاكرام.

٣ - دلندا قرطاجو:

استعمل أحد الخطباء هذه الكلمة بمعنى (بعد خراب البصرة). اختلط على الخطيب معنى الكلمتين اللاتينية والعربية. والخلط جاء من تشابه الترجمة الحرفية للكلمتين لأن (دلندا قرطاجو) **Delenda Cartago** ترجمتها الحرفية (يلزم هدم مدينة قرطاجة) أو بعبارة أخرى (فلتسقط قرطاجة). وقرطاجة هذه هي مسقط رأس هانيبال. والمثل يشير إلى وجوب الثبات على رأي أو على فكرة أو على مشروع، والتصميم على تنفيذه بكل ما أوتي الانسان من حول ومن صبر ومن قوة إلى أن يتحقق. كان الخطباء في روما يقولون هذه الكلمة في آخر كل خطبة ليلقوا في روع الشعب واجب التصميم على تحطيم قرطاجه وسحق قوتها العسكرية إلى أن تمحى من الوجود. فالفرق كبير بين معنى (فلتسقط قرطاجة) وبين (بعد خراب البصرة).

٤- عرفت كيف تنتصر ولكن..

ومن الكلمات المأثورة التي ذهبت مثلا –عن هانيبال أيضًا– ما قاله مهربال Maharbal كبير قواده بعد واقعة «كان» وهي الواقعة التي انتصر فيها هانيبال على الجيش الروماني، وفيها شتت شمله، ولكنه لما لم يستفد من فرصة انتصاره بالزحف على روما رأسًا لاحتلالها وإخضاعها، قال له: (عرفت كيف تنتصر ولكن لم تعرف كيف تستغل هذا النصر) فذهبت مثلًا، والمعنى ظاهر.

٥ - ما هي قرطاجة:

وعلى ذكر هانيبال وقرطاجة نقول إن قرطاجة هذه هي مسقط رأس هانيبال، ولد فيها في خلال سنة ٢٤٨ قبل ميلاد المسيح، وهي واقعة على مسافة أربعة أميال من مدينة تونس الحالية، وكانت دولة قرطاجة في الزمن الغابر ذات شوكة وحول وطول وسلطان[١١٦] لدرجة إنها أعلنت الحرب على الامبراطورية الرومانية التي كانت أعظم امبراطورية في ذلك الزمان، وقد قهر هانيبال الجيوش الرومانية في مواقع عدة أهمها موقعة «كان».

ومدينة قرطاجة مشهورة أيضًا بموت لويس التاسع ملك فرنسا، إذ مات فيها بالطاعون في خلال سنة ١١٧٠ ميلادية، وفي سنة ١٨٤١

[١١٦] وكان من مستعمراتها جزيرة مالطة وجزيرة سردينيا وجزيرة كورسيكا وجزيرة صقلية وجزائر ماديرا وجزائر كاناريا وبعض شواطيء اسبانيا، وكان لها أسطول ضخم نحسب له الدول ألف حساب، كما كان لها جيش عرمرم انخرط في سلكه كثير من اليونانيين والفرنساوين والفينيقيين، كما جند فيه آلاف من الأرقاء.

طلب لويس فيليب ملك فرنسا من الأمير أحمد بك حاكم تونس أن يتنازل له عن قطعة الأرض التي مات فيها لويس التاسع ليبنى عليها كنيسة تخليدًا لذكراه، فقبل الأمير وتم بالفعل بناء الكنيسة على ربوة برسا في نفس المكان الذي مات فيه لويس التاسع، ولا تزال الكنيسة قائمة فيها حتى الآن، وتسمى الربوة الآن ربوة القديس لويس، وهي تشرف على البحر وتعلوه بثلاث وستين قدمًا.

ولويس التاسع هذا هو الذي هزمه المصريون في منية أبي عبد الله غربي فارسكور، ووقع أسيرًا في يد الملك المعظم توران شاه الأيوبي في خلال سنة ١٢٥٠ ميلادية، وسجن في المنصورة وبقي في السجن شهرًا كاملًا من ٧ ابريل إلى ٧ مايو سنة ١٢٥٠. بعد أن دفع ٢٨٠. ٠٠٠ جنيه فداء عن نفسه وعن اخوته وعن ضباطه الذين وقعوا في الأسر، وكل من قصد مدينة المنصورة زار دار القاضي فخر الدين بن لقمان التي قيل إنها كانت سجنا للملك فرنسا لويس التاسع.

٦- قرطاجة وقرطاجنة:

وبعض الكتاب يخلط بين (قرطاجة **Carthage**) و (قرطاجنة **Carthagéne**, **Cartagena**) فقرطاجة مسقط رأس هانيبال كائنة في تونس كما أسلفنا، ولما خربها الرومان نقلوا ما كان فيها من تحف وآثار إلى روما كما نقلوا المرمر الذي بقي من آثارها إلى مدينة بيزا **Pise** وبنوا به كاتدرائيتها المشهورة. أما قرطاجنة **Cartagena** فثغر من ثغور سانبا يشرف على البحر الأبيض المتوسط أسسه اسدروبال **Asdrubal** (أبو

هانيبال) وسماه قرطاجنة أي (القرية الحديثة) ويقال إن (قرطا) وهي الجزء الأول من كملة (قرطاجنة) مشتق من كلمة (قرية) والجزء الاخير (جنه) معناه باليونانية (الجديدة) وكانت قرطاجنة إمارة في أيام العرب في العصر الأندلسي الذهبي.

٧- أين مات هانيبال:

الحديث ذو شجون فعلى ذكر هانيبال وغزواته نقول إن هذا الرجل الذي دوخ الامبراطورية الرومانية ووصل في غزواته إلى قلب إيطاليا مات منتحرًا شريدًا طريدًا يائسًا بائسًا بعيدًا عن أهله ووطنه. قل من يعرف أين مات هذا البطل المغوار الذي جعله المؤرخون في مصاف اسكندر الأكبر ويوليوس قيصر. وكان نابليون يعجب به إعجابا كبيرا. مات هذا البطل في بلدة (كيزة) وتنطق (جيزة) وهي بلدة واقعة على ضفة البوسفور الاسيوية، على مقربة من أزميد ومن قاضي كوى ومن حيدر باشا ومن اسكودار بجوار سهل اسمه «طاوجان دل» ومعناه «لسان الأرنب».

وبعد أن انكسر هانيبال في واقعة «زاما» هاجر من بلاده وسافر إلى سوريا حيث آواه أنطيوكس **Antiochus** ملك سوريا. ولكن أنطيوكس انقلب عليه وطرده. فسافر إلى جزيرة كريت ومنها رحل إلى أرمينيا، وفي أثناء مقامه فيها دعاه بروز ياس **Prusias** ملاك بتيني **Bithynie** (وهي الآن مجموعة سنجق بروسه وإيالة قسطمونى وإيالة خدواندكار في الشمال الغربي من آسيا الصغرى) ليستعين بخبرته في الحرب التي دارت بينه وبين أومين **Eumine** ملك برجام (آسيا الصغرى). لبي هانيبال

دعوته وتولى قيادة جيشه وانتصر على ملك برجام انتصارا دوت له أرجاء الامبراطورية الرومانية. خشيت روما من بزوغ نجمه بعد أفوله، فأوفدت أحد رجالها ليقتله، عرف هانيبال أن الرومان يأتمرون به ليقتلوه، فعمل في داره سبعة مخارج ليهرب منها إذا ما طوق الجند داره. وصل رسول روما واسه فلامنيوس **Plaminius** إلى دار هانيبال وضرب عليها حصار، ولما هم الجند بالقبض عليه ووجدهو المنافذ السبعة محوطة بالجند لم ير سبيلًا للخلاص –من الأسر ثم العذاب ثم القتل– سوى الانتحار، فتناول سمًا زعافًا كان يحمله وجرعه ومات. وبموته انتهت حياة هذا البطل الذي سماه مونتسكيو **Montesquieu** فيلسوف فرنسا الشهير (المارد الجبار في الزمان القديم).

وفي عهد السلطان سليمان القانوني شيد وزيره مصطفى باشا مسجدا في نفس المكان الذي دفن فيه هانيبال.

ماركوني "Marconi"

انعقد المؤتمر الدول للمواصلات السلكية واللاسلكية في مصر واشتركت فيه ٧٤ أمة وأكثر من ١٠٠ هيئة مثلها ٧٠٠ عضو واستمرت جلساته طوال شهر فبراير ومارس سنة ١٩٣٨.

دل اشتراك هذا العدد الكبير على ما للمواصلات السلكية واللاسلكية من الأهمية في شؤون العالم بأسره. واختيار مصر لعقد المؤتمر الدولى بقبول ٧٤ أمة وأكثر من ١٠٠ هيئة له مغزى سياسى وعلمي وأدبي كبير.

ولعل أعظم شخص كان له أعظم فضل على المواصلات السلكية واللاسلكية إنما هو العلامة ماركوني الذي اهتز العالم لنبأ موته (في ٢٠ يوليه سنة ١٩٣٧) هزة عنيفة حدت بالملوك ورؤساء الجمهوريات وبأساطين رجال السياسة والعلم والأدب في أرجاء العالمين القديم والجديد أن يظهروا أسفهم وحزنهم على وفاة هذا الرجل الكبير الذي خدم العالم خدمات تمتع الخلق بها ٤٠ سنة وسيقي يتمتع بها أبد الآبدين ودهر الداهرين[١١٧].

---

(١١٧) روت مجلة الفصول في عدد اكتوبر سنة ١٩٤٦ صفحة ٧٠ "أن سيدة من أفراد أسرة ماركوني حينما رأته وليدًا قالت «ما اكبر أذنيه» فردت عليها أمه –وهي ارلندية وكانت تقوية تحب الموسيقى– «آن هاتين الأذنين هما اللتان ستجعلانه يستقبل أدق الاصوات التي يحملها الهواء».فكانت نبوءة.

حسبك أن تعرف أن ماركوني ولد في ٢٠ ابريل سنة ١٨٧٤ ولما بلغ سن العشرين درس التموجات الكهربائية على أساس اكتشافات العالم هرتز وإنه اكتشف المواصلات اللاسلكية وتغلب على جميع المصاعب التي واجهت اختراعه وكان أهمها قيام الجبال الباسقة وكروية الأرض وأشعة الشمس وكهرباء الجو ومحاورة المحطات اللاسلكية بعضها البعض وغير ذلك من المصاعب التي كانت تقوم في سبيله. وفي سنة ١٩٠٩ استعمل اللاسلكي لأول مرة في انقاذ باخرتين. وفي سنة ١٩١٢ أمكن انقاذ ركاب الباخرة تيتانيك. وهو أول من أوصل انجلترا باستراليا باللاسلكي. وفي سنة ١٩٣٣ طاف حول الأرض على يخته «اليكترا» الذي جعله مستودعًا لعدده ومنه خرجت معظم الاكتشافات المدهشة واخترق المحيط الأطلانطيقي بيخته هذا ٨٧ مرة. وعندما وافته منيته كان يدرس الموجات الكهربائية الخاصة برؤية المتكلمين بالتليفون بعضهم لبعض.

أليست الفرصة سانحة لتظهر مصر تقديرها للعلم وللعالم ماركوني فتقرر تسمية أحد شوارع مصر باسم ماركوني لتعرف دول أوروبا وغير أوروبا أن مصر كما قال الخديو اسماعيل بحق أصبحت جزءًا من أوروبا، وإنها تقدر العل لذاته، وتقدر العلماء للخدمات العظيمة التي يؤدونها للانسانية وأن وطن العلم انا البلد الذي يقدر العلم ويكرم رجال العلم[١١٨].

---

[١١٨] لما بدا نجاح ماركوني في اختراع التلغراف الاساسي قررت الحكومة الاتحايزية منحه امتياز أنشأء هذا التلغراف وسرعان ما تعاون معه رجال الاعمال الاعجايز وأسسوا هو «شركة التلغرافات

وإن صح لنا أن نختار فنختار شارع «البنك الوطني» الذي فيه عمارة تلغراف ماركوني ومحطة الإذاعة ولا سيما أن شارع البنك الوطني اسم على غير مسمى لأن البنك اسمه البنك الأهلى لا البنك الوطني، فاذا أسميناه «شارع ماركوني» كان المسمى جديرًا بالاسم العظيم الذي يسمى به.

والإشارات اللاسلكية» برأس مال مقداره ١٠٠,٠٠٠ جنيه والله يعلم كم بلغ رأس مال هذه الشركة اليوم وكم جنت الشركة من الأرباح.

سابقة تاريخية

كتب حضرة الأستاذ السيد شفيق جبري في العدد الأخير من مجلة الثقافة كلمة تحت عنوان: «العبرة بالساعد لا بالسيف» روي فيها عن العتبي: (أن عمر ابن الخطاب كتب إلى عمرو بن معد يكرب أن يبعث إليه بسيفه المعروف بالصمصامة فبعث به إليه فلما ضرب به وجده دون ما كان يبلغه عنه فكتب إليه في ذلك فرد عليه إنما بعثت إلى أمير المؤمنين بالسيف ولم أبعث إليه بالساعد الذي يضرب به).

وقديمًا قالوا «درة عمر أهيب من سيف الحجاج» وذلك لأن عصا عمر كان معها يد عمر ونفس عمر.

وما في تاريخ العرب له سابقة في تاريخ آل عثمان ذلك إنه:

في القرن الخامس عشر وفي زمن السلطان محمد الثاني المشهور بالفاتح (سمي بالفاتح لإنه هو الذي فتح القسطنطينية في سنة ١٤٥٣ وتقل إليها مقر السلطنة). اشتهر اسكندر بك البطل المغوار المشهور بشدة بأسه وقوة عضلاته وبالجرأة والشجاعة وكان الأرناؤود والترك يضربون به المثل في البطولة والاقدام ويشبهونه بهرقل البطل المغوار المشهور. وكثيرًا ما التحمت الحرب بين الترك والأرناؤود فكان اسكندر بك يسير برجاله الأرناؤود ويقاتل الترك ويبطش بهم ويقال إنه نازلهم في عشرين موقعة أو تزيد: وكان لاسكندر بك سيف مشهور ضرب به

يعقوب باشا أحد قواد الترك فشطر جسمه شطرين. وضرب به حيدر باشا فشق جسمه وتركه .. وقبلها قد كان وترًا. ولما تهادن الترك والأرناؤود اتصل بالسلطان محمد الثاني خبر هذا السيف فطلب من اسكندر بك أن يهديه إليه فأرسل إليه. ولما أراد السلطان اختباره رآه سيفًا عاديًا ولم يجد فيه شيئًا خارقًا للعادة فرده إلى صاحبه. ولما وصل رسول سلطان إلى اسكندر بك رد إليه السيف وقال إن السلطان وجده دون ما كان يبلغه عنه. فاندهش اسكندر بك وقال للرسول أخبر مولاك: (أن السر ليس في السيف وإنما السر في الساعد؟[١١٩]) أليس ما حصل بين السلطان محمد واسكندر بك صورة طبق الأصل لما حصل لعمر بن الخطاب مع عمرو بن معد يكرب.

---

[١١٩] وما أبدع ما قاله – لامارتين، شاعر فرنسا الأشهر

"La force de son bras égalait l'intrépidité de son âme.Les Albanais et les Turcs le comparaient à Hercule et à Persée.Son arme habituelle, dont il avait appris le maniement dans les combats corps à corps contre les chevaliers persans, pendant qu'il servait dans le camp des Tures était le sabre recourbé de Damas.La lame du sien dépassait les proportions ordinaires.Ce sabre était devenu si célèbre depuis qu'il avait fendu en deux, devant Croia, le corps de Yacoub-Pacha et de Haider Pacha, neveu de Balaban, que Mahomet II le fit demander en present par ses négociateurs pendant la trêve.

Scander Beg envoya l'arme merveilleuse au sultan.Mahomet, Tayant fait éprouver devant lui par ses plus robustes guerriers sur des cuirasses et des brassards, ne vit rien de miraculeux dans cette arme ،la renvoya à Seander-Beg.

*Le miracle n'est pas dans la lame "،dit Scander-Beg à celui qui la lui rapportait, il est dans le bras. "Lamartine.Tome 3, page 343.

في المرآة "بعض كبار المحامين"

إبراهيم الهلباوي بك:

كانوا أربعة نشأوا في زمن الجاهلية جاهلية المحاماة. ثم آمنوا بالقانون وبالمحاماة وبالقضاء. جهدوا وجاهدوا وتجاهدوا إلى أن تحرك لهم الحظ فتبوؤا مكانة قل أن يتبوأ غيرهم مثلها. فكان مثلهم كمثل الخلفاء الراشدين الأربعة إذ كانوا في زمن الجاهلية ما كانوا ثم كانوا بعد ما آمنوا بالاسلام وبالقرآن ما كانوا. أليس الجهاد والمحاماة سواء؟. الجهاد هو القتال محاماة عن دين الحق. والمحاماة كفاح عن فضيلة الحق.

كان الهلباوي بك من مخضرمى عهدي المحاماة العهد القديم والعهد الحديث. وقد شغلت السياسة والمحاماة حياته الطويلة العريضة. اكتوى بالسياسة وبأفانينها وبألاعيبها فذاق من أمرها الحلو والمر. الحلو قليلا والمر كثيرة. إلا إنه كان قوى الإيمان بنفسه وبمبادئه فلم تعمل فيه الأسنة فضلا عن الأسنان.

ومن مميزاته إنه كان مزاحًا. كثير الميل للفكاهة. إذا ما دخل غرفة المحامين أحاط به زملاؤه وكانوا كالهالة حوله. يستطيبون نوادره ودعاباته. إذ كان إمامًا في غريب الأخبار وفي غريب الملاح التاريخية لإنه كان وافر المحصول منها.

وقد امتازت حياته بميزة غريبة. كان إذا ما أراد أن يستثير عواطف القضاة وحوح ويولول ويبكي. وقد يبكي بعد ما يضحك ويضحك بعد ما يبكي. وهذه ميزة لا أعرف محاميًا امتاز بها سوى محام في فرنسا وصفه أحد زملائه عندما أبنه فقال: –

"**Il a le don de s'attendrir à point**. **Il s'égaie et pleure en même temps**".

ومن القضايا المشهورة التي اشترك فيها هلباوي بك قضية دنشواى المعروفة وكان فيها المدعي العمولى. وقضية سرقة التلغرافات. وقضية اغتيال بطرس باشا غالي.

تعلم اللغات الأجنبية على كبر. فكان مثله كثل زعيم مصر سعد زغلول. ومثل الإمام محمد عبده. ومثل السيد جمال الدين الأفغاني. ومثل مصطفى عبد الرازق باشا. ومثل محمد علي باشا الكبير. ومثل مدحت باشا الصدر الأعظم. ومثل عصمت اينونو رئيس جمهورية تركيا. ومثل نابليون. فإنهم جميعًا تعلموا اللغات الأجنبية على كبر. وهذا دليل آخر على قوة حيويته وقوة إرادته وطول جلده وصبره واناته.

بقي يكافح وينافح في السياسة وفي المحاماة إلى أن هرم وناهز الثمانين. كل شيء فيه هرم إلا لسانه.. فرحمه الله رحمة واسعة.

أحمد بك الحسيني:

هو ثاني المخضرمين. كان هو وهلباوى بك فرسا رهان ورضيعا لبان في فنون البيان. بدأ حياته هو أيضًا عندما كانت المحاماة قريبة العهد بالمهد. كان عين وقته وزمانه.

أهم مميزاته سمو أخلاقه وصدق كلامه وعفة لسإنه. عرف بالانصاف فيما يقول وفيما يكتب. إذا ترافع كان رصين القول حلو المنطق عف اللسان جزل العبارة عذب اللفظ. يقرع الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان. لذا كان زملاؤه يحبونه ويحلونه والقضاة يحترمونه ويهابونه. إذا أكد أمر قام خلقه قرينة على صحة ما يؤكده . . لأن إخوإنه – قضاة وغير قضاة – اعتادوا منه الصدق، في الرواية والبعد عن التلفيق والتزويق والتلزيق. لا يداهن ولا يحابي في آرائه. وهذه الميزة عبر عنها أحد كبار المحامين في فرنسا بقوله – وما أبلغ وما أصدق ما قال:

"**La vertu de l'avocat fait la conviction du juge**".

نفسه خضراء.. يده سخية.. مروءته عالية.. ينظر بعين عقله ما لا ينظره بعين رأسه.

كان بيته مثابة للعلماء والفقهاء والعظاء. أروي لك حادثة حدثت لي معه منها تعرف مقدار مروءته ومقدار رجولته ومقدار مكانته ومقدار ثقة الناس به:

في سنة ١٨٩٩ – ١٩٠٠ كتبت في جريدة المقطم مقالتين «حديث عن الوقف» شرحت فيهما مضار نظام الوقف وبحثت في مشروعيته وعدم مشروعيته. وقلت إن الحاكم يملك تعديله وتقييده. لأن

اطراد وقف الأطيان والأعيان ضار مستقبل البلاد الاقتصادي[١٢٠] ثم عطفت على سلطة قاضي مصر وخطر انفراده بالحكم وحده في مسائل الأوقاف في مصر بأسرها. وطلبت تقييد سلطته ثم اقترحت أنشاء مجلس شرعى يكون تحت رئاسته ينظر في مسائل الأوقاف ولا سيما المنازعات الخاصة بالنظر على الأوقاف[١٢١]. وبعد بضعة أيام وردت لى مكاتبة من قاضى مصر يحيلنى بها على مجلس التأديب بوصف كوني محاميا شرعيا. فلم أعبأ بكتابه ولم أحضر. فانعقد مجلس التأديب وقرر شطب اسمي من الجدول. فدهشت وترجمت المقالتين باللغة الفرنسية وأرسلتهما مع شكوى إلى نظارة الحقانية. فاهتمت النظارة بالشكوى وطلبت من قاضي مصر أن يرسل إليها ملف المادة. عند ذلك اضطرب القاضي ودار بينه وبين نائبه وسائر القضاة مشادة عنيفة. فتطوع أحد العلماء أن يوسط وسيطا التفاهم معي ووقع اختيارهم على أحمد بك الحسيني لإنهم كانوا يجلونه ويحترمونه ويثقون به. فدعاني الحسيني بك إلى تناول الإفطار معه (وكان ذلك في شهر رمضان) وعندما ذهبت إليه في منزله بالجمالية (ميدان بيت القاضي) وجدت عنده مشايخ كثيرين. فلما رآني انفرد بي في غرفة ورجاني أن أتنازل عن الشكوى وتعهد بأن يصلح ذات البين. فلقتي به ثقة تامة ذهبت في اليوم التإلى إلى نظارة

---

[١٢٠] وبعد ٢٠ سنة تحرك الرأي العام ونادى بوجوب تعديل نظام الوقف وتغيير حكامه وشروطه.وبعد ٤٦ سنة صدر القانون رقم ٤٨ لسنة ١٩٤٦ معدلًا نظام الوقف مغيرًا شروطه وأحكامه.

ومن الغريب أن بعض الاشخاص نسبوا إلى أنفسهم إنهم هم أول من فكر في طلب تعديل نظام الوقف وتغيير شروطه وأحكامه.. فتأمل

[١٢١] وقد عملت الحكومة بهذا الرأي وجعات مسائل النظر من اختصاص مجلس شرعى.

الحقانية وقابلت المرحوم عبد الخالق بك ثروت –وكان وقتئذ سكرتير المستشار القضائي– وأخبرته بأني أريد التنازل عن الشكوى. وما كاد المستشار يسمع بأمر التنازل حتى طار طائره من الغيظ. لإنه أراد أن يتخذ من الشكوى ترأة للهيمنة على أعمال المحكمة الشرعية وطلب من ثروت بك أن يقنعني بالعدول عن التنازل. إلا أني برا بوعدى المرحوم أحمد بك الحسيني رفضت وتنازلت. وبعد بضعة أيام حضر عندي المرحوم حسن بك صبرى (وكان وقتئذ يشتغل في مكتب الحسيني بك) وطلب مني الذهاب معه إلى المحكمة الشرعية لعمل معارضة في الحكم وبالفعل توجهت معه وعملت المعارضة. قانعقد المجلس وترافع حسن بك مرافعة وجيزة أثبت فيها حسن نيتي وصحة أبحاثي والمجلس اقتنع وأصدر حكمه بالبراءة.

خليل به إبراهيم:

ثالث المخضرمين[١٢٢] بدأ حياته في المحاماة بالعدم neant juridique كما بدأها زميلاه. أخذ القانون كما أخذه زميلاه من أهله بالسماع وبالمشافهة وبالاجتهاد وبالاستعانة بمن درس القانون وألم باللغة الفرنساوية. يستتبع مثلهما نمطًا خاصًا في التفكير يسود فيه تقديس المران والنقل أكثر من تقديس العلم والعقل، وكان صوته وحركاته وسكناته معظم رأس ماله، وكان لا يتقيد في مرافعاته بالاعراب أسوة بزميليه المخضرمين بل كان يسترسل بالعامية وكما يتفق.

يختلف عن زميليه بإنه كان منقشها في مأكله وفي ملبسه.

ولما واتاه الحظ وطار صيته أقبل عليه الأمراء والعظاء يوكلونه في قضاياهم. فترافع في قضايا شهيرة مثل قضية السلحدار. وقضية الرقيق عن (علي باشا شريف). وقضية الأمير سيف الدين. وقضايا الأمراء والأميرات حليم باشا وقد لبث عشرين سنة وكيلًا ومستشارًا لهم. كما ترافع في قضية عبد الشهيد قزمان. وأذكر أني كنت معه في أسيوط عندما ترافع في قضية قزمان وكان منهما بتزيف نقود وحضر الجلسة هارفي باشا حكمدار مصر ومعه جبران بك مسكات رئيس قلم المباحث

---

[١٢٢] أما رابع المخضرمين فكان نقولا بك توما، حياة الهلباوى كانت طويلة أكثر منها عريضة.والحسيني كانت حياته عريضة أكثر منها طويلة.وخليل بك إبراهيم كانت حياته طويلة وعريضة.ونقولا بك توما كانت حياته لا طويلة ولا عريضة.كان دعاء الرئيس ابن سينا "اللهم لا أسألك حياة طويلة ولكن أسألك حياة عريضة ..."

السرية ومعهما بعض المخبرين السريين. وكانت قاعة الجلسة خاصة بالمحامين وبكبراء الرجال في أسيوط.

كانت مرافعة خليل بك عن المتهمين آية من آيات البلاغة. حملت هيئة المحكمة -وكانت برئاسة المرحوم راغب بك بدر- على وقف الجلسة ودعته في غرفة المداولة وهنأته على مرافعته. وعندما عاد إلى غرفة الجلسة قام المتهم وقال له «إن مرافعتك خففت عني ألم الوقوف متهما في جناية أمام المحكمة. ولو كنت لم أتهم لتمنيت أن أقف هذا الموقف لأسمع مرافعة مثل مرافعتك التي أعدها قلادة في عنقي».

إسماعيل بن عاصم:

مخضرم ولكنه لسان وحنجرة وروب (وبس). قصير القامة. سماه إخوإنه (البيدق) لقصره. ولكن لسانه كان أطول من قامته. أديب له في كل فرع من فروع الأدب ساق وقدم. عقله مطعم بتاريخ العرب. تجد في مرافعاته طلاقة لسان وتدفق بيان وثبات جنان. حياته كلها تدور بين الأمل والالم. بين الحبيبة والرجاء. العناصر التي دخلت في تكوينه وفي تلوينه عناصر غريبة ولا سيما بعد ما صار شيخا هيا يجر وراءه السنين. أذكر لك بعض حوادث تتجلى لك منها هويته:

١ – أرسل المرحوم نقولا بك توما إلى إسماعيل بك عاصم تذكرة لحضور حفلة جمعية خيرية مسيحية فردها اسماعيل بك عاصم بكلمة قال فيها (هذا حرام في ديننا). وبعد سنة أرسل اسماعيل بك عاصم إلى نقولا بك تذكرة لحضور حفلة لجمعية خيرية إسلامية فتقبلها منه نقولا

بك بكلمة قال فيها (هذا حلال في آدابنا) فخجل اسماعيل بك.

٢- نظم اسماعيل بك قصيدة عصماء يهنيء فيها الملكة فكتوريا ويمدحها. ثم طلب من لورد كرومر أن يمهد له سبيل مقابلة الملكة فكتوريا في الندرة ليلقي القصيدة بين يديها. فهد له السبيل وسافر اسماعيل بك إلى لندره برًا وبحرًا إلى أن وصل إلى لندرة وألقى قصيدته باللغة العربية على الملكة فكتوريا التي لا تعرف من اللغة العربية شيئا ثم عاد مسرعا إلى مصر بدون أن يتوقف في رحلته في أي بلد من بلاد فرنسا. ولما عاد لم ينل ما كان، يصبو إليه. فكان مثله مثل النعامة التي ذهبت تطلب قرنين فعادت بلا أذنين.

٣ - ألف اسماعيل بك رواية سماها (هناء المحبين) مثلها هو وابنه المرحوم علي بك عاصم في دار الأوبرا شهدتها وقد أجاد التشخيص إجادة استرعت الأبصار فجمع بين الفقه والقانون والنظم والتمثيل.

٤ - شهدت حفلة أقامتها جمعية سياسية أدبية اسمها «الاعتدال» في قاعة الأمريكان (أمام فندق شبرد) وقد خطب فيها اسماعيل بك عاصم خطبة رنانة جمعت بين الجد والفكاهة. ومن ضمن ما قال فيها على سبيل الفكاهة إن شبان مصر ينفقون العشرات والمئات في فتح زجاجات «الشمبانيا» للتسلية والعربدة ولم يفتح واحد منهم زجاجة «حبر» لنشر العلم والأدب.

أحمد بك لطفي:

شهدت جلسة محاكمة الورداني الذي اغتال المرحوم بطرس باشا

غإلى وقد دافع عنه أحمد بك لطفي دفاعا أجمع رجال القضاء ورجال المحاماة على إنه كان آية في البلاغة. بلاغة تزينها نبل الغاية وقوة الحجة وسمو المعاني وعذوبة الألفاظ وذروبة اللسان.

كانت مرافعته من أروع المرافعات. كانت متعة للأذان والقلوب. هزت في الجمهور عاطفة الرأفة والحنان فشاركه مشاركة روحية في عاطفته وفي عقيدته. ومع أن الجريمة كانت جريمة سياسية تقتضي إطلاق العنان للسان الدفاع فان لسانه كان عفًا لإنه يعلم بإنه قد يدرك بعفة اللسان ما لا يدركه ببذاءة اللسان.

مهر أحمد لطفي في العلوم القانونية وفي العلوم الشرعية حتى كان أشبه شيء موسوعة حية متحركة. فكان إذا كتب أو ترافع تجد على كتابته أو على كلامه طابعا خاصا يدل على أن أضلاعه ملئت من القانون والفقه. له نظرات فاحصة تنزع الأبريز الخالص من الزيف والمهرج. لا سبحات فكرية ولا شطحات كلامية ولا تخريمات ولا تخريجات ولا تزيفات ولا تلزيقات. صقلته ثقافته الأورباوية فتأثر عامه كما تأثر أدبه بالحضارتين الشرقية والغربية. فتهدي بهديهما وتأدب با دابهما. كان نبيلًا في مقصده. أنيقًا في ملبسه لذيذًا في أحاديثه. يجمع بين محسنات المباني ومحسنات المعاني.

كان من المحامين الشهم الذين إذا طلب منهم فقير المرافعة بالمجان لا يتردد ولا يتأخر.

كان مستر بوند وكيل محكمة الاستئناف معجبا به. يحلو له حديثه

وتحلو له آراؤه. وإذا ما سافر أحمد إلى أوروبا كان يسمى مستر بوند لقائه وإذا ما ترافع أحمد أمام بوند كان بوند كله آذانا تسمع وعيونا تبصر وقلو با تعي. لإنه كان من يعتقدون أن ضعفاء العقول هم الذين يعرفون الحق بالرجال لا الرجال بالحق.

كان لطفي طموحًا يقول دائمًا لنا الصدر أو القبر. علا بطموحه إلى صدر النقابة. فانتخبه زملاؤه نقيبا مرتين مرة في سنة ١٩١٧ و مرة في سنة ١٩٢٥. كما بز في السياسة التي كانت له فيها اليد الطولى فانتخبه زملاؤه أعضاء الحزب الوطني وكيلا للحزب –في زمن رئاسة المرحوم فريد بك– تملكت السياسة أعصابه فبذل في سبيلها شطرة كبير من حياته يناضل عن عقيدته السياسية.

بقي يعمل في المحاماة وفي السياسة إلى أن أضناه جهده المتوالي. فاشتعل رأسه شيا واختلط فيه الخيط الأسود بالخيط الأبيض. إلا إنه بقي يكافح وينافح زمنا طويلا. لأن قوة روحه كانت أكبر من قوة جسمه. فرض مرضًا شديدًا أنزله القبر تشيعه عيون محبيه وقلوب زملائه.

محمود بك أبو النصر:

ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة. شهدوا عهدين وجمعوا بين الأصولين. أصول الدين وأصول الفقه.

له عقليتان: عقلية أزهرية تتأرجح بين التترخانة والعالمكيرية. وعقلية قانونية تتراوح بين الأوليات العقلية والأوليات القانونية.

عصامي لا عظامي. عصاميته من فصيلة خاصة Sui generis شادها على قوة إرادته وعلى حسن حظه. يصدق عليه اسم «بختيار». وبختيار اسم مركب من كلمتين «بخت» وهو الحظ و«يار» ومعناها صاحب أي «صاحب حظ».

من ثرى إلى سرى. أتاه المال بالهيل والهيامان. خاق به في جو السياسة والمحاماة.

***

هذا عرض سينمائي سريع لستة من الزملاء كان لهم ضلع في بعض القضايا المشهورة. معظمهم كانوا برزخا بين العهدين القديم والحديث، وكلهم تركوا لحلفائهم تراثا من العلم والعمل. واللغة والأدب. والفقه والقانون.

رحمهم الله رحمة واسعة ورضوان من الله أكبر . . .

ما هنا وما هنالك

ما هنالك

إذا أردت أن تعرف ما تعمله قوة العلم وقوة المال وقوة الإرادة. فاسمع واحكم:

في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٠٨ ضمت مملكة بلجيكا الصغيرة إلى أملاكها بلاد الكونجو الكبيرة. ومساحة بلاد الكونجو المستعمرة أكبر من مساحة بلجيكا المستعمرة ثمانين مرة. إن بلاد الكونجو على إتساعها كان يسكنها أقوام همج. وبلجيكا على صغرها يسكنها قوم لهم حضارة من الطراز الأول سمت بهم إلى مصاف أعظم دول العالم التي هي أعرق منها مدنية. وأغزر مالًا وأنفذ كلمة. وأعلى سلطانًا. وأوسع أرضًا وسماءً.

عند ما فكر ملك بلجيكا ليوبولد الثاني –جد الملك الحالي– في استعمار بلاد الكونجو، كانت هذه البلاد غير معروفة وكان العلماء يسمونها «مجاهل افريقيا» لإنها واقعة في قلب افريقيا. وكان الرحالة الأفرنج يسمعون بها ولا يعرفونها. فلما ملكها اليوبولد الثاني ملك بلجيكا لنفسه خاصة وأنفق عليها كل ثروته – من مخصصات ومجوهرات ومدخرات– أهداها في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٠٨ إلى بني وطنه. وكانت تقدر وقتئذ بثمانين مليونًا من الجنيهات ذهبًا وهاجًا.

ولاستعمار واستثمار بلاد الكونجو أنفقت الحكومة البلجيكية والشركات البلجيكية ٢٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه ذهبًا فأصبحت الآن جوهرة في تاج الملاك. وخطت خطوات واسعة في طريق العمران.

و إذا أردت الدليل بلغة الأرقام فها كه:

في البداية لم يكن في بلاد الكونجو مدرسة واحدة فأصبح فيها الآن ١٣,١٥٦ كتابًا. تعلم وتهذب وتثقف ٤٦١,٦٠٧ من الأطفال وفيها ٤,٧٠٠ مدرسة متوسطة تعلم وتهذب وتثقف ٢٨٠,٠٠٠ تلميذ. وفيها مدارس تجهيزية تعلم وتهذب وتثقف ٣٠٢١ تاميذ. وفيها مدارس كلية تعلم ٤,٤٧٧ تلميذًا، ومدارس صناعية تعلم وتدرب ٥٠٨٧ تلميذًا.

هذه هي المدارس الأميرية يضاف إليها مدارس أخرى كثيرة تديرها معاهد علمية وجمعيات خيرية أنشأت واحدة منها ٩٠٠ كتاب تعلم ٢٤٠,٠٠٠,٠٠٠ عامل و٣٠٠ مدرسة ابتدائية تعلم ٤٠,٠٠٠ تلميذ و٢٠ مدرسة للفنون والصنائع و٤٠ مدرسة ثانوية ومدارس أخرى كثيرة تخرج ممرضين وممرضات تضم ١,٤٠٠ طالب . . فما رأيك في هذه الجهود الجبارة وفي هذا الإصلاح العظيم؟ بعد أن كان الواحد من أهالي الكونجولا يميز بين التمرة والجمرة أصح منهم المهندس والطبيب والميكانيكي والشرطي والصيدلى وما إلى هذه المهن.

في بداية الاحتلال ما كان في بلاد الكونجو فدان واحد يزرع قطنا. ففي سنة ١٩٢٨ بلغت مساحة الأطيان التي زرعت قطنًا ٠٠٠ .٢٨٤

فـدان. قفـزت إلـى ٨١٠,٠٠٠ فـدان فـي سـنة ١٩٤٣. وزراعـة الأرز وثبـت مـن لا شـيء إلـى ٢٣٠,٠٠٠ فـدان. والغـلال مـن صـفر إلـى ٢٥٠,٠٠٠ فدان. والبن من العدم في سنة ١٩١٣ إلى ١٥٠,٠٠٠ فدان.

والكاكـاو مـن ١٠,٠٠٠ إلـى ٢٠,٠٠٠ وبعـد أن كانـت بـلاد الكونجولا تصـدر فـي سـنة ١٩١٣ شـيئًا مـن القطـن صـدرت فـي سـنة ١٩٤٣ نحو ٣٢٤,٠٠٠ قنطار. وبعد أن كانت تصدر طنًا واحدًا من البن في سنة ١٩١٣ صدرت ٢٠,٠٠٠ طن في سنة ١٩٤٣ والسكر زاد تصديره من ٩ أطنان في سنة ١٩١٨ إلى ١٢,٠٠٠ والجوز قفز من ٧,٢٠٠ فـي سـنة ١٩١٣ إلـى ٦٣,٠٠٠ والزيـت مـن ٢٠٠٠ إلـى ٩٦,٠٠٠٠ والـذرة مـن لا شـيء إلـى ١٢,٠٠٠ طـن والشـعر الـلازم للعمليات الجراحية من لا شيء إلى ١,٥٠٠,٠٠٠ قطعة، وهكذا.

أما المعادن فحدث عنها ولا حرج. فالذهب وصل المستخرج منه ٢٠,٠٠٠ كيلو جرام بعد أن كان سواء والعدم. والماس الصناعي صعد بعـد عشـر سـنوات مـن لا شـيء فـي سـنة ١٩١٣ إلـى ٢,٥٠٠,٠٠٠ قيراط، ثم قفز إلى ٠٠٠. ٥,٠٠٠، ثم وثب إلى ٧,٥٠٠,٠٠٠، إلى أن بلغ في سنة ١٩٤٣ ٠٠٠. ١٠,٠٠٠ والنحاس من لا شيء في سنة ١٩١١ صعد بعد عشر سنوات إلى ٥٠,٠٠٠ طن ثم إلى ١٠٠,٠٠٠ طن ووصل ١٥٠,٠٠٠ في سنة ١٩٤٣.

والقصدير لم يستخرج منه شيء في سنة ١٩١٥ فاستخرج منه ٥,٠٠٠ طن في سنة ١٩٢٥ ثم زاد تدريجيًا إلى أن بلغ ١٠,٠٠٠ في سنة ١٩٣٠ و١٥,٠٠٠ في سنة ١٩٣٥ وهو الآن ٢٠,٠٠٠ طن، فماذا تقول في هذا التقدم السريع الرائع؟

هذا عدا ما استخرج من المعادن الأخرى والمواد الأولية مثل السكر والراديوم والصمغ والكينا والكاوتش والغلال والأخشاب والكاكاو، وعدا تربية المواشي وغيرها وغيرها، وعدا المصانع التي تشتغل بالغزل والنسيج، وكل هذا لم يكن شيئًا مذكورًا.

ولتسهيل المواصلات مدت الحكومة البلجيكية سكك حديدية طولها ٥,٠٠٠ كيلو متر بلغت نفقاتها ٥٠ مليونًا من الجنيهات، فكانت في جسم بلاد الكونجو الشرايين في جسم الانسان. وبنت قناطر وجسور وطرق. وحفرت وطهرت ونظمت الترع على مدى ١,١٠٠ كيلو متر.

والطرق الزراعية كانت في أول عهد الاستعمار لا تذكر فبلغ طولها ٣,١٥٠ كيلو مترًا في سنة ١٩١٨، وهي الآن ٨٣,٠٠٠ كيلو متر.

والطيارات تقطع سنويًا ملايين الكيلو مترات، فطائرات شركة سابينا وحدها قطعت في خلال هذه الحرب ٢,٦٠٠,٠٠٠ كيلو متر منها ٢,٠٠٠,٠٠٠ كيلو متر في الأعمال الحربية، وبلغ مجموع ما قطعته طائرات الكونجو كلها ٤,٥٠٠,٠٠٠ هر كيلو متر.

وأصبح للكونجو أسطول جوي وأسطول نهري لخدمة الأغراض السياسية والحربية والتجارية والصناعية.

وعنيت حكومة الكونجو بالصحة العامة، فشيدت مستشفيات ومصحات وصدليات ومدارس للممرضين والممرضات. كما أنشأت معامل كيماوية لصنع جميع أنواع المصل الواقي من الأمراض. وتدل الاحصاءات الرسمية على أن ٥,٠٠٠ ٠٠٠. من الأهالي عولجوا في عيادات خارجية.

ومستشفيات الحكومة وحدها تعالج مليون شخص كل سنة. وقد بلغ عدد الذين دخلوا مستشفياتها في السنة الماضية ١,٠٠٠,٠٠٠ وبهذه العناية الفائقة تلاشت بعض الأمراض، وقلت الوفيات، وزاد عدد السكان بتحسن الأحوال الصحية.

وساهمت الملكة بنصيب كبير في تكاليف هذه المنشئات. كما ساهمت المعاهد العلمية والجمعيات الخيرية وبعض جامعات بلجيكا في الإعانات التي لزمت.

ولنشر لواء الأمن والعدالة، أنشأوا دورة للمحاكم ودورة للسجون، ومراكز للبوليس ومكاتب البريد والتليفون والتلغراف السلكي واللاسلكي، وما كان شيء من هذا معروفًا من قبل.

وضمنوا للناس حرية الأديان والحرية الشخصية وحرية المعاملات وحرمة المساكن وحرمة الملكية. وبهذا انقطع دابر النخاسين وقطاع

الطرق. وقل المجرمون والمتشردون والعاطلون.

وكان من نتائج هذا العمران الباهر أن أقبل السياح على زيارة هذه البلاد – على بعد الشقة وعناء المشقة – ينفقون فيها عن سعة. وكان التجوال فيها من قبل دونه شيب الغراب.

هذا قليل من كثير. والقليل دليل على الكثير.

هذا ما عملته بلجيكا الصغيرة. أنفقت ٢٠٠ مليون جنيه لتمدين أمم وشعوب وقبائل خيم عليها الجهل آلاف السنين ولتعمير بلاد تزيد ٨٠ مرة على مساحتها. فالله أكبر.

ما هنا

قارن بين ما عملته بلجيكا الصغيرة (هنالك) وما عملته مصر الكبيرة (هنا) تدرك الفرق بين جهودهم وجودنا. يصرفون أوقاتهم وجهودهم في العمل والأنشأء وفيما يفيد. ونصرفه نحن في منازعات على الزعامة والرياسة والمناصب والمراكز وعلى السعي لرفع الدرجات والمرتبات وتحسين المعاشات وفي جمع أكبر عدد من الوظائف القبض أكبر عدد من الماهيات والمرتبات.. فحسبنا الله.

ناحية "من تاريخ مدينة القاهرة"

أمامي حجة شرعية قديمة يرجع عهد تحريرها إلى سنة ١٢٩٥ من الهجرة أي إنه مضى على تحريرها ١٨ سنة. استوقف نظرى فيها بعض خصوصيات كانت عادية في ذلك الزمان ويراها الانسان غريبة في هذا الزمان.

– كان اسماعيل باشا خديو مصر في ذلك الزمان، وقد وصف في الحجة هكذا: (سعادة صاحب السعادة والإقبال المتوج بتاج العز والمهابة والإجلال مولانا الخديوى المعظم اسماعيل باشا خديو مصر حالا دامت سعادته وتوالت مسرته آمين . . .).

– وكان قاضي مصر هو السيد عبد الرحمن نافذ. وقد وصف في الحجة هكذا: (حضرة سيدنا ومولانا نور السادة الموالي العظام قاضي قضاة الإسلام الناظر في الأحكام الشرعية يومئذ بمصر المحمية الموقع خطه الكريم أعلاه دام علاه آمين . . .).

ومن شجون الحديث أقول: أن السيد عبد الرحمن نافذ هذا لعب دورًا مهمًا في تاريخ القضاء الشرعي في مصر ولا سيما في علاقة تركيا مصر. ذلك أن سلاطين آل عثمان كانوا يولون على الديار المصرية قاضيا يختارونه من قضاة الاستانة. وكانت توليته لمدة سنة واحدة فقط. إلا أن السيد عبد الرحمن نافذ اكتسب في مدة ولايته على قضاء مصر المحروسة ثقة اسماعيل باشا. فبعد ما انقضت مدة ولايته استبقاه اسماعيل باشا في مصر بمحض إرادته. وفي أول محرم سنة ١٢٩٣ عقد اسماعيل باشا المجلس الخصوصي وعرض عليه أمر ولاية القضاء الشرعي في مصر فقر رأي المجلس على أن يكون قاضى مصر موظفا تابعا للحكومة المصرية. وأن يكون تعيينه لمدة خمس سنوات قابلة للتجديد خمس سنوات أخرى. وفي ٣ محرم سنة ١٢٩٣ جمعت نظارة الحقانية جمعية من أكابر علماء مصر لاختيار قاضي مصر فاختاروا

السيد عبد الرحمن نافذ أفندي نفسه. وفي الحال أصدر اسماعيل باشا أمر بتعيينه قاضيا على مصر وقال إنه عينه (بما له من الولاية العامة على القضاء الشرعي في القطر المصري) ولم يعترض السلطان. ومن ذلك العهد تلاشت الهيمنة التي كانت للاستانة على مصر في اختيار وتعيين قاضي مصر. وقد تولى السيد عبد الرحمن نافذ قضاء مصر خمس عشرة سنة متوالية.

- كانت الحجج تحرر (بالمجلس المنعقد بديوان محافظة مصر). لا في دار المحكمة الشرعية.

- وكان محافظ مصر هو: (سعادة الأمير حسن حلمى باشا دام مجده . . .). وكلمة «أمير» هنا مستعملة بمعناها اللغوي . .

- وكان وكيل محافظة مصر هو: (حضرة محمود فهمي بك وكيل ديوان محافظة مصر حالا) وهو الذي صار فيما بعد سعادة محمود باشا فهمي وكيل دائرة الوالدة.

- وكان أحد شاهدى العقد (سامي بك مأمور قلم الرقيق بديوان المحافظة) فالمحافظة كان فيها إذن قلم الرقيق. والشاهد الآخر (المكرم محمد افندى شكرى الحكيم بالقصر العيني) وهو الذي صار فيما بعد الدكتور محمد شكري باشا المدرس مدرسة الطب بالقصر العينى (وهو صاحب وقف فندق وندسور بالاس بالاسكندرية).

- وكان المشتري في الحجة هو: (سعادة الجناب العالي والكوكب

المتلإلى حائز رتب المفاخر والمعالي الأمير محمد زكي باشا ناظر خاصة سعادة مولانا الخديوي المعظم) – وزكي باشا هذا هو خال المغفور له مصطفى باشا فهمي رئيس مجلس النظار شقيق والدته المغفور لها جلسن هانم. وجلسن هانم هذه كانت زوجة المرحوم البكباشي حسين بك أحد الضباط الذين اشتركوا في حرب القرم. وقد توفي بجزيرة (كريت) عن أربعة أولاد قصرهم مصطفى فهمي وعلى زكي وعائشة هانم ودرية هانم ولصغرهم وعدم وجود عائل لهم احتضنهم زكي باشا واعتبرهم كأولاده لإنه لم يكن له أولاد. إذ إنه توفي في سنة ١٩٠٦ عن ابن أخيه شقيقه المرحوم مراد بك محمد الذي كان رئيسا لمحكمة مصر الابتدائية الأهلية وعن شقيقتي مراد بك وهما السيدتان زينب هانم حرم المرحوم الدكتور علي بك حيدر وحنيفة هانم حرم الدكتور حسن بك محمود. وأصل زكي باشا من بلاد الجزائر فاما استوني الفرنساويون على بلاد الجزائر ابتداء من سنة ١٨٣٠ اضطر زكي باشا إلى ترك بلاده وحضر إلى مصر واستوطنها في عهد المغفور له محمد على باشا. وقد تولى زكي باشا فيما بعد نظارتى المعارف والاشغال. وشهادة البكالوريا التي نالها كاتب هذه السطور في سنة ١٨٩٠ وقع عليها زكي باشا بصفته ناظرا للمعارف.

– وكان كاتب الحجة الشرعية هو (حسين صابر) ابن المرحوم (السيد مصطفي صابر) با شكاتب محكمة مصر الشرعية وقتئذ. وقد توفي السيد حسين صابر هذا في فبراير سنة ١٩٢٧ عن تركة كبيرة وأوقاف واسعة.

– وكانـت الحجـج تـؤرخ بالتـاريخ الهجـري وحـده (دون التـاريخ الميلادي).

– وكانت الشوارع تعرف بنمرها لا بأسمائها. ففي الحجة التي نحن بصددها وقعت صيغة المبايعة على عقار محدود بشارع نمرة ١٢ وشارع نمرة ٢٠ وشارع مرة ٢٣.

– وكانت أراضي المدينة ملكا لليري يبيعها الخديوي رأسا بما له من الولاية العامة. لا نظارة مالية ولا ناظر مالية.

– وكانت الأرض تقاس وتباع بالفدان والقيراط والسهم. وأطوال الحدود تقاس بالقصبة. فأصبحت الأرض الآن تقاس وتباع بالمتر وبالسنتي متر.

– وكان ثمن البيع يقدر (بالبنتوا الذهب الفرنساوي الذي عبرة الواحد منه سبعة وسبعون قرشا وستة أنصاف فضة صاغ) وكانت مساحة الأرض التي بيعت (ثمن فدان ونصف وثلث قيراط من فدان) ثمنها حسب وارد الحجة (خمسمائة بنتوا وأربعون بنتوا ونصف بنتوا) وهي جزء من (القطعة الأرض التي عبرتها ثمانية وعشرين فدانًا وثلث وثمن فدان وثلى قيراط من فدان الطين السواد العشورية) المعروفة سابقا (بستان الشريف تعاب) ثم عرفت (ببركة الفوالة) بجوار التكية المعروفة بتكية الشيخ المغربي، والشيخ المغربي هذا هو الذي سمي (شارع المغربي) باسمه وأصبح اسمه الآن (شارع عدلي باشا).

– وهـذه الأرض التـي مسـاحتها (مـن فـدان ونصـف وثلـث قيـراط) وقدر ثمنها في الحجة بمبلغ (خمسمائة بنتوا وأربعون بنتوا ونصف بنتوا) حصل التنازل عنها مجانا بلا عوض. لإنه ذكر في الحجة أن البائع سامح المشترى من كامل مبلغ الثمن المرقوم من غير رجوع عليه . . وابرأ ذمته من ذلك . .). كما حصل التنازل عن ٤٩٣ مترًا منها – بالمجان أيضًا – في خلال سنة ١٣١٧.

– واليوم ونحن في خلال شهر رمضان سنة ١٣٦٣ –أى بعد ٦٨ سنة– جاءت شركة أجنبية وعرضت شراء الباقي منها – بمبلغ ١٠٠. ٠٠٠ جنيه مصري. فتأمل إلى أي حد من العمران بلغته مدينة القاهرة وإلى أي درجة من اليسر بلغته مصر في هذه الحقبة من الزمان.

بعض ذكريات عن سعد باشا

لما عين ناظرًا للمعارف

لما تولى المغفور له سعد باشا نظارة المعارف في ١٨ اكتوبر سنة ١٩٠٦ (في عهد نظارة المغفور له مصطفى فهمي باشا) فكرت في أن أقدم إليه تذكارًا يناسب المقام (بالمعنيين) فلم أجد خيرا من أن أهدى إليه مجموعة صور النظار الذين تولوا نظارة المعارف من بدء تأسيسها حتى يوم تعيينه هو. وهي مجموعة فريدة كان المغفور له يعقوب أرتين باشا قد عنى بجمعها وأهدانى نسخة منها. وقد تقبل سعد باشا من هذه الهدية وسر منها كثيرًا. وأذكر أن المغفور لها فتحى باشا زغلول وقاسم بك أمين كانا عنده في ذلك الوقت فأعجبهما حسن اختيار الهدية وحسن اختيار الظرف الذي أهديت فيه. وقد أردت أن أسترد الصورة ضعها في إطار واحد يجمعهما كلها فأبى سعد باشا، فالتفت إليه أخوه فتحى باشا وقال: «إن من الظرف جود المهدي بالظرف».

لما عين ناظرًا للحقانية

كان لسعد باشا الخالد الذكر فضل أنشأء نقابة المحامين. وكان لي شرف الاشتراك معه في وضع قانون المحاماة، وفي أثناء اشتغال نظارة الحقانية بوضع مشروع قانون المحاماة في خلال سنة ١٩١٢ أراد سعد باشا أن يعبر عن مجلس نقابة المحامين باسم (مجلس المحامين) وعن

النقيب باسم (رئيس مجلس المحامين)، وكان خضرة محمد بك حلمي عيسى في ذلك الوقت مديرة لادارة المحاكم الأهلية في نظارة الحقانية فلفت نظر المغفور له سعد باشا إلى عدم ملاءمة هذا الاسم. فأصر سعد باشا على إبقاء التسمية الواردة في المشروع، تصادف أني وصلت إلى سراى الحقانية في هذه اللحظة فقابلني حضرة حلمى بك عيسى في بهو السراي وقص على الحديث الذي دار بينه وبين سعد باشا فدخلت على سعد باشا وطلبت منه تغيير اسم مجلس المحامين إلى (مجلس نقابة المحامين) واسم رئيس مجلس المحامين إلى (نقيب المحامين)، فرد على قائلا: «هل تريد أن يكون لقب نقيب المحامين مثل لقب نقيب الشيالين ونقيب المحامين؟». فأجبته على الفور: «ولم لا يكون كنقيب الاشراف مثل الشيخ على يوسف» فضحك رحمه الله وقال: «وهو كذلك». وفي الحال استدعى حلمى بك وأمره بأن يغير الاسمين.

ما هنا وما هنالك

في سنة ١٩١١ شجعني سعد باشا على أن أقوم برحلة صيفية في ألمانيا وفي بعض بلاد أوربا لأدرس قوانين المرافعات في تلك البلاد وأقابل بينها وأستخرج منها النظامات والاجراءات التي تساير روح العصر الحاضر، وتسهل التقاضي، فسافرت وأقمت في ألمانيا وفي النمسا وفي إيطاليا وفي بعض البلاد أدرس قوانينها ونظاماتها. ولما عدت إلى مصر نشرت في «الجريدة» عدة مقالات تحت عنوان (ما هنا وما هنالك) بنتيجة بحثي ودرسى، أبنت فيها وجوب تعديل قانون المرافعات الأهلى ووجوه الاصلاحات والتعديلات الواجب ادخالها في مصر، ولما اطلع

عليها سعد باشا سر منها كثيرا فاستدعاني وطلب إلى أن أرفع إليه تقريرا فلبيت طلبه ورفعت إليه التقرير. وبعد أن درسه مع المستشار القضائي استدعاني مرة أخرى وقال لي إنه والمستشار سرا من التقرير ومن الاقتراحات التي حواها وإنهما اتفقا على أن يطلبا من الحكومة مكافاتي على المجهود الذي بذلته وعلى الخدمة التي أديتها وخيراني بين رتبة أو نشان أو مكافأة مالية تعوض لي ماأنفقته في رحلتي، فرفضت واعتذرت. فصمم وصممت، وبعد أخذ ورد قلت له: "إن كان ولا بد من مكافأة غير مكافأة أطلبها هي أن تكتب إلى الحكومة خطابا تعلن فيه رضا سمو الخديوي عني وتقدير الحكومة للخدمة التي أديتها لوطني، فقال: «لك ذلك».

وبعد أيام استدعاني المغفور له محمد سعيد باشا رئيس مجلس النظار وأخبرني بأن الحكومة طلبت من الجناب العإلى الخديوى الانعام على برتبة المميز الرفيعة وهنأني باسمه وباسم الحكومة على الخدمة التي أديتها ثم أرسلت إلى نظارة الحقانية خطابًا رسميًا قالت فيه:

«عزتلو أفندم عزيز خانكي بك أفندي المحامى بالقاهرة

"بناء على طلبنا قد أنعم الجناب العالي الخديوي برتبة المتمايز على حضرتكم ونرسل إليكم مع هذا براءتها ونبلغكم تهاني عطوفة رئيس مجلس النظار الخالصة ونحضكم على الاستمرار في القيام بواجب أعمالكم التي جعلتك أهلا لنيل هذا الالتفات السامي من الجناب الخديوى المعظم ومن حكومته لقاء اجتهادكم في تأدية واجباتكم».

تحريرًا بمصر في ٨ أكتوبر سنة ١٩١٢

«**ناظر الحقانية**»

وقد رسم سعد باشا بهذا العمل سنة جديدة لم يتبعها ناظر غيره من قبل محاسبة الأثرياء على ثرواتهم.

سوابق تاريخية ما أبلغ الكلمة التي القاها رئيس وزراء لبنان السابق في مجلس النواب وفيها صرح بإنه سيقدم مشروع قانون المحاسبة الوزراء على ثرواتهم أسوة بما يعملونه في العراق. وأبلغ منها قوله «بإنه وعشرة من اخوإنه أعضاء المجلس قدموا إقتراحا باعتماد ستة آلاف ليرة في كل عام لانفاقها على تعليم ولدى المرحوم سليم تقلا وزير الخارجية الذي مات فقيرة» ثم زاد فقال «اعتادت البلاد أن تقدر رجالها بتقليدهم الأوسمة. وأنا أرى في الموافقة على هذا الاقتراح خير وسام تقدمه لعائلة الفقيد» وقد وافق المجلس على هذا الاقتراح بالاجماع.

تعالى الله ما أبلغ هذه الكلمة وما أسماها وما أسناها.

ومن شجون الحديث أقول إن المحاسبة الوزراء وغير الوزراء الذين أثروا على حساب الدولة أو على حساب الأمة سوابق تاريخية.

١– كان لملاك فرنسا لويس الرابع عشر Le Roi Soleil الذي شهوه – بالشمس تلقي أشعتها على كل كائن – وزير مالية اسمه كولبير Colbert عده المؤرخون من أفذاذ الرجال الذين ساموا البلاد بالحكمة والعدل. أدار شؤون مالية الدولة بيد من حديد. جمع بين النقيضين: الضمانة والسخاء. يضن بأموال الدولة إذا عرف إنها

ستنفق فيما لا خير فيه للدولة أو للشعب. ويسخر بأموال الدولة إذا ما أيقن بإنها ستنفق فيما فيه خير للدولة أو للأمة.

كان سلفه الكردينال مازارين **Mazarin**. فلما حضرته الوفاة وحتى الملك بهذا الوزير بكلمة جامعة مانعة قال فيها (يا صاحب الجلالة. إلى مدين لك بكل شيء وأظن أني أقضي بعض الدين بتركي لك كولبير خلقا من بعدى).

ولإشهار كوليير بطهارة اليد ونزاهة الحكم واستقلال الرأي ولاه الملك أمور المالية والبحرية والزراعة والتجارة والصناعة ولإنه كان أعدل من الميزان أقامه الملك مشرفا علي أمور القضاء أيضًا.

كان كوليير جبارًا في حكمه وفي عدله وفي نزاهته. لا يرحم أحدًا ولايحابي أحدًا ولا يهاب أحدًا ولا يحسب حساب أحد ولا يقبل شفاعة أحد ولا وساطة أحد مادامت الشفاعة أو الوساطة تمس نزاهة الحك أو عمة النفس. لا تشفع عنده صلة قرابة ولا صلة نسب ولا صلة ود ولا أي صلة من الصلات. لا يخرج الدرهم من يده إلا بعصب الريق. التفريط في مال الدولة وفي مرافق الدولة دونه شيب الغراب.

عرف ذات يوم أن الملك يسرف مال الدولة وأن أسرته تسرف مال الدولة. فأرسل إلى الملك كتابالا يزال المؤرخون يطرونه اطراء كبيرة حتى الآن. قال فيه (لا تنفق حتى ولا خمسة دراهم فيما لا ينفع الناس. وأنفق الملايين فيا ينفع. إن إنفاق ثلاثة آلاف فرنك في غداء أو عشاء حرام. وإنفاق القناطير المقنطرة من الذهب والفضة فيما ينفع الناس حلال. إني لا أتردد أن أرهن زوجتي وأولادي لأحصل على المال لتحقيق مصلحة حلال).

دخل ذات يوم على أحد المحدثين من الأغنياء. فوجد الموائد منصوبة وفيها مالذ وطاب من مأكول ومشروب بكثرة زائدة يتزاحم عليها الرجال والنساء فقال له (كيف تسيغ شرابًا وطعامًا وأنت تعلم أنك تأكل حرامًا وتشرب حرامًا. خوانك منصوب وجارك معصوب – المعصوب الجائع جدًا . .)؟ وأثرياء الحرب عندنا مثله با كانون حراما ويشربون حرام اللهم إلا من عصم ربك وقليل ما هم.

كانت غاية الغايات المأثورة عنه في تحقيق العدالة أن أمر بتحقيق مصدر ثروات رجال المال ورجال الأعمال والمحدثين من الأثرياء الذين أثروا على حساب الدولة وعلى حساب الشعب. وكان التحقيق محوطا بجميع الضمانات تولاه جماعة من المشهود لهم بالنزاهة والاستقلال والعدل. وانتهى التحقيق بأن رد إلى خزانة الدولة مائة مليون وعشرة ملايين فرنك أنفق بعضها في شؤون الزراعة والتجارة والملاحة وخصص البقية الباقية لتخفيف عبء الضرائب التي كان يئن منها الممولون والفلاحون.

٢–ونابليون حمل حملة شعواء على الخونة من الموظفين وغير الموظفين الذين أثروا من غير الطريق الحلال، حدث أن أهدى إليه رجلا اسمه Thevenin جوادين مطمين فتسأمهما ولما عرض دفع ثمنهما رفض المهدي فأمر نابليون بالقبض عليه وبحبسه ستة شهور وتغريمه نصف مليون فرنك لإنه عد الهدية رشوة للإغضاء عما ارتكبه الرجل من خيانات وسرقات. ولما حقق وجد أن طائفة من نهاري الفرص ربحوا أرباحا طائلة من توريد المهمات لجيوشه فألزمهم بأن يردوا إلى

الخزانة ٨٧ مليون فرنك وأن يردوا ما اختزنوه من المهمات والمؤن والذخائر بثلث قيمتها وأن يضمنوا متضامنين كل عجز يظهر فيما بعد. رفض أحد أثرياء الحرب واسمه (أوفرار) رد ثمانية ملايين فرنك فقبض عليه وأودع السجن. ومحمد على مثله. وحكايته مع جرجس الجوهرى معروفة. إذ أن الجوهري كان متوليا الحسبة العام فلما طالبه محمد علي بحساب خمس سنوات راوغ فألزمه برد ٤,٥٠٠ كيس (٢٢. ٥٠٠ جنيه). وما عمله مع الجوهرى عمل مثله مع متولي الحسبة في الأقاليم. وألزمهم برد أموال كثيرة.

٣-وبعد انتهاء الحرب الماضية عملت رومانيا وبلغاريا بالسنة التي استنها هذا الوزير الكبير من مائتي سنة ونيف. وستعمل بها سوريا والعراق الآن.

٤-ولما سقطت حكومة موسوليني أذاعت وكالة الأنباء الايطالية أن مجلس الوزراء قرر مصادرة جميع أملاك الفاشست الذين لا يستطيعون تبرير مصدر ثرواتهم التي جمعوها من ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٢٢ إلى يوم ٤ يوليه سنة ١٩٤٣.

٥-وما لنا ولهذه السوابق التاريخية الحديثة ولنا سابقة تاريخية قديمة في عمله سيدنا عمر بن الخطاب إذ كان يحصل على ولاته ما لهم من الأموال قبل توليهم فاذا زادت أموالهم بعد ذلك صادر الزيادة وأدخلها بيت المال. ومن الأمثلة التي يروونها إنه قد كان ولي عتبة بن أبي سفيان على كنانة فلما عاد إلى المدينة بثروة كبيرة سأله عمر «من أين لك هذا يا عتبة» فأجابه «مالي خرجت به وتاجرت فيه»

فقال عمر «بعثتك واليًا ولم أبعثك تاجرًا. إن التجارة والولاية لا تتفقان. اجعل هذا المال في بيت مال المسلمين . . ».

بمثل هذا تتحقق العدالة الاجتماعية التي يأمر بها الشرع وتوجهها الذمة وتختمها المصلحة العامة. لأن المبدأ في ذاته مبدأ عادل "من قال به صدق. ومن عمل به أجر. ومن حكم به عدل. ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم". نبينه هنا للناس لعلهم يتذكرون . . .

كتب المؤلف

١–رسائل في الوقف

٢–الطعن في الأحكام بطريق النقض والإبرام (ترجمة كتاب مسيو دو هلتس)

٣–قضاء المحاكم في مسائل الأوقاف (نقله إلى الفرنسية الأستاذ يعقوب خانكى)

٤–خواطر خواطر

٥–ما هنا وما هنا لك

٦–مجموعة مذكرات في بعض قضايا شهيرة

٧–عشر رسائل في القضاء والتشريع

٨–مسائل قانونية ورسائل شتى

٩–شؤون مصرية – طبعة أولى

١٠–شؤون مصرية – طبعة ثانية فيها اضافات

١١–قنال السويس

١٢–أحاديث

١٣–أحاديث جديدة

١٤–فرض ضريبة على التركات والهبات والتأمينات و الوصايا والأوقاف واليانصيب

١٥–الرق والعتق والولاء شرعًا ونظامًا

١٦-الحكر و الوقف والتقادم

١٧-اختلاف الدارين ومتى يكون مانعة من الإرث - وترجم إلى اللغة الفرنسية

١٨-معجزة من معجزات الاصلاح الزراعي

١٩-الملكية العقارية في مصر

٢٠-ديون مصر

٢١-الصورية ووجوب اعتبارها جريمة

٢٢-الماطلة في الخصومة وعلاجها

٢٣-ترك وأتاتورك - و ترجمه إلى اللغة الفرنسية الأستاذ جميل خانگی

٢٤-قنال فاروق الأول

٢٥-الذكرى المئوية لواقعة نزيب

٢٦-المحاكم المختلطة والمحاكم الأهلية. ماضيها - حاضرها - مستقبلها

٢٧-المحاماة قديما وحديثا - بالاشتراك مع الأستاذ جميل خانكى

٢٨- التشريع والقضاء قبل أنشأء المحاكم الأهلية

٢٩- نفحات تاريخية

٣٠- حياة اسكندر الأكبر

٣١- نابليون و محمد على

٣٢- طرائف تاريخية.

***

تحت الطبع

١) طرائف أدبية

٢) الآثار المصرية القديمة

٣) القضاء على المذاهب الأربعة

٤) الاحوال الشخصية لغير المسلمين

٥) محمد على الكبير وذريته.

٦) الأمثال السائرة (القانونية والشرعية) بالعربية والفرنسية واللاتينية.

٧) لذعات. كلمات. نكات

٨) ٥٠ سنة محاماة

٩) موافقات تاريخية

10) L'esprit français dans l'histoire et dans la littérature

11) Fleurs historiques

12) – Glanes historiques

13) – Portraits politiques

14) – Pensées Choisies

15) – Mélanges historiques



الفهرس